

الفرق بين





الواقعة الجديدة

مجموعة شهرية يصدرها مركز لشتيوي العربي

246

العدد 8 السنة 39 حزيران 1992

فهرست

■ نحو المؤتمر الخامس - آراء ومناقشات

- 4 - من مشروع آذار الى مشروع الوثيقتين فائز العراقي
15 - وجهة نظر خاصة حول مشروع البرنامج فياض الحمادة
20 - التبويب والشعار في مشروع البرنامج جامعي مغترب
23 - لمحة على ضوء مناقشة الوثيقتين أبو ذكري
30 - حصيلة مناقشة الوثيقتين في احدى المنظمات
37 - حول الموقف من الحزب الشيوعي في كردستان وريا سعدي
46 - رغم ذلك فالعدالة حلم الكادحين حاتم لطفي
57 - كربلاء والاعداد لثورة العشرين محمد حسن السلامي
67 - ادب السلوك الصوفي - ادب الروح د. ميثم الجناني
77 - القوة القانونية لقرارات مجلس الامن د. احمد الموسوي
82 - الكمبيوتر والترجمة سلام كبه

■ ادب وفن

- 92 - اكراد رحل / شعر انور الغساني
96 - اسلاف المكيدة / شعر صالح دياب
99 - ثلاث قصائد / شعر أحمد ديبو
102 - قصتان قصيرتان ابراهيم احمد

108	- جهاز الدوران / قصة	سلام صادق
114	- الطريق الزراعي الطويل / قصة	نجم والي
123	- هنا البصرة / قصة	يوسف ابو الفوز
130	- الفن المفاهيمي	ماري آني ستانسويسكي
		ترجمة: هلال حميد
145	- ضراوة الذهب / حول حرية الكاتب	هاشم شفيق
149	- سنة رامبراندت العالمية /	
	رامبراندت والشرق: جماليات التباين	اسماعيل زاير
153	- متابعات ثقافية	

■ مقتطفات ومعالجات

158	/ - حوار مفتوح حول قضايا البديل في العراق	هيئة تحرير الغد الديمقراطي
162	- حركة المهجرين العراقيين	الموقف الاسلامي
164	- يغتالون الوطن ويتباكون عليه	البديل الاسلامي
165	✓ - المعارضة العراقية مدعوة لوحدة الصف واليقظة ..	
	ووضوح الرؤيا	الاتحاد

الغلافان من معرض احلام ملونة للفنان منصور احمد



نحو المؤتمر الوطني الخامس - آراء ومناقشات

من مشروع اذار الى مشروع الوثيقتين! التجديد ضرورة موضوعية وحاجة ملحة

فائز العراقي

قبل التطرق الى صلب الموضوع الذي نحن بصدده، لا بد من توجيه الشكر والثناء لمجلتنا: «الثقافة الجديدة» على النهج الجديد الذي اتخبطته لنفسها في السنوات الاخيرة: نهج التعددية الفكرية، نهج احترام الرأي والرأي الآخر، نهج عدم حرمان ذوي «الآراء المغايرة» (ولقد كنت واحداً منهم في العديد من الاحيان ونالني الاذى اكثر من مرة بسبب ذلك - أو «جماعة الاقلية في الحزب» الذين طالما اکتوا بالنهج البيروقراطي الاوامري السابق) بحجة تطبيق المركزية، من حق ابداء آرائهم «المغايرة» بكل حرية واطمئنان.

وينبغي التأكيد هنا على انها المرة الاولى في تاريخ الحزب التي تشاع فيها الديمقراطية، واصطراع الافكار، والتعددية الفكرية، وعلى صفحات منابر الاعلامية بشكل علني وبهذه الكيفية وبهذه الدرجة من الشمولية والانتساع.

المطلوب هنا، هو تكريس هذا النهج ودعمه، وعدم العودة عنه مهما كانت الظروف والاحوال، اذ انه الاسلوب الوحيد الذي يحول دون تفتت الحزب، ويحافظ على وحدته وتماسك بنيانه من اجل الاستمرار في خدمة اهداف كادحي شعبنا بقوميتيه الرئيسيتين: العربية والكردية، ومختلف الاقليات القومية المتأخية فوق ثراه، وكذلك من اجل خدمة اهداف امتنا العربية العريقة في التحرر والديمقراطية والاشتراكية والوحدة.

مقالتنا هذه تركز على مناقشة الوثيقتين الجديتين: (مشروع الوثيقة البرنامجية ومشروع النظام الداخلي للحزب الشيوعي) إلا انها تتطرق احياناً لبعض الفقرات الواردة في وثيقة اذار ١٩٩٠: «في سبيل: استنهاض قوى الشعب لتحقيق السلم والبديل الديمقراطي» وذلك لانها تتداخل مع بعض الفقرات الواردة في الوثيقتين، وكذلك لان بعض التحليلات والرؤى والمواقف السياسية والفكرية في وثيقة اذار تصلح لان تكون منطلقات اساسية في مشروع الوثيقتين: «البرنامج والنظام الداخلي للحزب».

ان تجديد الحزب في كافة مستوياته وبناء - وبخاصة في البنيان الايديولوجية والتنظيمية - غذا شرطاً ضرورياً لتطوره اللاحق حيث اقترنت العديد من الظروف الذاتية والموضوعية وانضجت هذه المسألة الحيوية : «التجديد» .

ان التجديد ليس «مودة» أو نزوة ورغبة ارادية عابرة، أو تقليداً ميكانيكياً مفتعلاً أو محاولة انتهازية بانسة لركوب الموجة والاستئثار بالمناصب القيادية الحساسة في الحزب، بل انه ضرورة موضوعية، وحاجة ملحة تملئها ضرورات التطور الاجتماعي - التاريخي لمجتمع ما في مرحلة تاريخية، وان ذلك يحصل بعد ان يكون القديم قد استنفد دوره فاسحاً المجال لظهور الجديد الذي يحمل هو الآخر بين طياته بذور نفبه وتغيره وتحوله، وهذه هي احدى السمات الجوهرية في الجدول الماركسي، أو لنقل احد قوانين الديالكتيك الماركسي المعروفة : «نفي النفي» .

التجديد في المستوى الايديولوجي / مشروع الوثيقة البرنامجية

فيما يتعلق بالجانب الايديولوجي، تقول الوثيقة في احدى فقراتها : «ويصوغ الحزب الشيوعي العراقي وثيقته البرنامجية استناداً الى دراسة المجتمع العراقي المعاصر وتركيبه القومي والتطورات الجارية فيه، مسترشداً بالمنهج الماركسي، والتراث اللينيني، وسائر التراث الانساني الاشتراكي، والنزعات والتيارات الفكرية الرامية الى العدالة والمساواة في تاريخ شعبنا وثرائه» .

في الحقيقة انني اجد هذه الصيغة متطورة بالنسبة لتاريخ الحزب، وهي صيغة تبعدنا كثيراً عن الجمود وال«دوغما» التي طالما اضرت ليس بمسيرة حزبنا الفكرية، بل وبالعديد من الاحزاب الشيوعية في منطقتنا العربية وفي العالم، لانها تعاملت مع منظومة الافكار الماركسية كقوالب جامدة تريد تطبيقها في كل زمان ومكان دون مراعاة الخصائص الملموسة والحسية لواقع كل شعب وامة خصوصاً وان بعض افكار النظرية الماركسية قد شاخت وتجاوزها الزمن، بل والبعض الآخر لم تثبتته الحياة، وهذا ما سأركز عليه بعد قليل .

ومع احترامي للصيغة المتقدمة، فاني اقترح صيغة اراها اكثر صواباً وعمقاً وشمولاً، وهي : يسترشد الحزب «بالمناهج المادي الجدلي»، لقراءة الواقع الموضوعي، وتحليله، واستشراف آفاقه، أي الالتزام هنا بروح «الجدل» الماركسي، وليس بكامل المنظومة الفكرية الماركسية، الجدول بوصفه علاقة وحركة، وطريقة في التعامل مع الواقع تقوم على اساس ان كل شيء في حركة وتطور وتغير .

ان هذه الصيغة تجعلنا نستفيد من روح الجدول كمرشد، وكأداة تحليل معرفية تستقرىء الواقع «بجوانبه الطبيعية والاجتماعية والفكرية» وظواهره المترابطة والمتفاعلة والمتغيرة، وليس كأفكار جاهزة كنا نعتقد دائماً بانها كلية الصحة !! .

ومن الناحية الشمولية، فان صيغة الالتزام «بالمناهج المادي الجدلي» تجعلنا نستفيد مثلاً من ديالكتيك «هيجل» الذي تتلمذ على يده ماركس في هذه النقطة بالذات، كما انها توفر لنا الامكانية لعدم التقيد ببعض الافكار الماركسية، اما لعدم صحتها، أو لعدم امكانية تطبيقها على واقعنا

الحسي الشرقي المختلف في خصائصه وبناءه وتاريخيته عن الواقع الغربي الاوربي مثلاً، كما انني افضل حذف جملة «التراث اللينيني» - على عظمته وتأثيره وجدواه - لكي نفسح المجال في التعامل مع الماركسيين المبدعين الآخرين بروح نقدية جادة ترى الايجابي والسلبي في تراثهم الفكري: ومنهم بشكل خاص: بليخانوف، وتروتسكي، وروزا لوكسمبورغ، وغرامشي، وكاوتسكي، وبوخارين، وحتى ستالين الذي من الخطأ تقييم تراثه واعماله بروح عدمية مطلقة السلبية. فاذا كان ستالين مداناً - هو وبطانته - لاعماله القمعية والتأميرية، ولطريقته الاوامرية الدكتاتورية و«التوتاليتارية» في البناء الاشتراكي، يجب ان لا ننسى في الوقت ذاته مآثره الشعب السوفييتي بقيادته لدحر النازية في الحرب العالمية الثانية مثلاً.

انني باختصار ادعو بان تستند المنظومة الايدولوجية لحزبنا مستقبلاً على ثلاث ركائز واسس - وان افكاري هذه ليست إلا مقدمات اولية تتكامل مع آراء آلاف الملتزمين بالخيار الاشتراكي من ابناء شعبنا - وهي: ١ - الاسترشاد بالمنهج المادي الجدلي، والاستفادة - وليس الالتزام - من الفكر الاشتراكي العلمي العالمي، ومن المفكرين الاشتراكيين العرب الكبار، ومنهم: الشهيد حسين مروة، والشهيد مهدي عامل... الخ، وكذلك من المفكرين من ابناء القوميات الاخرى في المنطقة، وفي العراق.

٢ - الاسترشاد بالقيم الايجابية في التراث العربي - الاسلامي. وهذا يستوجب دراسة التراث المذكور بروح نقدية، عقلانية، واقعية وجدلية، تستطيع استلهام القيم الايجابية العظيمة فيه، وإعادة صياغتها كعناصر هامة في البنية الايدولوجية - الثقافية لحركتنا الثورية الاشتراكية المعاصرة. ان الفكر الاشتراكي - حتى وان كان بشكله الطوباوي - وكذلك افكار العدالة الاجتماعية، ليس وليد الماركسية فقط، بل وان التراث العربي - الاسلامي زاخر بهذه الافكار، وقبل ماركس، كان الامام علي، الذي قال يوماً: «ما استغنى غني إلا وجاع فقير»، وقبل ماركس كان ابن خلدون الذي ركز على اهمية العامل المادي والاقتصادي في تطور التاريخ، وفي تحريك احداثه.

انني ادعو ان تكون حركتنا الاشتراكية امتداداً لافكار العدالة الاجتماعية التي نادى بها: علي بن ابي طالب، وابو ذر الغفاري، وعمر بن عبد العزيز، وكذلك لافكار الحركات الاجتماعية الثورية: القرامطة، الزيج، العيارون، الصعاليك... الخ، أي تكون الحركة من علي الى فهد، سلام عادل، وعبد الخالق محجوب، وفرج الله الحلوي، وماركس، ولينين، وغيرهم. وهذا لا يعني ابداً الدعوة لان يكون الحاضر على هيئة ومثال الماضي، وتعبير آخر، دعوة لوقفة - أي تصييره واقعاً راهناً - بل هي دعوة تستفيد من قيم التراث الايجابية، ثم الانطلاق من الحاضر صوب المستقبل الوضيء عاذ ان من ليس له ماضٍ وتراث ليس له مستقبل، بذلك نكون ربطنا رباطاً جديلاً بين التراث والمعاصرة، وقمنا بتاصيل المعاصرة، وانطلقنا من الذات الى الخارج، ومن الخاص الى العام، وليس العكس، لاسيما ونحن قد بالغنا في اهمية العامل الاممي، وقللنا من اهمية العامل القومي. وفي هذا المجال أؤيد الاستنتاج الاول الذي جاء مؤخراً على لسان الرفيق يوسف فيصل حول ضرورة العلاقة المتوازنة بين ما هو قومي وما هو اممي، والاستنتاج وان كان يهم الدفاق فـ، الحزب الشيوعي السوري بالدرجة الاولى إلا انه

يمكن الاستفادة منه نظراً للتفاعل والترابط الوثيق بين الاحزاب الشيوعية العربية، يقول: «ان انعكاسات المؤتمر على الوضع الداخلي الحزبي كثيرة. واول استنتاج حله مؤتمرنا السابع الموحد هو ان علينا استخلاص العبر والدروس من مجمل التطورات والتغيرات العالمية والعربية التي حصلت في مختلف المجالات ايجابياتها وسلبياتها، وبالتالي السعي الجدي لتجديد حزبنا. فقد عشنا مرحلة كنا فيها جزءاً من حركة تلقينا منها اكثر مما اعطيناها، وجعلنا للعام في بعض القضايا اسبقية على الخاص، ولم تحدد كما ينبغي العلاقة المتوازنة فيما بينهما، مما اضعف تأثيرنا في الواقع القومي، (ويضيف قائلاً حول اهمية الموقف القومي) وقد اعاد المؤتمر النظر في موقفنا من القضية القومية واعتبر ان العامل القومي، عامل عميق ومؤثر، وهو لا يضعف مع التطور ومع ارتفاع الوعي، بل يزداد عمقاً وترسيخاً، ومن هذا المنطلق طرحت قضية الرحلة العربية وضرورة العمل لتحقيقها كهدف قومي في مواجهة الامبريالية وفي مواجهة ضرورات ومتطلبات التقدم والتطور...»^(١).

٣ - الاستفادة من الفكر النهضوي - التنويري الذي بانث بواكيره في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين والذي قام به العديد من المفكرين من كافة القوميات والطوائف والاديان في منطقتنا، وكذلك من الفكر القومي العربي الديمقراطي التنويري واذكر هنا على سبيل المثال: محمد عبده، الكواكبي، الافغاني، طه حسين، العقاد، بطرس البستاني، الزهاوي، شبلي شميل، سلامة موسى، وغيرهم.

- وفي هذا المجال اقترح ان يقوم المؤتمر الخامس للحزب بتشكيل ثلاث لجان متخصصة للبحث في هذه الركائز الثلاث وان يبنى المؤتمر كملتجأ الافكار الاولى لهذا المشروع، ثم يأتي التعميق لاحقاً على شكل بنية ايدولوجية فكرية جديدة.

وفي المجال الفكري ايضاً اقترح اضافة فقرة اساسية لمشروع البرنامج الجديد حول: «دراسة اسباب ونتائج انهيار التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، ودول اوربا الشرقية، ودور البيروسترويك في ذلك». انني استغرب هنا لماذا لم يورد الحزب هذه الفقرة في مشروع الوثيقة البرنامجية، علماً انها اخذت حيزاً كبيراً في وثيقة آذار ١٩٩٠ وهي ايضاً وثيقة برنامجية» قارب حوالي الثلث (١٤ صفحة).

تري هل هورد فعل انفعالي لما آلت اليه نتيجة «البيروسترويك» لاسيما وان نتائجها - بشكل عام - لم تكن تتسجم مع توقعات قيادة الحزب؟ سؤال اوجهه لقيادة الحزب، وللزفاق الذين ساهموا في صياغة الوثيقة الجديدة، ووثيقة آذار الماضية. وللموضوعية، والانصاف، اقول ان قيادة الحزب تنهت لبعض المخاطر التي يمكن ان ترافق البيروسترويك في مجرى صيرورتها، وتحدثت في وثيقة آذار عن «الجانين الايجابي والسلبي» كما انها اكدت في منابر الحزب الاعلامية انها مع «جوهر البيروسترويك ضد التشويهات». إلا انها مع ذلك لم تكن مصيبة في تأييدها «المتحفظ نسبياً» للبيروسترويك، حيث انها راحت تتحدث عن «ضرورة موضوعية» لولادة هذه الظاهرة، وفي الحقيقة انها لم تكن سوى عملية تخريب للبناء الاشتراكي، وليس عملية اعادة بناء كما زعم السيد

غورباتشوف ورهطه. ولم نقل عملية «تخريب منظمة»، هذا اذا سلمنا جدلاً بحسن النوايا التي حركت مطلقاً هذه «التقليعة والمودة المفتعلة»، واذا صح ذلك فالطريق الى «جهنم معبدة بالنوايا الحسنة»!! ان النتائج التي آلت اليها التجربة خير دليل على صحة هذا الرأي، والامور في السياسة كما يقال تقاس بنتائجها الملموسة، وليس بالشعارات الديماغوغية القائلة بان البيروسترويكاستهدفت اعادة بناء وتجديد المجتمع السوفييتي في كافة مستوياته، وتطوير البناء الاقتصادي الاشتراكي وفق احداث المنجزات العلمية - التقنية، واعادة الوجه الانساني للاشتراكية، وان هذا التجديد على حد زعم السيد غورباتشوف سيكون ضمن الخيار الاشتراكي!!، والنتيجة كما تعرفون: مجاعة، وبطالة، وانفلات العنصرية القومية، ونذر حرب اهلية قد تكون مهلكة!!، والنتيجة ايضاً تخلى السيد غورباتشوف ليس عن الحزب فقط، بل وحتى عن الاشتراكية!!، وبدأ يتحدث مؤخراً عن صواب التطور الرأسمالي - واقتصاد السوق -، إلا ان الذي يميزه الآن عن غريمه يلتسين، هو ان الاول يريد الانتقال الى الاقتصاد الرأسمالي بشكل تدريجي تطوري، أما الثاني فيريد تحقيق ذلك بضربة عصا سحرية، وفي ليلة وضحاها «وكفى الله المؤمنين شر القتال»!!، كما ان ديمقراطية السيد يلتسين التي طالما تبجح بها قبل سنوات بانتهى هي الاخرى «بأبهى صورها» حينما ألغى الحزب الشيوعي السوفييتي وصادر ممتلكاته!!، طبعاً وبموافقة ضمنية من السيد غورباتشوف الذي اعاد حقاً بحركة المسرحية الوجه المشرق والانساني للاشتراكية!!.

ما يهمني هنا الآن هو ان قيادة حزبنا قد تسرعت في تحليلها لهذه الظاهرة التي لم تتبلور بشكل واضح آنذاك من حيث: عناصرها الداخلية المكونة، قانوينتها الداخلية، الآلية التي تحكمها، واشكال تجليها. لماذا هذا الاستعجال والظاهرة كانت في طور التبلور؟ هل هو شكل آخر من اشكال التبعية للمركز؟ علماً ان العديد من المفكرين والكتاب في منطقتنا وفي العالم كانوا قد حذروا من مخاطر سلبيات هذه - الظاهرة المودة - بالاضافة الى ان ملايين الناس «البسطاء» كانوا يدركون بفطرتهم السليمة، وبحسهم السياسي الرفيع ان نتائجها ستكون وبالأعلى على الاشتراكية، وعلى الديمقراطية، وعلى البشرية التقدمية جمعاء!! لن اطيل، سأنقل لكم هاتين الفقرتين من وثيقة آذار - ١٩٩٠، للتدليل على ما ذهب اليه: «فالقيم الديمقراطية والانسانية العامة اكتسبت ابعادها الشعبية الواسعة على الصعيد العالمي بفضل المبادرة التجريبية - يقصد البيروسترويكاء...» ص ١٤ / الثقافة الجديدة / العدد ٢٢٠. والفقرة الثانية تقول: «لقد استعادت الديمقراطية، بفضل البيروسترويكاء مكانتها كقيمة انسانية شمولية...» ص ٢٠ / المصدر السابق «تري ماذا صمد، وسيصمد من هذه الفكرة امام الزمن؟ وكيف تطورت الاحداث، وبأي اتجاه؟ وما فائدة استنادنا على نظرية علمية اذا لم نحسن استخدامها بشكل مبدع وخلق؟

ان حديثي هذا لا يعني مطلقاً عدم وجود عناصر خلل كبيرة في بنية النظام الاشتراكي آنذاك، وخاصة تفشي البيروقراطية والمحسوبية والركود والاورامية المقيتة، وخنق الديمقراطية، إلا ان تصحيح هذه الاخطاء كان ينبغي ان يتم من داخل العملية نفسها، وفي اطار البناء الاشتراكي وليس بالطريقة التي قادها بها فرسان البيروسترويكاء!!.

ان السؤال الاخطر الذي يواجهه كل الشيوعيين والتقدميين والديمقراطيين في العالم، هو اين الخطأ؟ في النظرية، أم التطبيق؟ أم في كليهما معاً؟.

من ناحيتي ارى ان الخلل يكمن في النظرية والتطبيق معاً، وان كنت اعزو السبب للخلل في التطبيق اكثر من الخلل في النظرية. واعني به التطبيق القسري الاوامري للاشتراكية الذي تجلّى في النموذج السوفييتي، حيث ان الاشتراكية كما هو معلوم هي تجربة خلاقة لا يمكن انجازها إلا بالمساهمة الحرة، والمبدعة، والواعية لقوى الشعب الحية يرمتها، وهذه المساهمة لا تتم إلا بقناعة تامة واصيلة وطوعية من قبل الشعب المعني، وان أي عمل قسري يتنافى مع تعزير الديمقراطية في هذا المجال سيقود الى تطورات سلبية، وهذا ما كشفت عنه التجارب المذكورة.

عموماً، هناك رأيان يمكن رصدتهما حتى الآن: احدهما يقول: لم يكن هناك ثمة «اشتراكية» في الاتحاد السوفييتي وفي دول اوربا الشرقية، بل كان هناك نظام رأسمالية الدولة البيروقراطية: والثاني يؤكد على وجود خلل في تطبيق الاشتراكية، وهذا الخلل، وخاصة البيروقراطية ادى الى نفس التجربة من الداخل - وهذا هو السبب الذاتي في فشل التجربة - أما السبب الخارجي فيتمثل بعملية التخريب الامبريالي المنظمة. وانا اعتقد بالرأي الثاني. وبالمناسبة فان لينين سبق وان نبه الى مخاطر البيروقراطية في وقت مبكر من انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية، وقال ان هناك خطرين يهددان مصير الثورة الاشتراكية: «البيروقراطية والانتاج البضاعي الصغير»، وعن خطر البيروقراطية قال: «بعد ستة اشهر من ثورة اكتوبر، ومع تحطيم الجهاز البيروقراطي القديم من رأسه الى اخصص قدميه، لم تكن نلمس شراً من شرورها وأي البيروقراطية». وبعد عام، حين تبنى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي برنامجاً حزبياً جليداً، اشرنا بصراحة الى «عودة جزئية للبيروقراطية داخل النظام السوفييتي» غير خائفين من الاعتراف بالشر، بل راغبين بكشفه وتعريته ومهاجمته من اجل استنهاض الافكار والطاقت والجهود لمحاربة هذا الشر. وبعد عامين، في ربيع ١٩٢١، بعد المؤتمر الثامن للسوفييت فائنا وجدنا شرور البيروقراطية اكثر بروزاً وخطراً^(١).

أما فيما يخص النظرية، فإني اعتقد ان بعض جوانبها، وبعض المقولات والافكار الماركسية قد شاخت وتجاوزها الزمن، فمثلاً ان دكتاتورية البروليتاريا التي تحدث عنها ماركس، ثم توسع فيها لينين لم تعد مناسبة لروح عصرنا، بل ان مجرد ذكر كلمة «دكتاتورية» هي مدعاة للنفور والاشمئزاز، ناهيك عن ان واقع الطبقة العاملة في الشرق الاوسط، وفي منطقتنا العربية، يختلف جذرياً عن واقع الطبقة العاملة الاوربية، ففي اوربا كان الفرز الطبقي واضحاً حيث انقسم المجتمع بشكل عام الى طبقتين متناقضتين واضحتين: البرجوازية، والعمال.

أما هنا فهناك تداخل طبقي، والطبقة العاملة ضعيفة التطور كمّاً ونوعاً، كما انها غالباً تعود في جذورها الى اصول فلاحية كما ان مجتمعاتنا الشرق اوسطية هي مجتمعات زراعية عموماً، وتشكل الطبقة المتوسطة، والبرجوازية الصغيرة النسبة الاعلى في تركيبها الطبقي، لكل هذه الامور، ولا امور اخرى ليس هناك مجال لشرحها الآن، لا يمكن ان تبنى هنا «دكتاتورية البروليتاريا»، بل يمكن ان نتحدث عن نوع من انواع الانظمة «الديمقراطية الشعبية» التي تلعب

فيها الطبقة العاملة دوراً قيادياً و متميزاً، وأنا هنا لا أنكر الخصائص الثورية العظيمة التي تتمتع بها الطبقة العاملة والتي تميزها عن كافة الطبقات الأخرى، إلا أنني ادعو أن تكون الأحزاب الاشتراكية والشيوعية ليست أحزاباً للطبقة العاملة بل أحزاباً لمجموع كادحي الشعب وطبقاته المنتجة، وهم العمال، والفلاحون والمثقفون، وأصحاب المهن الحرة، وصغار التجار والكسبة. إذ أن هذه النظرة الطبقيّة هي الأشمل والأوسع والأكثر قدرة على تعبئة طاقات الجماهير الشعبية الكادحة.

من ناحية أخرى، فأنني أرى بأن ماركس وانجلس قد بالغوا بدور العامل الطبقي والصراع الطبقي في تحريك أحداث التاريخ، وقللا من أهمية دور العوامل الأخرى. أنني أرى بأن العامل الطبقي هو أحد العوامل الأساسية المحركة للتاريخ، ويرتدي هذا العامل «أحياناً» أهمية حاسمة وذلك حينما تبلغ التناقضات الطبقيّة في مجتمع ما، وفي مرحلة تاريخية ما أوج احتدامها. إلا أن هناك عوامل أخرى موازية للعامل الطبقي ولا تقل دوراً عنه في التأثير والفاعلية، وذلك كالعامل القومي، والعامل العقائدي الذي يتعلق بالفكر والقيم الروحية والتراثية. أن نظرة بسيطة لما يحدث الآن في يوغسلافيا وفي الاتحاد السوفيتي تؤكد على أهمية العامل القومي في تحريك الأحداث، بالرغم من أن التعصب القومي الشوفيني يتنافى مع التوجه التقدمي والانساني العام. كما أن العامل القومي هو عامل أساسي وحاسم في صراع امتنا العربية مع العدو الصهيوني.

من هنا فأنني أرى بأن الماركسية نفسها بحاجة إلى تطوير وتجديد، وفي هذا المجال ادعو إلى قراءة جديدة للفكر الماركسي وتطبيقه بشكل خلاق ومبدع ينسجم مع الخصائص الحسية والملموسة لواقع شعبنا العراقي بقوميتيه الرئيسيتين: العربية والكردية، وبقية القوميات الأخرى، ولواقع امتنا العربية، قراءة قائمة على موقف نقدي للخطاب الماركسي وأخذ منه ما ينسجم مع واقعنا، ونبل ما لا ينسجم معه.

والآن هل انتهت الاشتراكية، لأن النموذج السوفيتي قد انهار؟ كلا، أن الاشتراكية لا يمكن أن تنتهي، لأنها حاجة يملها التطور الموضوعي للمجتمع البشري، ولأنها الطريق الأمثل لحل مشكلات الإنسان وإنهاء كافة أشكال اغتراباته واستلاباته، ولأنها القادرة على تهيئة الظروف المادية والروحية المناسبة لبناء الشخصية الإنسانية المتناسقة والمنسجمة والمتطورة والمتحضرة.

اقترح إضافة فقرة جديدة للوثيقة البرنامجية يكون عنوانها: «البيروقراطية داخل الحزب وسبل تجاوزها» ويجري تناولها من حيث: واقعها، وأسبابها، وأشكال تجلياتها، وآثارها السلبية على مسيرة الحزب، ثم دور القيادة في سيادة البروقراطية والنهج الأوامري المنافي للروح الديمقراطية في الحزب طيلة عقود طويلة من الزمن، أنني هنا احتكم إلى الفقرة التي وردت في وثيقة آذار حول دور القيادة في ذلك وأقول أيضاً أنها المرة الأولى والأكثر جرأة ووضوحاً استطاعت فيها قيادة الحزب أن تنتقد نفسها ودورها المساهم في تثبيت هذه الظاهرة الخطرة والسلبية، لذا فأنني أطالب اعتماد التحليل التالي الذي ورد في وثيقة آذار، وإدعوا إلى إدراجه كفقرة أساسية في الوثيقة البرنامجية الجديدة: «لقد عانى حزبنا، بسبب من ظروف نشأته واجواء الحركة الشيوعية العالمية وجملة العوامل التي أتينا على ذكرها سابقاً، من ضعف شديد في تطبيق الديمقراطية، (كاتجاه عام،

وكعضامين اساسية) في حياة الحزب. وتجلى ذلك في طرق صياغة سياسات الحزب وتوجهاته البرنامجية، أو تطبيقاتها، أو في اسس بناء تشكيلاته التنظيمية وصلاحياتها، وفي اساليب تربية الكادر ومعايير اصطفاؤه واصطفافات الهيئات القيادية، والمفاهيم المرتبطة بالعمل القيادي عموماً، وخضعت ترتيبات الوضع القيادي في احيان كثيرة لاسس ومفاهيم نخبوية بعيدة عن الديمقراطية... ص ٢٦ / الثقافة الجديدة/ العدد ٢٢٠. ان مواجهة القيادة لنفسها بمثل هذا الموضوع، والعلمية، هو موقف شجاع، وليس جُلداً ذاتياً كما قد يتوهم البعض.

وفي المجال الفكري ايضاً، اقترح تبني الفقرة التي وردت في وثيقة آذار وعنوانها: «موقفنا من العقيدة الدينية، والدين السياسي ص ٣٧ /المصدر السابق» وايرادها بشكل كامل في مشروع الوثيقة البرنامجية والعمل على تطويرها لاحقاً من خلال المؤتمر وبعده. لان من شأن هذا الموقف المتصبر بطبيعة واقفنا الشرقي ذي الاصول الدينية العريقة جذب فئات كبيرة من شعبنا باتجاه حركتنا الثورية وتبني شعاراتها المنسجمة والمعبرة عن تطلعات الجماهير الشعبية الكادحة.

واقترح ايضاً ضرورة دراسة تاريخ الحزب، وان يتبنى المؤتمر مسألة تشكيل لجنة خاصة للقيام بهذه المهمة مع ضرورة التأكيد على ان تلعب الكوادر الشابة دوراً اساسياً وفاعلاً في مثل هذه اللجنة.

في ص ١١ من الوثيقة البرنامجية / الثقافة الجديدة/ العدد ٢٣٩ / اقترح اضافة الفقرة التالية بالاضافة الى الفقرة المتحدثة عن توطيد الامن والسلم العالمي: «إبداء التضامن الفعال مع الشعوب المضطهدة التي تناضل ضد الغلواتية العسكرية الامريكية التي انفلتت من عقابها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وإبداء كل اشكال المقاومة الممكنة ضد المحاولات الامريكية الرامية الى الهيمنة الكلية على العالم واقامة نظام القطب الوحيد.

في ص ٩ - ١٠ من الوثيقة البرنامجية، أؤيد كافة الفقرات المهمة حول مؤسسة الجيش ودورها الوطني ومهامها ما عدا الفقرة التي تقول: «وتصفية اسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية، والامتناع عن انتاج الاسلحة النووية... الخ ص ١٠ /المصدر السابق». ولكي لا يحصل انلباس في الامر، انا مع تصفية اسلحة الابداء الشاملة التي يمتلكها العراق، ولكن يجب ان يُربط امر تصفيها بالتصفية الشاملة لهذه الاسلحة لكل دول المنطقة على حدٍ سواء، وبشكل متكافئ، ومتزامن وقادر على تحقيق مقولة: «الامن المتكافيء والشامل للجميع»، وفي هذا المجال يجب ان لا تناسي الخطورة الكبيرة التي تشكلها الترسانة النووية والكيماوية الاسرائيلية ضد امتنا العربية، وضد عموم شعوب المنطقة، وحتى بعد زوال الدكتاتورية، ينبغي ان يمتلك شعبنا قوة رادعة ضد اسرائيل للدفاع المشروع عن النفس.

التجديد في المستوى التنظيمي / مشروع النظام الداخلي

يرتدي التجديد في البنية التنظيمية اهمية كبيرة لا تقل عن التجديد في المستوى الايديولوجي

وعن المستويات الأخرى في البنية الشاملة للحزب، وفي هذا المجال فإن النقطة الأولى التي اود اشارتها هو تأييدي الكامل لما جاء في مشروع النظام الداخلي الجديد حول تقليص الحلقات الوسيطة في التسلسل الهرمي الحزبي، ان هذه الخطوة والعمل على الغاء المراتبية الحزبية ستؤدي الى التخفيف من حدة النزعات البيروقراطية في الحزب، وكذلك من الروح الانتهازية لدى البعض من هؤلاء في الحصول على امتيازات من خلال مواقعهم التنظيمية. إلا انه لماذا نسي الرفاق الذين وعضوا مشروع النظام الداخلي امكانية بروز وانتعاش البيروقراطية في اعلى هيئة قيادية للحزب وهي «اللجنة المركزية» وهذه الهيئة هي الأكثر تأثيراً اذا ما قورنت بالهيئات الوسيطة؟ ولماذا لم يتم تحديد عدد الدورات والفترة الزمنية التي يحق فيها للعضو القيادي البقاء في موقعه التنظيمي؟ ولماذا تم تثبيت ذلك في وثيقة آذار وجرى تركها كلياً في الوثيقة البرنامجية الجديدة؟ وهل كان التجديد التنظيمي المطروح في وثيقة آذار هو مجرد صدى وانعكاس للبيروسترويكيا في الاتحاد السوفيتي؟ وحينما زالت البيروسترويكيا تناسينا الموضوع؟ واذا صح ذلك فانه يعني بان محاربتنا للبيروقراطية وتجديد الحزب تنظيمياً لم يكن نابعاً من اندفاع ذاتي حقيقي، ومعنى ذلك وجود بعض الرفاق في القيادة مازالوا يرغبون التثبيت في مواقعهم التنظيمية حتى ولو كان ذلك على حساب الحزب وتطوره^١. لا اريد ان اتهم احداً، لانني لا امتلك الاجابة الشافية، والسؤال موجه لقيادة الحزب، وارجو ان يصلني ويشكل ديمقراطي وعلى ابواب صفحة الثقافة الجديدة ان امكن، لان الموضوع يهم مئات الرفاق غيري.

انني اطالب - بالحاح شديد - ان تتضمن الوثيقة البرنامجية التي سيقراها المؤتمر الخامس للحزب هاتين الفقرتين اللتين سبق وان وردتا في وثيقة آذار، وهما:

« الغاء المرتبة الحزبية فعلياً، وإبراز الهوية النضالية للمهام الحزبية. - تحديد اربع دورات لعضوية متواصلة في اللجنة المركزية، ودورتين لمركز الامين العام، وثلاث دورات لعضوية المكتب السياسي، على ان لا تتجاوز من حيث الفترة الزمنية خمسة عشر عاماً متواصلة، وفي حال الترشيح لدورة اضافية يتوجب حصول المرشح على ثلثي الاصوات. . . ص ٢٨ / الثقافة الجديدة / العدد ٢٢٠ ».

وان التوصل الى اقرار ذلك هو المحك الحقيقي لامكانية انهاء البيروقراطية داخل الحزب، والقضاء على سياسة الامتيازات «والنخبوية» التي طالما تمتع بها بعض القياديين في الحزب طيلة الفترات السابقة، والتي كانت احد الاسباب الاساسية في تراجع الحزب وعدم تنفيذ سياسته الثورية في العديد من المراحل التاريخية.

- في ص ١٤ من مشروع النظام الداخلي تقول فقرة: «ان الحزب الشيوعي العراقي حزب وطني مستقل، يضع المصالح العليا للشعب والوطن فوق أية مصلحة أخرى. . . / الثقافة الجديدة / العدد ٢٣٩ ». اتفق مع هذه الفقرة عموماً وهي تؤكد على استقلالية الحزب التي تعرضت في مرات عديدة للانتفاص بسبب تبعيتها للمركز في «موسكو»، إلا ان هذه الاستقلالية يجب ان لا تتعارض مع مصالح الشعوب المضطهدة، بل تتكامل معها، ومع القيم الانسانية النضالية العامة،

ومع ذلك اقترح ان تكون الفقرة، كالتالي: «ان الحزب الشيوعي العراقي حزب وطني وقومي اشتراكي مستقل، يضع المصالح العليا للشعب والوطن والامة فوق أية مصلحة اخرى»، واعتقد ان القول هنا لا يحدث أي تناقص. بين الامير العربية والكردية ونبصل الشيوعي العربي يحق له الافتخار بأمته وتراثها، وكذلك المناضل الشيوعي الكردي، شرط ان لا يقود ذلك الى بعض التفرات الشوفينية أو القومية المتعصبة الضيقة الاق. وطالما لدى الحزب فرع في كردستان، فللحزب الشيوعي في كردستان العراق الحق برسم برامج خاصة تربوية وتنقيفية حول وضع امته الكردية، وذلك ضمن اطار السياسة العامة للحزب، وروح التآخي بين القوميتين الرئيسيتين: العربية والكردية وكذلك التآخي مع القوميات والاقليات الاخرى.

- في ص ١٨ من مشروع النظام الداخلي - حول فقرة العضوية في الحزب - اقترح ابدال جملة «والى قضية الطبقة العاملة» بجملة اخرى اكثر شمولية هي: «والى قضية الطبقات الكادحة من شعبنا الثقافة الجديدة - العدد السابق».

- في ص ٢٠ حول فقرة الترشيع والعضوية في الحزب، اقترح ان تكون فترة الترشيع للعمال وغيرهم ٩ أشهر بدلاً من ان تكون ٦ أشهر للعمال و٩ أشهر لغيرهم.

- في ص ٢٤ حول فقرة السكرتير العام للجنة المركزية، اقترح حذف جملة «وهو الشخصية التنفيذية الاولى للجنة المركزية» لانها توحي بشيء من البيروقراطية والترجسية الغير مرغوبة، ولانها تميز بين المناضلين في القيادة، ليس هناك اول وثان في النضال. بل هناك اختلاف فقط في درجة تحمل المسؤولية وفي امكانية ومواهب كل رفيق عن رفيقه الآخر.

- اقترح ايضاً استبدال جملة «السكرتير العام للجنة المركزية للحزب» بـ «منسق اعمال اللجنة المركزية».

- في ص ٢٤ / حول فقرة المكتب السياسي، اقترح استبدال جملة «المكتب السياسي للجنة المركزية» بـ «جملة اخرى هي: «مكتب اللجنة المركزية».

حول تغيير اسم الحزب

اعترف انه من الصعوبة بمكان تحديد موقف نهائي من هذا الموضوع الآن، وذلك بسبب توفر موجبات لتغيير اسم الحزب، ولعدم تغييره ايضاً. وللمعملية برمتها جانبان: سلبي وإيجابي. من ناحية انا اتفق مع المتشبهين ببقاء اسم الحزب حول عراقته وارتباط دوره الضمني بتاريخ شعبنا وطبقاته الكادحة. وببجرد كامل، وبمتمهى الموضوعية، اقول ان الحزب الشيوعي العراقي ليس حزباً عريقاً فقط، بل لقد مثل في بعض فتراته، وخاصة من ١٩٣٤ - ١٩٥٨ مصالح وتطلعات الشعب العراقي بأسره، ولست مبالغاً - واعتقد ان أي باحث ومؤرخ موضوعي وجاد سيتفق معي - اذا قلت بان هذا الحزب، وفي الفترة المذكورة مثل روح وضمير الشعب العراقي، ونزوعه من اجل الاستقلال والسيادة والحرية والتقدم الاجتماعي، لن اطيّل يكفي ان اذكر هنا دور الحزب في قيادة الانتفاضات الوطنية: وثبة ١٩٤٨، انتفاضة ١٩٥٢، ومساهمته الاساسية في التهيئة لتفجير ثورة ١٤

تموز ١٩٥٨ - طبعاً لا ننسى دور جبهة الانقاذ الوطني ١٩٥٧ - وفي توفير السياج الجماهيري الداعم لهذه الثورة الوطنية العملاقة. وكذلك دور الحزب في قيادة النضالات السياسية والمطلبية للعمال والفلاحين: نضالات عمال الميناء والسكك وانفاضة آل زبيرج الفلاحية كأمثلة على ذلك. ولكن الموضوعية تقتضي ان نقول ايضاً: ان الحزب بشكل عام - وقيادته بشكل خاص - قد ارتكب خطاين تاريخيين كبيرين: الاول عدم استلامه للسلطة بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، او على اقل تقدير مساهمته الحاسمة في السلطة وفي وجهة تطورها آنذاك. والثاني تحالفه الغير متكافئ مع قادة انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ولقد ادى ذلك الى حدوث حالة احباط لدى فئات ليست قليلة من ابناء شعبنا من امكانية احداث تحويل ثوري للمجتمع العراقي بقيادة الحزب الشيوعي العراقي.

من ناحية اخرى، فان تغيير اسم الحزب لا يتعلق بماضيه العريق، بل يتعلق برؤية اخرى: وهي طبيعة انعكاس انهيار التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ودول اوربا الشرقية على بنية تفكير ووعي ونفسية المواطن العراقي. وفي هذا المجال فاني ادعو الحزب للقيام باستفتاءات عامة داخل التنظيم وخارجه بين صفوف اصدقائه والمتعاطفين معه، وكذلك بين صفوف الجماهير عامة حول هذا الموضوع، وعلى ضوء ذلك يتم تغيير الاسم او عدم تغييره، وحتى لو تم تغييره فان ذلك يعني ان الاسم الجديد لن ينقطع عن تاريخ الاسم القديم، بل هو امتداد تاريخي له، ووارث لنضالاته المجيدة السابقة.

وهنا لا بد من ان نواجه حقيقة هامة وهي ان رفاقنا الشيوعيين في البلدان التي انهارت فيها الاشتراكية وبسبب بيروقراطيتهم وانعزالهم عن الجماهير الكادحة كانوا قد الحقوا ضرراً كبيراً في قدسية وهبة هذه اللفظة «الشيوعية» وفي محتواها ايضاً، اقول ذلك في ذات الوقت الذي يجب ان نعلن فيه عن دعمنا، الكامل لنضال الشيوعيين والاشتراكيين الحقيقيين الآن في هذه البلدان ضد قوى الثورة المضادة والمخربة والمتحالفة مع الامبريالية العالمية.

واذا تغير اسم الحزب، فان الاسم الجديد ينبغي ان يعبر عن الخيار الديمقراطي الاشتراكي شكلاً ومحتوى.

ختاماً: اود القول بانني لا ادعي بان آرائي وافكارتي المكتوبة في هذا المقال كلية الصحة، بل ربما تحوي العديد من الافكار الخاطئة، واعلم عن استعدادي لتصحيحها اذا جاء هناك من يقنعني بذلك عن طريق الحوار الصحي، او الحوار الشخصي المباشر، إلا انني في هذه اللحظة مقتنع فيما ذهبت اليه، وأرى مستقبل أي حزب ثوري في منطقتنا هو في مدى قدرته على التعبير عن السمات الجوهرية التي تشكل واقع هذه المنطقة! اوثناً، وتاريخاً، وحضارة، وبنية نفسية، وفكراً، ورائياً، أي الانطلاق من ذاتنا الى العالم، وليس العكس.

آذار / ١٩٩٢

(١) صحيفة تشرين السورية / ١٦ / ١١ / ١٩٩١، حوار مع الرفيق يوسف فيصل.

(٢) لينين / المؤلفات / المجلد ٣٢ / ص ٣٥١.



– نحو المؤتمر الوطني الخامس - اراء ومناقشات

وجهة نظر خاصة حول مشروع البرنامج

فياض الحمادة

الحزب الشيوعي السوري

مقدمة:

في اطار دعوة الحزب الشيوعي العراقي الرفاق والاصدقاء للمساهمة في النقاش حول الوثيقة البرنامجية للحزب، والمنشورة في «طريق الشعب» (عدد رقم ٧ - سنة ٥٧)، وما نشرته مجلة «الثقافة الجديدة» من وجهات نظر متعددة، اود المساهمة في النقاش على ارضية التزامي الشيوعي ومن خلال وجهة نظر شخصية.

ان الوثيقة البرنامجية المطروحة للنقاش على ابواب المؤتمر الخامس للحزب تتمحور حول نقطتين اساسيتين، الاولى تتمثل بمهمة ملحة وهي اسقاط «الدكتاتورية» واقامة البديل الديمقراطي، ولتحقيق هذه المهمة تتناول الوثيقة مهمات «حكومة ديمقراطية ائتلافية انتقالية» يدعو الحزب الشيوعي العراقي الى تشكيلها، كضرورة لتحقيق الهدف الاساسي المتمثل بازاحة الدكتاتورية.

مقدمة ثانية:

قبل الحديث عن الوثيقة البرنامجية، اود ابداء بعض الملاحظات - المنهجية وهي : ملاحظة اولى: ان برنامج أي حزب تتحكم به، شكلاً - منهجاً ومحتوى، جملة ظروف وعوامل اهمها:

– تجربة الحزب السابقة، وخلال مرحلة معينة.

- وضع الحزب الحالي في البلد الذي يعمل ويناضل داخله .
- الوضع الاقليمي - والقومي - والدولي الراهن - وموقع البلد المعني خلاله ، واشكال علاقاته .

ملاحظة ثانية: ان الحزب الشيوعي العراقي بوصفه (حزباً شيوعياً) يتحمل «جزءاً» من المسؤولية الادبية - التاريخية، عن الوضع الذي آلت اليه الحركة الشيوعية العالمية، بدءاً من انهيار الاتحاد السوفيتي وانعكاسات هذا الانهيار، وانتهاءً بالحملة المسعورة على الفكر الاشتراكي والشيوعي خصوصاً .

وبهذا الاطار لا بد من تقديم كشف حساب امام الشعب يتناول:

- التجربة العالمية؛ اخفاقاتها ونجاحاتها .

- التجربة العربية - والمحلية، واقعها وآفاقها .

- الموقف من الوضع الجديد واحتمالات تطوره اللاحق .

ملاحظة ثالثة: ان الحزب الشيوعي العراقي ، بوصفه فصيلاً من حركة التحرر الوطني العربية والعالمية عليه ان يساهم بوجهة نظره، ودوره بعدد من القضايا المطروحة والملحة مثل:

- المسألة القومية، والوحدة العربية في ضوء التغيرات الجارية في العالم والوطن

العربي، خصوصاً بعد حرب الخليج الثانية، والمستمرة!

- الموقف من قضايا القوميات الاخرى - على الساحة العربية خصوصاً .

- الموقف من حركات التحرر الوطني الاخرى .

ملاحظة رابعة: شكلت حرب الخليج الثانية، حالة انعطافية جديدة على الساحة

العراقية والعربية، ترابطت الى حد كبير بالوضع الدولي والاقليمي المحيط .

ان الحزب الشيوعي العراقي بوصفه حزباً، عراقياً، معني قبل غيره بالوقوف امام هذه الحالة الانعطافية، وتحديد موقف واضح من المسائل التالية:

- مسؤولية «النظام»!

- مسؤولية «الوضع العربي» والاقليمي المحيط .

- مسؤولية الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية .

- الموقف من ما يسمى «بالشرعية الدولية»، والنظام العالمي «الجديد» .

ملاحظة خامسة: على الصعيد الفكري (النظري) يواجه الفكر الاشتراكي عموماً،

صعوبات جدية، تبلورت وتوضحت بعد انهيار التجربة الأم في الاتحاد السوفيتي سابقاً،

وهذا يتطلب توضيحات من الحزب الشيوعي العراقي حول عدد من المسائل مثل:

- الخيار الاشتراكي وآفاق تطبيقه لاحقاً على الصعيد الوطني .

- شكل ومحتوى، الخطاب السياسي للحزب للمرحلة الحالية والقادمة على ارضية التبدلات العاصفة والمستمرة.

- الموقف من الاصولية الدينية، التي تطرح نفسها بديلاً للخيار الوطني التقدمي - القومي الديمقراطي.

في ضوء الملاحظات، المذكورة آنفاً، ارى ان مشروع البرنامج للحزب الشيوعي العراقي (خجول) الى حد ما تجاه العديد من القضايا الملحة، والتي مستها، الى حد كبير، التغيرات الجارية في العالم.

أولاً: الحزب

ان حزب الشيوعيين العراقيين كان ومايزال مدرسة وطنية و(ماركسية) على الصعيد العراقي والعربي عموماً، وكانت بطولاتهم ونضالاتهم ملهماً لنضالات رفاقهم الشيوعيين في البلدان العربية الاخرى، ترى اين يقف الحزب الشيوعي العراقي الآن؟.. ولماذا حصل ما حصل؟

ثانياً: السلطة، والبديل الديمقراطي

- منذ فترة طويلة نسبياً، وادبيات معظم «قوى المعارضة» العربية، ومنها الحزب الشيوعي العراقي، تعلق كل مشاكل شعوبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على شماعة السلطة، مع تغييب الاسس الداخلية التي تحكم استمراريته كسلطة من جهة، ومسؤولية «الشعب» ممثلاً بقواه السياسية (المعارضة) من جهة اخرى، وبهذا الاطار يكون من المفيد جداً ان يتناول الحزب الشيوعي العراقي هذه الاشكالية، على خصوصية العراق واستمرار الدكتاتورية (الخاصة) في الحكم بالعراق.

- وفي اطار الحديث عن السلطة الحاكمة في العراق يحدد مشروع الحزب الشيوعي العراقي الهدف الاساسي (ازاحة الدكتاتورية) عبر تشكيل (حكومة ديمقراطية ائتلافية انتقالية) ويضع امام هذه الحكومة جملة اهداف تتمثل بتصفية النظام الدكتاتوري وآثاره السياسية والاجتماعية، وحرويه الداخلية والخارجية وما رافقها من تشوهات اجتماعية وثقافية واخلاقية... ومأساة الشعب الكردي داخل العراق.. بالإضافة لقضايا النساء والشبيبة والاضاع الاقتصادية المختلفة... الخ. ويشير مشروع البرنامج ان (الحكومة الانتقالية تضم القوى والتيارات الاساسية بالبلاد).

أرى من المفيد للعراق ولحزبه الشيوعي ان يحدد اتجاهات هذه القوى واصطفافاتها وآفاقها، وموقعها من العملية الثورية (الديمقراطية) في العراق، اذ لا يجوز ان يكون

الحديث عن ذلك عموميات ومفردات «مجردة» مثلاً: - من هي القوى التي يستند إليها النظام: التيار القومي - الماركسي - الديني . . الخ .

ثالثاً: الوضع العربي .

إذا كانت إحدى أبرز سمات الوضع الدولي «الجديد» هي بروز التكتلات - الدولية - الاقليمية - القومية ، فإن من واجب مشروع البرنامج ان يتعرض لهذا الجانب بشيء من الوضوح ، ومن خلال كَوْن العراق جزءاً لا يتجزأ من الامة العربية ، وتاريخه جزء من تاريخها ، بل ومساهم اساسي وفعال بهذا التاريخ بمذمّه وجزره ، ولعقود طويلة ، مع الاخذ بعين الاعتبار مصالح الشعب الكردي داخل العراق ، وارتباطه بحركة التحرر الوطني الكردية ، وهذا يتطلب :

- تأكيد مساهمة القوى الوطنية والديمقراطية العراقية في النضال القومي التحرري العربي .

- تأكيد وحدة نضال فصائل حركة التحرر الوطني العربية على اساس الحوار الشامل والديمقراطي والنضال المشترك من اجل الوحدة العربية والديمقراطية .

- موقفاً موضوعياً وعصرياً من قضايا القوميات الاخرى على امتداد الساحة العربية على ارضية المصلحة المشتركة والمتبادلة ، وبما ينسجم مع تطلعات القوى الوطنية والديمقراطية العربية .

رابعاً: الوضع الدولي

ان السمة الحالية للوضع الدولي الجديد ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، هي بروز قطب عالمي وحيد (ولو مؤقتاً) ألا وهو الولايات المتحدة الامريكية ، ولعبها دور الشرطي الدولي الذي يعاقب هذا النظام أو البلد ، أو ذاك ، مع تحول مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة من مؤسسات تمثل الشرعية الدولية (الى حد ما) الى هيئات تابعة ، وتأتمر بما تمليه عليها الادارة الامريكية واستخباراتها . وإذا كان الحزب الشيوعي العراقي قد حدد بمؤتمره الرابع وثائقه اللاحقة مسؤولية الامبريالية العالمية وخاصة الامريكية في تأجيج حرب الخليج الاولى ضد الثورة الايرانية ، فليس «عيباً» ان يحدد الحزب الشيوعي العراقي مسؤولية الامبريالية (الامريكية) في «توليف» حرب الخليج الثانية ، والتي تمثلت بنتائج احتلال العراق للكويت ، خاصة بعد ان توضح للعيان رغبة الولايات المتحدة في احتلال المنطقة ، وضرب مقدرات الشعب العراقي كخطوة أولى لاختضاع كامل المنطقة تحت الهيمنة الامريكية ، وما تحرير الكويت إلا ذريعة لذلك وحق يراد به باطل . وبالتالي

فعلى مشروع الوثيقة ان «يوضح» السمة العدوانية للامبريالية العالمية، وخصوصاً الامريكية، وهذا الموقف الحزبي ضروري من الناحية الادبية - والاخلاقية امام الشعب - المحيط.

ولا ابالغ اذا قلت ان مصداقية أية قوة وطنية على الساحة العربية تتمثل بما تفعله من اجل توطيد وتطوير الوحدة الوطنية من اجل مواجهة التكالب الصهيوني الامبريالي على المنطقة العربية.

وفي الختام اتمنى ان تتكحل عيون الشعب العراقي بسقوط الحكم الدكتاتوري الحاكم على ايدي جميع مناضلي العراق وبجميع انتماءاتهم القومية والدينية. وتحية للشبيوعيين العراقيين، والى مزيد من التقدم والازدهار من اجل عراق حر، وشعب سعيد، والى نضال دؤوب على هدى الاوائل فهد وسلام عادل ورفاقهم.

في اعدادنا القادمة

بعض ملامح تطور الحركة التحررية في كردستان العراق نوزاد عبدالله
منهجية التصنيف العقائدية د. ميشم الجنابي
الميثاقيزيقيا الانسانية بين تشوانغ تسه والفكر الاسلامي هادي العلوي
قوانين المياه الدولية ومشكلة الفرات د. حسن الجنابي
سيادة الدولة وحقوق الانسان د. حكمت حكيم
اخاطبكم واحداً من اغلبيه صامته عامر
درس ابن رشد الزواوي بغورة
استعمار المانيا الشرقية ترجمة: محمد صالح ياسين
من ملامح الخريطة التعليمية د. النداف صالح



نحو المؤتمر الوطني الخامس - اراء ومناقشات

التبويب والشار في مشروع البرنامج

جامعي مغرب

مقدمة

في سبيل ازالة الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي، كمهمة مركزية، قدم الحزب الشيوعي العراقي مشروع الوثيقة البرنامجية للمرحلة القادمة. وتبين الوثيقة مهمات الحكومة القادمة بشكل مفصل ضمن ست عشرة مهمة غير معنونة تشمل مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وتعكس نظرة الحزب، التي وضعها في بيانات لجنته المركزية في آذار ١٩٨٩، آذار ١٩٩٠ وإيلول ١٩٩١. كما تتضمن الوثيقة مهمات جديدة كان لإضافتها مغزى خاص، منها ما يخص الجيش واخرى حول حماية البيئة. وطرح نظرة جديدة نحو اقامة جمهورية اتحادية (فيدرالية) ديمقراطية في العراق. وجرى التركيز في مختلف هذه المهمات وبشكل ملموس على الديمقراطية، وعلى جوانب ذات علاقة بالعمل الجماهيري والديمقراطي، واهمها ما يخص العقائد الدينية والمسائل القومية.

يعتبر مشروع الوثيقة البرنامجية نقلة نوعية تتماشى مع طبيعة المجتمع العراقي وتركيبه القومي والتطورات الجارية فيه مما يجعل من المشروع اساساً لبرنامج قابل للتحقيق والتبني من مختلف الاحزاب الوطنية والقومية والدينية وقادر على استقطاب الشعب وكسب التأييد العربي والعالمي.

مساهمتي هنا لا تتضمن نقاشاً لمهمات الحكومة المقبلة رغم انها اساس مشروع الوثيقة البرنامجية، بل اسعى لتوضيح نقطتين انجذب اليهما انتباهي عند قراءتي لمشروع الوثيقة لأول مرة. احدى هاتين النقطتين ذات علاقة بتبويب وتسلسل المشروع والاخرى ذات علاقة بشعارات الحزب الرئيسية.

التبويب والتسلسل

المتعارف عليه ان اطروحات الحزب وادبياته تتميز بالبساطة والجمالية الابدية والتناسق والتسلسل في تبويب اجزائه وبشكل جعلت من نمط واسلوب اطروحاته مطمئناً لاعدائه . لذا فان من المتوقع ان يثار تساؤل عن افتقار مهمات الحكومة المقبلة الست عشرة لعناوين توضح وتربط الفقرات الواردة ضمن كل مهمة . ان وضع هذه العناوين ليس صفة جمالية بقدر ما يراد بها التنسيق والاحكام لابواب وتسلسل البرنامج . فرغم وجود خطوط عامة تجمع فقرات كل مهمة ومما يسهل تبويبها إلا اننا نجد ان المهمة «اولاً» والمهمة «ثانياً» تختلفان بالتركيب وبشكل الفقرات عن المهمات الاخرى . ففي الوقت الذي خصصت المهمة «ثانياً» للآثار التي خلفتها الحروب نجد ان هناك في المهمة «خامساً» واخرى في المهمة «ثالث عشر» ذات علاقة جملة عن اعادة الفلاحين تكررت مرتين احدهما الى اراضيهم (الفقرة الثالثة من المهمة «رابعاً») والاخرى الى قراهم (الفقرة الرابعة من المهمة «عاشراً») . المهمة «خامس عشر» والمهمة «سادس عشر» متداخلتان . وبعض الفقرات في المهمات جاءت من العمومية بحيث لا تصلح ان تكون فقرة لبرنامج بقدر ما هي جملة توضع في مقدمته وعلى سبيل المثال ما ورد في الفقرة الرابعة من المهمة «خامساً» والتي تنص على «ايلاء اهتمام خاص بالشبيبة العمالية» .

عموماً قد لا أكون صائباً في شرح هذه التداخلات وقد يجري اعطاء تفسير لها ولكن . . . ليس ذلك ما تعودنا في تناسق عال المستوى في برامج واطروحات الحزب .

الشعار والمنهج

يطمح الحزب، وحسب ما بيته جريدة الحزب المركزية (طريق الشعب) الى ان يحدث المؤتمر الخامس للحزب نقلة نوعية في حياة الحزب والبلاد نحو تحقيق شعار «وطن حر وشعب سعيد» . ومع ما يتضمنه هذا الشعار السامي من معاني ويوضح ما يستهدفه الحزب استراتيجياً، إلا ان هذا الشعار مرن يعكس في جوهره معاني عدة . فمنظور الطبقة البرجوازية عن سعادة الشعب وحرية الوطن يختلف عن منظور الطبقات الكادحة . ومنذ تأسيس الحزب، رافق شعار «يا عمال العالم اتحدوا» شعار «وطن حر وشعب سعيد» ليتصدرا برامج الحزب وجريدته المركزية واطروحاته وبياناته . وبشكل لا سابقة له اسقط شعار «يا عمال العالم اتحدوا» من صدارة مشروع الوثيقة البرنامجية . كما نلاحظ ولاول مرة تجنباً لذكر كلمة «الاممية» رغم ورودها في مشروع النظام الداخلي للحزب . ومع ان مشروع الوثيقة البرنامجية واضح باسترشاده بالمنهج الماركسي كما يؤكد في نهاية المشروع على خياره الاشتراكي لبناء المجتمع في المستقبل، وهما بلا شك يعكسان المنهج الذي

يتبعه الحزب من اجل تحقيق شعاره «وطن حر وشعب سعيد»، ولكن هذا الشعار بحاجة ماسة الى ان يرافقه شعار يبين المنهج المتبع.

المسألة ليست في الامة المرحلية لشعار «يا عمال العالم اتحدوا»، بل في مضمونه. الشيوعيون العراقيون حملوا راية الامة. وهذه تم ذكرها في مشروع النظام الداخلي ولم يجر ذكرها صراحة في مشروع الوثيقة البرنامجية. وهذه يكون لها مدلول اعظم في ظل غياب شعار يوضح امة الحزب ونهجه. ارجو ان لا يؤخذ من كلامي ان هناك جموداً في الاصرار على الشعار بقدر ما هو لفتح نقاش حول شعار يرافق الشعار الاساسي للحزب ويوضح نهجه وامميته.

لقد اشبعت نقاشاً مختلف المواضيع في مختلف ادبيات الحزب ولم اجد ما يخص شعار الامة من نقاش سوى اقتراح (لاحظ طريق الشعب تشرين الثاني ١٩٩١) من رفيق يطلب حتى رفع الشعار في صدارة جريدة الحزب المركزية!

انا فخور بان الحزب رفع راية الامة، وأكون اكثر فخراً وانا ارى الحزب لم يتنكر لهذه الراية في وقت كان بأمس الحاجة لها من اولئك الذين ادعوا انهم حمايتها ولم يطبقوا ما ادعوا انهم آمنوا به. وانا فخور، وانا اكرر هنا (وقد لا تكون الكلمات بالنص الحرفي) قول الرفيق فهد «انا وطني قبل ان اكون اممياً، وعندما اصبحت اممياً صرت اكثر وطنية». ولتكن هذه الكلمات ذات المعنى العميق اساساً ومنطلقاً لشعار يوضح امة الحزب ونهجه ويرافق شعاره السامي «وطن حر وشعب سعيد».

خاتمة

انها بادرة لا سابقة عندنا لها ان يقدم حزب مشروع برنامج له للمناقشة وبهذا الشكل الواسع وعلى كافة المستويات ويشمل اضافة لاعضائه، انصاره ومؤيديه، واعضاء وانصار الاحزاب الاخرى والمستقلين... الخ لمناقشته آخذاً كل آرائهم بنفس الجدية والاعتبار. اننا نمارس فعلاً نمطاً فعالاً من الديمقراطية وبادرة نتمنى ان تتبناها كل قوى الشعب واحزابه الوطنية والقومية والدينية. فمثل هذه الممارسة لها فعالية في تهيئة اسس الديمقراطية اكثر قوة حتى من ضمانات حرية الانتخابات البرلمانية. والسبب بسيط: لان افراد الشعب سيتقدمون للانتخابات وهم على علم واضح جداً في ما يقصده كل حزب من برنامجه وبحيث لا يجد أي حزب مجالاً تكتيكياً لان يحدد عما وضعه في برنامجه حتى وهو بحالة سيطرة على نسبة عالية من مقاعد البرلمان.

ومعاً في سبيل ازالة الدكتاتورية واقامة البديل الديمقراطي.



نحو المؤتمر الوطني الخامس - اراء ومناقشات

لمحة على ضوء مناقشة الوثيقتين

ابو ذكرى

قبل ان ابدأ بالمناقشة صادف وان شهدت حادثاً مؤلماً ولكنه بنفس الوقت له معنى كبير يرتبط كما اعتقد بما أريد ان اشير اليه هنا، يتلخص هذا الحادث في «صورة لينين». فقد شهدت هذه الصورة باطارها الجيد والزجاج لم يتكسر مرمية فوق القمامة للحبي الذي اسكنه، ولكن والحق يقال بصورة محتشمة. . ولم يكن لي الوقت لاختذها والرجوع الى الدار، وعند العودة رأيت الصورة نقلت الى مكان افضل ولكن قرب القمامة، وعليه قررت مراقبة الحادث، الذي جعل من هذه الصورة ا شبه بقصة، اذ اخذت تنتقل من مكان الى آخر ومن وضع الى آخر، حتي رأيتها في الاخير قد اقتلعت من الاطار وابعدت عن القمامة شيئاً ما وبعدها ظلت في مكانها ولكن وجه الصورة كان نحو الحائط وبالتالي اختفت الصورة نهائياً.

هذه الحالة تعكس الوضع النفسي كما يبدو لي للشبوعيين الساكنين في هذا الحبي واصدقائهم، فهي تعكس الخوف والتردد وعدم اتخاذ القرار بخصوص الموقف من هذا الرجل العظيم حقاً. هذه الحالة لا تختلف عن المناقشات التي تدور الآن حول الوثيقتين «البرنامج والنظام الداخلي»، وبدأنا نفلسف الامور كمعادتنا وبرزت النظرية الماركسية، والمنهج الماركسي والتراث اللينيني، واختفت كلمة الشيوعية والاشتراكية العلمية، والماركسية اللينينية واخذنا ننظر ونربط اخطائنا وعدم اتضاح الرؤيا امامنا لمختلف

الاسباب بعدم القناعة بمبادئنا، ولهذا جاءت الوثيقتان متعارضتين الى حد ما، وبنفس الوقت يتضح للقارئ ان وثيقة البرنامج بحد ذاتها تعكس هذا التناقض والاختلاف في الآراء.

لنصفح تاريخنا الحزبي، فنحن كنا جميعاً مع تقديس عبادة الفرد منذ الشراة واصدار الاعداد الاولى لجريدتنا القاعدة الى انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ثم وقفنا جميعاً ضد رسالتي موريس توريس وتوغلياتي بالرغم من ما احتوتا من ملاحظات جدية، واخيراً صفقنا بعنف للبريسترويكا، وطبلنا الى بريسترويكا عرية، ولما حصل الانقلاب الكاريكاتيري في موسكو اخذ بعضنا يتشمت ان صح التعبير

وايدهم آخرون وللأسف. وقف الكثيرون بقناعة أو غير قناعة مع موقف يلتسن، ونفس الشيء من الموقف حول اجداث الصين، ورفعنا شعار حقوق الانسان ولا احري ان كنا ندرك عند فوز هؤلاء الذين قمعت حركتهم هل حقاً سيدافعون عن حقوق الانسان؟! نحن هاجمنا المانيا الديمقراطية بعنف وعلى صفحات الثقافة الجديدة وهاجمنا الصين وهاجمنا وهاجمنا، ولكن لم ار مقالة للدفاع عن هونيكير والمعاملة التي يتلقاها، وقد تسرت عليه سفارة شيلى، يا لسخریات القدر!!

بهذه الحالة من القلق النفسي والارتباك ناقش الوثيقتين. . ولا نريد اطلاقاً ان نعترف بان الوضع الدولي وما جرى في الاتحاد السوفيتي وبلدان اوربا الشرقية ترك تأثيراً على واقعنا الموضوعي والذاتي، هذا بالإضافة الى اننا لحد الآن لم نستقر على حالة معينة من الوضع التنظيمي، فأمامي الآن سبعة وثائق للنظام الداخلي من عام ١٩٤٥ ولحد الآن، وجميعها متضاربة وفي كل مرة ندافع عن الصيغة الأخيرة متأثرين بالاضاع المستجدة لا من حيث التطور الذاتي الملموس، بل من حيث انعكاس الواقع الموضوعي والتأثيرات الخارجية، لقد اصابنا وللأسف الشديد شتتا أم ابينا «داء الروح التجاري الخالي من المبدأ»، هذا الداء الذي يؤدي غالباً ببعض الشيوعيين (البلاشفة) الى الانحطاط والتخلي عن القضية الثورية، ان هذا الداء الخاص قد وصفه بيليناك في روايته السنة العارية، حيث يعرض المؤلف نماذج من «البلاشفة» الروس المملوئين ارادة وتصميماً عملياً وهم «يعملون» بكثير من «الهمة» ولكنهم لا آفاق لهم، ولا يعرفون «لا ماذا ولا لماذا» وهم لهذا ينحرفون عن جادة العمل الثوري، ولم يسخر احد من داء الروح التجاري هذا مثل سخرية لينين اللاذعة «ممارسة ضيقة» و«روح تجارية خرقاء» هكذا كان ينعت هذا الداء وكان يجابهه عادة بالعمل الثوري الحي وبضرورة وجود الآفاق الثورية في اقل مهمة من اعمالنا اليومية مشيراً بذلك

الى الروح التجاري الخالي من المبدأ هو ايضاً مضاد للينينية الحق كتكلف الابتكار «الثوري»^(١).

فالصيغ السبع للنظام الداخلي اسمحو لي القول هي نوع من الابتكار الخالي من المبدأ حيث اري في الصيغ المطروحة هروباً من تحمل اعباء النظرية الماركسية - اللينينية ونعتمد فقط على المنهج الماركسي والبعض يضيف مشكوراً التراث اللينيني . ولنسر بلا نظرية ترشدنا علماً بان النظام الداخلي الذي اقره الكونغرس الثالث لعام ١٩٦٧ جاء فيه ما نصه :

«والحزب الشيوعي العراقي يسترشد في نشاطه بالنظرية الماركسية - اللينينية ويدافع عن نقاوتها ضد تشويهات التيارات والعناصر التحريفية اليمينية والعقائدية المتحجرة ويعمل من اجل تطبيقها تطبيقاً خلاقاً على ظروف العراق الملموسة والحزب الشيوعي العراقي يذود عن المصالح الوطنية للشعب العراقي بأسره كما يذود عن المصالح الطبقية للعمال والفلاحين وسائر الكادحين ، وهو يمتز بأمجاد شعبنا الوطنية وبتراثه الحضاري العريق وتقاليده الثورية ويستمد منها العزم والتصميم في النضال من اجل تعزيز استقلال العراق وتصفية مواقع الاستعمار السياسية والاقتصادية والفكرية في ربوعه» فهل هذه الصيغة مرفوضة ولا تقبل التأييد؟

ان من يتصفح التاريخ في الحركة الشيوعية العالمية ويعود الى عام ١٩٤٣ وما حصل بعد قرار حل «الكومترن» من تشويهات وابرزها البراوردية حيث طالب قادة الحزب الشيوعي الامريكي وعلى رأسهم براودر بحل الحزب الشيوعي ، لان الكومترن انحل فلا داعي لوجود حزب شيوعي . انتقلت عدوى هذا المرض الى العراق في حينه وجاء على لسان الشرايين بقيادة عبدالله مسعود القريني نفس الرأي والاتجاه ، وهكذا ظهرت عدة تيارات تحريفية ضد الماركسية - اللينينية ولم تجد من يتصدى لها إلا بعد حوال العشر سنوات . فليس غريباً اطلاقاً ، ان تبرز مثل هذه الافكار دون ان اجد من يدافع عدا القلة عن نظرية الاشتراكية العلمية ونحن الآن يأمرس الحاجة الى تطويرها سيما وان تطورها مرتبط بالتطور العلمي حيث ان التكنولوجيا الحديثة شقت طريقاً شامخاً تفرض وجود منظرين وبالمستوى للدفاع عن الماركسية - اللينينية وتطويرها باعتبار ان هذه النظرية ليست عقيدة جامدة بل انها دليل للعمل .

هذه مقدمة للدخول في موضوع مناقشة الوثيقتين ولا اريد هنا الطعن أو المساس بأحد لانه ليس من حقي ذلك ، بل من حقي ان اعاتب من له القدرة على سد هذه الثغرة ولم يتحرك بل يظل يتفرج بانتظار تكليف محدد!

فبخصوص ذكر الاشتراكية والشيوعية وعدم ذكرها ، والتبريرات التي جاءت بهذا

الخصوص هو ان تجربة الاشتراكية - النموذج السوفيتي وما حصل في بلدان اوربا الشرقية يجعلنا امام فكرة مفادها اذا كنا لم نتمكن بعد من بناء الاشتراكية بالرغم من مرور سبعين سنة واكثر فلماذا نحشر هاتين الكلمتين ونحن غير قادرين على تحقيقها! بالاضافة الى كونهما عاملاً لم يساعد على توسيع القاعدة الحزبية. يدفني هذا الى التذكير فقط به جاء في مقدمة البيان الشيوعي الذي اصدره ماركس وانجلز عام ١٨٤٨ حيث لم يفكر ماركس أو انجلز اطلاقاً ببناء الاشتراكية أو الشيوعية في ذلك الوقت فقد جاء:

«أي حزب معارض لم يتهمه خصومه القابضون على زمام السلطة بالشيوعية؟ وأي حزب معارض لم يلصق بدور تهمة الشيوعية - الدائمة - سواء بأقسام المعارضة التي هي اكثر تقدماً منه أم بخصوصه الرجعيين؟ ويستمر البيان: ومن كل ذلك نستخلص شيئين: اولهما: ان الشيوعية اصبحت قوة معترفاً بها من جميع القوى الاوربية (هذا كان عام ١٨٤٨ - الباحث). ثانيهما: ان الشيوعيين قد آن لهم ان يعرضوا امام العالم بأسره مفهوماتهم واهدافهم وميولهم، ويدحضوا خرافة شبح الشيوعية ببيان من الحزب نفسه»^(١).

من هذه المقدمة ابدأ بالمناقشة للوثيقتين وأبدأ أولاً: بوثيقة النظام الداخلي.

١ - بالنسبة للمقدمة ارجو العودة الى درج الاسترشاد بالنظرية الماركسية - اللينينية . .

الى آخر الفقرة والسبب هو كما اسلفت في مقدمة البحث

٢ - الباب الثاني - العضوية في الحزب، المادة الثانية تركيب الحزب . . اقترح ان

تكون الصيغة كما يلي:

«يضم الحزب الشيوعي . . . باعتبارها قضيتهم بالذات، ولا يقبل في صفوفه العناصر الخاملة والمتردة والمتسببة والثروثة وسيئة السلوك باعتبار ان اعضاء الحزب هم مفخرة شعبنا النبيل».

٣ - المادة (٧) الاستقالة من الحزب، تعدل وتصبح الفقرة (٤) كما يلي: يعتبر

مستقلاً من الحزب كل من تخلى عن الالتزام (بأحد) شروط العضوية (عن قصد)

٤ - المادة (٥) المؤتمر الوطني . ارجو اضافة نقطة انتخاب السكرتير العام لان انتخاب السكرتير العام من المؤتمر له اهميته في تسيير العمل ويعطي السكرتير العام دفعاً اكبر في المبادرات.

المادة (١١) اللجنة المركزية.

تحذف الفقرة (١٣) التي تنص على انتخاب السكرتير العام حيث اقترحت ان ينتخب من قبل المؤتمر الوطني.

المادة (١٣) السكرتير العام:

١ - . . . وهو مسؤول امام المؤتمر الوطني واللجنة المركزية بشأن تطبيق قراراتها.

ملاحظة: انا مع المقترح بخصوص دورتين لعضوية اللجنة المركزية، وعضوية المكتب السياسي والسكرتير العام وفي حالة الدورة الثالثة ان يحصل عضو اللجنة المركزية والسكرتير العام على اكثرية الثلثين من الذين لهم حق التصويت ونفس الشيء بالنسبة لعضوية المكتب السياسي.

* * *

وجدير بالذكر هنا، انه ليست العبرة في دقة نصوص النظام الداخلي أو عدم دقتها بقدر ما العبرة في التطبيق والممارسة اليومية. فما فائدة الانظمة الداخلية اذا كانت توضع على الرف؟ وان الممارسة العملية اليومية بعيدة كل البعد عن الانظمة الداخلية مهما اخذت من وقت في المناقشة قبل اقرارها من اجل اختيار النصوص والجمل الملائمة. ان اللجنة المركزية في حزبنا نفذت ما راق لها في حالات عدة، وفي حالات خطيرة واعطت ننسها حقوقاً فوق المؤتمر الوطني وتجاوزت بذلك صلاحياتها والامثلة على ذلك غير قليلة:

- فهل يحق للجنة المركزية اقضاء اعضاء في اللجنة المركزية وقد انتخبوا من قبل المؤتمر؟

- وهل يحق للجنة المركزية ان تعاقب عضواً في اللجنة المركزية دون محاسبته أو حتى مواجهته بأخطائه اذا كان قد قام بعمل خاطيء يستوجب العقوبة؟
- هل يحق لعضو في اللجنة المركزية في مجال عمله ان يحجب قرارات اللجنة المركزية عن عضو آخر في اللجنة المركزية يعمل معه ولم يدع للاجتماع دون سبب مبرر... أو ابلاغه بقرارات لا صحة لها؟!

وعلى هذا الاساس - اقترح اضافة مادة في العقوبات تنص على معاقبة اعضاء اللجنة المركزية من العناصر البيروقراطية والمسيئة في تطبيق النظام الداخلي.
- اقترح اضافة وصايا الحزب في خاتمة النظام الداخلي. وبالنسبة للمؤتمر الخامس لحزبنا فأقترح ان تكون عضوية المؤتمر بالاضافة الى المنتخبين في الكونغرسات الحزبية استدعاء كافة اعضاء اللجنة المركزية السابقين والذين لم يسيثوا الى الحزب والحركة الوطنية ولم يتعاونوا مع الجهات المعادية، الى المؤتمر لانهم حرموا بغير حق من طرح وجهات نظرهم واستخدام حقهم اسوة بالآخرين واعتقد ان هذا هو حق ديمقراطي واسلوب سليم من الواجب الاخذ به اذا ما اردنا نتائج حسنة لمؤتمرنا الخامس.
أما بخصوص الوثيقة البرنامجية:

بالرغم من كون مشروع الوثيقة البرنامجية كان موفقاً بحدود كبيرة مقارنة بالنظام الداخلي إلا انه لم يخل من بعض الثغرات ان صح التعبير ارى من الافضل تحاشيها، ففي

الفقرة الخامسة اعود فأكرر ضرورة الصياغة على اساس «مسترشداً بالماركسية - اللينينية وسائر التراث الانساني الاشتراكي... الخ» ولا ارى مبرراً اطلاقاً للذكر المنهج الماركسي والتراث اللينيني خاصة وان وثيقة النظام الداخلي أكدت في المادة الاولى على «ان الحزب الشيوعي اتحاد طوعي لمناضلين تجمعهم نظرية واحدة ويكرسون طاقاتهم وحياتهم لقضية الطبقة العاملة والشعب».

اما الفقرة السادسة فقد جاءت على النحو التالي :

«ان المهمة المركزية التي يتوقف على انجازها تحقيق سائر المهمات... وبناء نظام ديمقراطي تعددي تداولي... الخ». هنا اقترح حذف كلمة تداولي اذ لا مبرر لها، اذ ان «بناء نظام ديمقراطي تعددي ينبثق عن ارادة الشعب المعبر عنها بالانتخابات الحرة المباشرة وبالاقتراع السري» كافية تغني المعنى وبالنسبة للنقاط الاخرى المدرجة في البرنامج فهي جيدة وازافة كلمة أو حذف اخرى لا يزيد ولا يقلل من اهمية هذه الوثيقة، إلا ان المهم هو الموقف من الجبهة والتحالفات فمادامت الدعوة الى جبهة عريضة وواسعة الهدف منها تخلص شعبنا من ويلات وآثار مآسي النظام الدكتاتوري وحاكمه «جلاد الشعب»، فتجربة حزبننا غنية بهذا الصدد، وعليه نأمل ان لا تتعالى على القوى المتحالفة معنا ولا تتصرف تصرفاً يساريّاً متطرفاً يعزلنا عن مسيرة القافلة، ولا ان نكون ذليلاً للجبهة نخضع عملنا الحزبي للجبهة كلياً، وتصبح قيادة الجبهة فوق قيادة الحزب ويصبح الحزب مقادراً من الجبهة ويتصرف دون الاخذ ببرنامجه الذي وضع على عاتقه العمل على تطبيقه، فلا موقف يساري انعزالي من الجبهة، ولا موقف يميني ذيلي، المهم ان تكون للحزب سياسة ثابتة وفق برنامجه الذي سيقره المؤتمر المقبل ويعمل على تنفيذه بدقة وامانة ووفق مبادئه.

واخيراً اؤكد على ضرورة ابقاء اسم الحزب الشيوعي ولا داعي اطلاقاً لتغييره، فهذا الاسم اصبح جزءاً من تراثنا الحزبي ولا يجوز ان نقاد وراء الحملة الضارية ضد الماركسية - اللينينية وضد الشيوعيين فالاسم سواء تغير أم لم يتغير فالشيوعيون يقولون شيوعيين، ان الحزب الشيوعي في المانيا الديمقراطية كان يدعى الحزب الاشتراكي الالمانى الموحد، ونفس الشيء بالنسبة لالبايا ويولونيا والمجر وسويسرا والجزائر وغيرها. العبرة في سياسة الحزب، اذا كانت صائبة أو خاطئة فهي عامل كسب الجماهير أو ابتعادهم عن الحزب، وليس الاسم هو الذي تهاجم الجماهير، وقد مضى على اسم الشيوعية حوالي ١٤٥ عاماً. لهذا اؤكد على ضرورة بقاء التسمية ولا داعي للتغيير.

واخيراً اود الاستفسار فيما يتعلق بموضوع الحزب الشيوعي لكردستان العراق واستفساري هذا يتلخص في نقطة واحدة ألا وهي ما الفائدة من مناقشة موضوع تكوين

تنظيم خاص للحزب الشيوعي في اقليم كردستان - منطقة الحكم الذاتي في حين ان العملية آخذة في التنفيذ العملي ، وإن الكونغرسات لاختيار مندوبي الحزب الشيوعي في كردستان العراق أوشكت على الانتهاء ولربما كما تتناقل اخبار القادمين من كردستان ان المؤتمر لهذا التنظيم الجديد سينعقد قبل المؤتمر الخامس لحزبنا . فما جدوى مناقشة هذه النقطة في النظام الداخلي ، يصعب علي حقاً ان اجيب على مثل هذا السؤال وأخاف ان تتكرر خطيئة استمرارنا في مناقشة وثيقتي المؤتمر الرابع لحزبنا في حين كان المؤتمر منعقدًا وحتى يقال كان قد انهى اعماله . . وشكراً.

بودايست ١٩٩٢/٣/١٥

الهوامش

- (١) الاسس اللينينية، ستالين ص ١٥٦ ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، البرافد نيسان وايار ١٩٧٤ .
- (٢) بيان الحزب الشيوعي ، مختارات ماركس وانجلز ، المجلد الاول ص ٤٨ دار التقدم ، موسكو .



__ نحو المؤتمر الوطني الخامس - آراء و مناقشات

حصيلة مناقشة الوثيقتين في موسع احدى منظماتنا

تواصلت مناقشة مشروعي البرنامج والنظام الداخلي الجديدين في
الموسعات التي تعقدها منظمات حزبنا في سياق الاعداد لمعد المؤتمر الوطني
الخامس، مؤتمر التجديد المنشود على مختلف الاصعدة.
وتواصل «الثقافة الجديدة» نشر المساهمات التي تردّها من المنظمات
والرفاق والاصدقاء والكتاب من الاتجاهات الاخرى.
وفيما يلي نشر نموذجاً لحصيلة النقاش الذي دار في موسع احدى منظمات
الحزب.

التقرير الموحد للملاحظات على مشروعي برنامج الحزب والنظام الداخلي

مقدمة :

* درست جميع الهيئات الحزبية عندنا الوثيقتين بروح التروي والجدية، وطرح
الرفاق آراءهم بحرية تامة من خلال محاضر الهيئات، والمداخلات المكتوبة. إلا ان هذه
الدراسة لم تكن معتملة على ما جاء في النشرة الداخلية الصادرة عن م. س. بخصوص
دراسة الوثيقتين، اذ انها جاءت متأخرة، ولم يجر التصويت على آراء الرفاق في الهيئات
الحزبية. ومن خلال هذه المناقشات والدراسات اتضح :

* اجماع الرفاق على ان الحزب اخذ واقع المجتمع العراقي وخصوصيته عند صياغة الوثيقتين من جهة، ومن جهة اخرى نظر الى التطورات السياسية الدولية، وتطورات الحركة الشيوعية، فصاغ باستقلالية وثائقه الداخلية وبذلك اكتسبت الوثائق رضى الرفاق جميعاً من حيث جوهرها العام، باعتبارها نقلة نوعية في حياة الحزب. وقد اغنى الرفاق الوثيقتين بملاحظات يعتبرونها جادة للمساهمة الفاعلة في رسم سياسة الحزب العامة، مما اضفى طابعاً حيويّاً على عموم المناقشات في اجتماعات الهيئات الحزبية. هذا واعتمدنا في تبويب التقرير على: الملاحظات المشتركة، والملاحظات الفردية، والاستفسارات.

الملاحظات والمقترحات بشأن الوثيقة البرنامجية

الآراء المشتركة

أكد ٦ رفاق على تبديل كلمة «ازاحة» في شعار الحزب بكلمة «اسقاط» الدكتاتورية، لان كلمة الازاحة لا تعني الاسقاط، والاسقاط يعني ازالة كل مؤسسات النظام ومنظماته. (١٢) رفقاً كانوا مع الاسقاط في الموسع.

* طرح ٤ رفاق فكرة تغيير اسم الحزب. رفيق واحد اقترح اسماً جديداً هو «حزب الشعب الديمقراطي». اساس الفكرة يكمن في التطورات الجارية في الحركة الشيوعية وموجة التغيير، ولم يكن لدى الرفاق أي استدلال آخر. في الموسع: ١٨ رفقاً مع بقاء اسم الحزب، واحد مع تغيير الاسم، ورفيق واحد متحفظ.

* تضاف «والطبقي» في نهاية «ويصوغ الحزب الشيوعي العراقي وثيقته البرنامجية استناداً الى دراسة المجتمع العراقي المعاصر وتركيبه القومي»، لان المجتمع العراقي غير منقسم فقط على اساس قومي وإنما طبقي ايضاً. وبذلك تكون دراسة توازن القوى السياسية أولى معايير معرفة نضوج الوضع الثوري، وأي القوى هي المحركة للثورة. كان المقترح من ٣ رفاق ونال اجماع الموسع.

أولاً - لم يعط البرنامج كيفية ازالة (اسقاط) الدكتاتورية، وبذلك يجب تحديد الاساليب. ١٣ رفقاً مع وضعها في المقدمة.

ثانياً - فقرة ازالة آثار وعواقب حروب - الخ تضاف فيها «ضد أبناء الشعب العراقي» وتحذف «في الوسط والجنوب»، لان الازمة شملت كل العراق، كان هذا اقتراح ٧ رفاق وحظي باجماع الموسع.

ثالثاً - يضاف الى هذه الفقرة «اعتماد سياسة نفطية... الخ:» والتخلص من اعباء ديون النظام من جراء الحرب العراقية الايرانية وحرب الخليج الثانية والتأكيد على عدم

تحميل الشعب العراقي اعباءها» مقترح من ٥ رفاق نال اجماع الموسع .
- تضاف فقرة «مصادرة ثروة الطغمة الحاكمة اينما وجدت ووضعها في خدمة الشعب

العراقي» . مقترح من ٣ رفاق نال اجماع الموسع .
عاشراً - تأكيد حق الشعب الكردي في تقرير مصيره بما في ذلك حق الانفصال .
مقترح من ٥ رفاق . وصوت ٨ رفاق في الموسع مع تثبيت حق الانفصال .
ثاني عشر - قضية الشباب والطلبة لم تناقش بشكل جيد، وصياغة موقف عام واضح منها، رأي ٣ رفاق تبنته توصية من الموسع .

- الوثيقة البرنامجية بحاجة الى تفصيل اكثر، كما يرى ٣ رفاق .
* في النقطة الثانية حول انصاف جميع ابناء الشعب العراقي يضاف «من عسكريين ومدنيين المتضررين وتعويضهم مادياً ومعنوياً، وإرجاع حقوقهم العامة، والاهتمام بشكل خاص بمشوهي الحرب من خلال انشاء مستشفيات خاصة لهم، وتأهيلهم اجتماعياً» . قبل المقترح باجماع الموسع .

* التأكيد على ضرورة محو الامية قبل المقترح باجماع الموسع .
* تضاف دعوة العراقيين في الخارج للعودة لبناء وطنهم المحتاج الى خبراتهم .
رفعت توصية من الموسع بهذا المعنى .

* الفقرة خامساً : حماية الطبقة العاملة والشغيلة عموماً . الخ ، يضاف اليها «وذلك بسن قانون عمل جديد يضمن حقوق العمال دستورياً وتمثيلهم في ادارة المشاريع والمؤسسات الاقتصادية» . قبل المقترح باجماع الموسع .

* الفقرة (٨) يضاف اليها : ادخال التغذية المدرسية للريف والمدينة . قبل المقترح بالاجماع .

* عدم الاتفاق مع كلمة الدول المتحالفة ويجب تثبيت صفة الامبريالية . لم يقر المقترح .

* الفقرة خامساً : يضاف اليها «الغاء كافة القوانين والاجراءات التعسفية بحق الطبقة العاملة والتي تحد من نشاطها وحقوقها المشروعة، ومنها قانون تحويل العمال الى موظفين، واستعادة الحريات النقابية للطبقة العاملة والشغيلة وحققها في الاضراب عن العمل للدفاع عن مصالحها» . اقر المقترح باجماع الموسع .

رفيق مع المنهج الماركسي والتراث اللينيني .

٥ رفاق مع النظرية الماركسية اللينينية .

٨ رفاق مع المنهج الماركسي والتراث الاشتراكي الانساني .

- ٤ رفاق مع النظرية العلمية (المادية الديالكتيكية).
- * تخصيص القوى المحركة للثورة والقوى المضادة. ١٥ رفاقاً أيدوا المقترح.
- * منع تكوين منظمات حزبية في الجيش. اقر المقترح باجماع الموسع.
- * اضافة «العودة» في فقرة الشعب الفلسطيني. ٩ رفاق أيدوا المقترح.
- * تضاف صفة «فاشي» اينما وردت كلمة دكتاتوري. ١٢ رفاقاً أيدوا المقترح.
- * في فقرة القوات المسلحة تضاف اشارة الى مصير الانصار. قبل المقترح بالاجماع.

مقترحات لرفاق لم يجر التصويت عليها

- التأكيد على جوهر التحالف.
- تثبيت طبقة الحزب.
- اعادة الاقسام الداخلية للتلاميذ في المدن والريف.
- في البرنامج يثبت اسم الحزب ونبرة عن تاريخ الحزب بايجابياته وسلبياته.
- رفيق يرى الابقاء على الشعار السابق للبرنامج.
- في الجانب الاقتصادي لبرالية تتجلى في قضية الطبقة العاملة.
- يقترح رفيق حذف «قرارات المقاطعة» من الفقرة الثانية لانها ستلغى حين سقوط الدكتاتورية.
- يجب تثبيت نوع الدولة الفلسطينية في الفقرة الرابعة.
- تثبيت موقف نقدي تجاه التغيرات في الاتحاد السوفيتي.
- تضاف إلى البرنامج فقرة تشير الى ان حزينا يرفض الاتحاد ويضم مؤمنين في صفوفه.
- اقتراح بتشجيع رأسمالية الريف وليس التعاونيات الزراعية.

مشروع النظام الداخلي

- المقدمة: في فقرة «يسترشد الحزب بالمنهج الماركسي والتراث اللينيني» تستبدل بالمنهج الماركسي والنهج اللينيني. ايد المقترح في الموسع ٤ رفاق.
- * حذف كلمة صغيرها وكبيرها. مقترح ستة رفاق نال في الموسع الاجماع.
- * الباب الاول - المادة (١) تغيير جملة بما يتوافق مع مبدأ المركزية الديمقراطية

«ويلتزم بمبدأ المركزية الديمقراطية». ستة رفاق ايدوا المقترح.
* فقرة (د) - نقطة (٧) يضاف «مقرونة بمصلحة الحزب واقناع منظمات الحزب بذلك».

الباب الثاني: مادة (٦) ب: العودة في هذه الفقرة الى النظام الداخلي الذي اقره المؤتمر الرابع مقترح من ٤ رفاق أقر بالاجماع.

* المادة (٧) فقرة (٢) هذه الفقرة عاتمة يجب تحديدها، مقترح اعادتها الى الفقرة الموجودة في النظام الداخلي الذي اقره المؤتمر الرابع. مقترح من ستة رفاق نال في الموسع الاجماع.

المادة (٨)، فقرة (١): تبديل كلمة «مساءلة» بـ «محاسبة». ١٤ رفيق ايدوا المقترح.

وتبديل كلمة «فصل» بكلمة «طرد». ثمانية رفاق قدموا المقترح وايدوه في الموسع ٩ رفاق.

* الباب الثالث: المادة (٩)، فقرة (٥): تضاف واللجان المحلية وكافة الهيئات الحزبية، مقترح من سبعة رفاق نال في الموسع الاجماع.

* المادة (١٠): ضرورة انتخاب مندوبي المجلس الحزبي العام ولو بشكل اضيق من المؤتمر. رأي اربعة رفاق.

* المادة (١١): انتخاب اللجنة المركزية والسكرتير لدورتين متتاليتين. مقترح من ثلاثة رفاق في الموسع «دورة ثالثة بأكثرية الثلثين»، ٧ رفاق مع الصيغة الواحدة في الوثيقة ١٢ رفقاً مع المقترح.

* انتخاب الهيئات القائدة وسكرتيرها لثلاث دورات، مقترح من ستة رفاق نال في الموسع الاجماع.

* الباب الرابع: ضرورة تسمية «الحزب الشيوعي الكردستاني في العراق» اربعة رفاق مع صيغة الوثيقة (١١) رفيق اقترحوا ذلك. مع بقاء اقليم كردستان خمسة رفاق.

* المادة (١٦): المنظمة المحلية. نقطة (٢) الكونغرس المحلي يستعاض عنها بالفقرة (ج) ويضاف اليها يعقد كل عامين، وهو اعلى سلطة حزبية في المنظمة المحلية. مقترح من ٥ رفاق. في الموسع ١٩ رفقاً مع المقترح رفيق واحد ضده.

* ضرورة تثبيت وصايا الحزب. مقترح ثمانية رفاق نال في الموسع الاجماع.

* التأكيد على تركيبة الحزب الطبقية، مقترح عشرة رفاق. في الموسع صوت ١٢ رفقاً مع المقترح.

- * عدم الاتفاق مع حضور ل. الاختصاص المركزية الى المجلس العام بل مندوبين عنها. ايد المقترح ١٩ رفقاً .
- * ليس ضرورياً تقليص فترة الترشيح للعمال . فترة الترشيح للجميع ٦ اشهر. ١٧ رفقاً مع المقترح ٣٠ رفاق ضده .
- * الباب الثالث، مادة (٩) يضاف كلمة ل. م والمرشحين والاحتياط اليها. تثبت فقرة انتخاب اعضاء احتياط الى ل. م. اقر المقترح بالاجماع .
- * تضاف فقرة «لا يقبل الحزب في صفوفه العناصر الخاملة والمترددة والمتسبية والثرثرة وسيئة السلوك» قبل بالاجماع .
- * مقترح بتوصية : رد الاعتبار لكل الرفاق الذين استشهدوا وابعدوا سابقاً من الحزب لاسباب فكرية . قبل بالاجماع .
- * توصية : كتابة تاريخ الحزب وتقييم تجربته . قبل بالاجماع .
- * تسمية السكرتير الاول بدل السكرتير العام . ١٠ رفاق مع المقترح . ١٠ رفاق ضد المقترح .
- * ترويج آراء الاقلية والمناقشة الحزبية حولها في الصحافة الحزبية . ٦ رفاق مع المقترح . ١٤ رفقاً ضد المقترح .
- * انتخاب السكرتير العام (الاول) في المؤتمر وليس من قبل ل. م. ١٤ رفقاً مع المقترح .
- * توسيع الديمقراطية للاعداد للمؤتمر . ١٧ رفقاً مع المقترح .

مقترحات لم يصوت عليها أو لم تقرر

- حذف الامبريالية من النظام الداخلي لانها لا تناسب الظروف الحالي .
- في المادة ١ من الانضباط تثبيت حضور الرفيق المحاسب وتحذف عبارة «إلا اذا تعلم ذلك» .
- العلاقة غير واضحة بين حشع وج ش في كردستان العراق .
- لا ضرورة لعبارة «الدود عن الشعب الفلسطيني . . الخ» بعد الانتفاضة بل في مواضع غير المقدمة .
- تحديد فترة الترشيح بتسعة اشهر .
- يصيح الصديق رفقاً بدون فترة ترشيح بعد قبوله .

- لا ينتخب مجدداً أعضاء ل. م وم. س والسكرتير العام الذين بقوا في القيادة منذ المؤتمر الثاني.

حول التقرير السياسي

- إلغاء الفقرة الخاصة باوضاع الاتحاد السوفيتي وتقييم محاولة الانقلاب. قبل المقترح بالاجماع.
- اضافة فقرة أو أكثر حول الوضع الاقتصادي. اقر المقترح بالاجماع.
- اضافة فقرة تشخص بدقة القوى التي مع أو ضد النظام خاصة بعد انتفاضة آذار. اقرت توصية بهذا المضمون.

ملاحظة عامة

يرى الموسع بالاجماع ان على الحزب ان يرفق مع التقارير الموزعة على الرفاق الآراء المختلفة الموجودة في القيادة حول مضامينه.

* حضر الموسع الخاص بمناقشة الوثائق ٢٠ رفيقاً من مجموع ٢٦.

لكي تصل مطبوعاتنا بأقل من ثلث كلفتها الى القارىء،
المكتوي بنار التضخم الرهيب، وتستطيع المضي في نضالها من
اجل حريات العقيدة والانتماء والرأي، ندعوكم الى التبرع
لحزبنا.
(يمكن تسليم المبلغ الى منظمة الحزب أو تحويله الى حساب
مجلتنا الجديد).



نحو المؤتمر الوطني الخامس - اراء ومناقشات

حول الموقف من الحزب الشيوعي في كردستان - العراق

وريا سعيد

استجابة للدعوة التي قدمتها اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي (ابلول ١٩٩١) اقدم هذه المداخلة السريعة منطلقاً من ضرورة المواجهة الصريحة واعتماد امانة المسؤولية التي تقتضي طرح الرؤية كاملة، آخذاً بنظر الاعتبار الاحداث والتطورات الاخيرة التي جرت مؤخراً على ارض الوطن، تلك الاحداث التي ستلقي بظلالها على مستقبل الوطن والشعب.

لذا لكي يكون المؤتمر القادم مؤتمر المصارحة والديمقراطية والتغيير علينا اللجوء الى اساليب وحوار جديد في المناقشة، والتي هي من سمات المرحلة الحالية. وهكذا اود البدء بالاشارة الى التطورات التي جرت على الصعيد العالمي وبشكل خاص احداث وتغييرات بلدان المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي، تلك الاحداث والتغييرات التي تجاوزت حدود تلك البلدان وجلبت انتباه الرأي العام العالمي من حكومات وانظم وحزاب ومنظمات جماهيرية، حيث نجد بوضوح تقلص تأثير الحركة الشيوعية في العالم غير الاشتراكي، وبصورة خاصة في بعض البلدان الصناعية، حيث تعاني الاحزاب الشيوعية هناك ركوداً معيناً وحتى تقلصاً في عدد اعضائها. وما حدث يعزى الى اسباب عديدة لسنا بصدد مناقشتها في هذه المداخلة. مع الاحداث وبعدها اصبحت الديمقراطية والتعددية الحزبية وحرية الرأي والتعبير والصحافة والمظاهرات والاجتماعات من اولويات مطالب الجماهير. ودعت الجماهير الى سيادة دولة القانون وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية.

وعلى الصعيد العالمي تم تخفيف التوتر في العلاقات الدولية بين الحكومات ولجأت الى حل المشاكل المعقدة الدولية والاقليمية بالطرق السلمية والابتعاد عن مبدأ العنف والحرب الى حد ما كوسيلة وحيدة لحل تلك الخلافات. ونال ايضاً عدد من الشعوب حقهم في تقرير المصير وشكلت كياناتها القومية المستقلة بعد فشل تجربة بناء دول قوية وكبيرة في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا حيث تتركز السلطة فيها في المركز. كل هذا اثار ويشير جدلاً واسعاً في حزبنا كبقية الاحزاب حول حاضر ومستقبل الحزب وفهمه وموقعه في تلك الاحداث وكيفية اعادة بنائه الداخلي مع كيفية بناء اساليب عمله وعلاقاته بال جماهير ومواقفه مما جرى ويجري في العالم وفهمنا الموضوعي والعلمي لكل تلك الاحداث.

وفيما يتعلق بموضوعنا أي موقف حزبنا من الحزب الشيوعي في كردستان العراق وبالارتباط مع كل ما قلناه اعلاه نرى للأسف الشديد مشروع النظام الداخلي والذي طرح فيه هذا الموضوع لا يستجيب ولا يواكب التطورات الجارية في العالم، حيث هناك بنود وقيود كثيرة تعرقل آفاق تطور منظمات الحزب وزيادة فاعليتها ونفوذها بين الجماهير. فهنا من حقنا ان نتساءل: ألسنا بحاجة الى نظام داخلي يعكس التطورات الاخيرة والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية للمجتمع العراقي وروح مرحلتنا وتطلعات اعضاء الحزب عامة وحاجات الجماهير؟ وفي حالة الجواب ايجاباً، أليس من حقنا ان نتساءل ايضاً أي جهة مسؤولة عن طرح مشروع كهذا؟ بالتأكيد قيادة الحزب وبالاخص اللجنة المركزية هي مسؤولة بالدرجة الاولى حيث لازالت تعالج القضايا والمشاكل التنظيمية والفكرية بأساليب غير ملائمة لروح العصر وتطورات.

الفقرة الواردة في الباب الرابع المادة ١٥ بشأن تحويل لجنة اقليم الى الحزب الشيوعي في كردستان - العراق مقتضبة ومختصرة جداً حيث تقول «بالنظر الى الطابع القومي الذي تتميز به كردستان العراق، يشكل اعضاء الحزب ومنظماته في كردستان تنظيمًا حزبيًا، يسمى بـ «الحزب الشيوعي في كردستان العراق». وهو جزء من الحزب الشيوعي العراقي، يضع برنامجاً ونظامه الداخلي وسياسته، وفقاً للظروف الملموسة لكردستان العراق، وفي ضوء البرنامج والنظام الداخلي للحزب الشيوعي العراقي، وسياسته العامة».

يظهر للقارئ دون جهود تبذل ان قيادة الحزب غير مهتمة بهذه القضية الاساسية بشكل جدي ولا تملك تصوراً ومشروعاً واضحاً لمعالجة هذه المشكلة التنظيمية. فلو كانت اللجنة المركزية جديّة أليس من المفروض ان تطلب من لجنة اقليم كردستان طرح مشروع النظام الداخلي والبرنامج للمناقشة العامة وتبلور آراء صحيحة قبل عقد مؤتمر الاقليم كما طرحوا مشروع وثيقتي البرنامج والنظام الداخلي للحزب؟ ففي هذه الايام في كردستان تعقد كونفرنسات المحليات تهيئة لعقد مؤتمر الاقليم، ولكن الكونفرنسات والمؤتمر تفتقر الى

الوثائق الاساسية والضرورية لدراسة الوضع السياسي والفكري والتنظيمي لمنظمة الاقليم وخصوصيات كردستان. ولا اعتقد ان اللجنة المركزية قليلة التجربة في هذا الصدد. ألا تعرف ضرورة وجود مشروع الوثائق؟ مع هذه الثغرة الكبيرة في عملية عقد مؤتمر الاقليم فان الرفاق الاكراد الموجودين خارج العراق محرومون من مشاركة مؤتمر الاقليم. وللعلم ان هناك عدداً غير قليل من الكوادر من مكتب الاقليم ولجنته وكوادر اخرى في المحليات لديهم تجارب غنية وغير قليلة، فلماذا اذن هذا الموقف؟ هذا القرار يدل على عدم جدية اللجنة المركزية في معالجة هذه القضية الملتهبة بشكل صحيح ومشاركة الجميع في المعالجة، ونحن جميعاً نتحدث بممارسة الديمقراطية وحرية النقاش وابداء الصراحة والجماعية في الدراسة والتعليل والصياغة والقرار. باعتقادي هناك ثغرة وفجوة كبيرة في ممارسة المهام بين الاقوال والافعال. فهنا يكمن الخلل والعلة.

في نهاية الفقرة المذكورة في النظام الداخلي وردت شروط تنظيمية غير ديمقراطية لماذا على (حشك) ان يضع برنامج ونظامه الداخلي على ضوء برنامج النظام الداخلي الخاص بـ (حشع)؟ بالطبع هذا يعود الى المنطلق الاساسي الذي هو اعتبار (حشك) جزءاً و(حشع) هو الاصل، في حين الصحيح والسليم هو اعتبارهما حزبين شيوعيين متساويين ويعبران في برامجهما وسياستهما وتكتيكاتهما عن مصالح شعبيهما ومشتركين في نفس الوقت في النضال والمهام العراقية المشتركة وغيرها. ان كانت هناك نوايا جديّة وصادقة لاعطاء شعبنا الكردي المناضل فرصة بناء حزبه الشيوعي نتيجة بلورة الظروف التاريخية والتي تؤكدّها الاحداث ايضاً، لمَ هذا التردد في اعطاء تنظيمات الاقليم استقلالها الكامل؟ والمسألة ناضجة حسب اعتقادي داخل تنظيمات الاقليم وخارجها. وماذا ستكون ردود الفعل والنتيجة في المؤتمر الخامس للحزب اذا تمسكنا بانخضاع الجزء للكل، علماً بأن الاقليم لا يفترق الى شيء يذكر، اعني من ناحية الكادرات التنظيمية والكفاءات الفكرية والسياسية التي يتحلون بها؟

انني على يقين بان اقرب حليف لـ (حشع) في الحركة الوطنية العراقية سيكون (حشك). هناك عدد غير قليل من الرفاق في الحزب أو نستطيع ان نقول اغليبيتهم يدعون الى تعددية الافكار داخل حزب واحد وذلك لاعتبارات عديدة، فلماذا يعارض بعضهم تعددية الاحزاب داخل بلد واحد اذا كان الحزبان مبنيين على اسس ومفاهيم تنظيمية وسياسية وفكرية واحدة بالإضافة الى حاجات المرحلة وتطلعات اليسار الكردستاني.

من حق الرفاق الذين يعارضون هذا التوجه ان يتساءلوا لِمَ هذا الانقسام؟ اليس من الضروري والمفيد النضال ضمن حزب واحد واطار واحد؟ استطيع القول بايجاز ان مهمات الحركة الكردية هي مهمات تحررية صرفة حتى يكتمل التحرر السياسي والذي بدوره يمهّد

الارضية للتحرر الاقتصادي والاجتماعي . فنحن منقسمون شعباً وارضاً فلا زلنا نعاني من انواع الاضطهاد القومي والسياسي والاجتماعي وهدفنا النهائي هو الاستقلال والسيادة الوطنية . فهذا ما يجب النضال المتفاني لتحقيقه عاجلاً أم آجلاً .

لذا من واجب ومهام الاحزاب والمنظمات الكردستانية اليسارية وغيرها ان تبرز في سياساتها وبرامجها خصوصيات كردستان بالدرجة الاولى وتطلعات الشعب الكردي القريبة والبعيدة . وأما مهمات الحركة الوطنية العراقية فهي مهمات ديمقراطية صرفة . لقد نال الشعب العربي في العراق الاستقلال السياسي والاقتصادي والعسكري والاجتماعي . فمهمات واهداف الحركة الوطنية العراقية برمتها محصورة في سبيل حكم ديمقراطي والذي يحقق طموح الشعب في التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي فهنا يطفح التباين والخلاف حيث ان نشاط الاحزاب والمنظمات الكردستانية يجب ان يكون بالاساس في هذه المرحلة بالذات - التي يواجه فيها شعبنا ووطنه كردستان حرب جينوسايد والابادة والصهر القومي - نضالاً دؤوباً من اجل القضايا القومية والوطنية أولاً وهي مهمة شائكة ولا يمكن انجازها بفترة قصيرة جداً حسب ما اعتقد . وهناك ايضاً مهمات مشتركة لـ (حشك) و(حشع) لذا يستوجب التنسيق والتعاون في بعض المواقف على اساس كونهما : أولاً : حزينين يسترشدان بالمنهج الماركسي في التعليل والصياغة والعمل . ثانياً : يواجهان نظاماً دكتاتورياً وشوفينياً واحداً يضطهد ويقمع الطرفين وعدو لكل ما هو تقدمي وانساني .

بالنسبة لشكل التنسيق والتعاون ارى ان مؤتمر الاقليم يقرر حدود ذلك وليس المؤتمر العام للحزب ، أي الكلمة الاخيرة تبقى لمؤتمر شيوعي كردستان ، يمكن ان يكون التنسيق على شكل لجنة أو هيئة أو امانة عامة أو أي شكل آخر ، وعدد اعضائها يكون بالتساوي من الطرفين فهذا عمل ديمقراطي صائب حسب ما اعتقد في الوقت الحاضر . ومن الضروري هنا ان نشير الى مسألة الانضمام الى منظمات (حشك) . فسكان كردستان من العرب اذا ارادوا ان يعملوا في منظمات (حشك) فمن المنطوق ان لا توضع امامهم أي عراقيل واشكالات ومن الضروري تثبيت هذا المبدأ في النظام الداخلي لـ (حشك) . بالنسبة للمناطق العربية من العراق ، منظمات (حشع) عليها ان تفتح ابوابها امام الاكراد الساكنين هناك اذا ارادوا العمل في صفوفها .

فيما يتعلق بالعلاقات الداخلية والعربية والعالمية للحزبين فكلا الطرفين لديهما كامل الاستقلالية في تحديد علاقتهما ، على سبيل المثال (حشك) يحدد نوعية علاقاته مع الحركة التحررية الكردستانية في العراق والاجزاء الاخرى من كردستان المجزأة ويحدد علاقاته مع الحكومات والمنظمات على صعيد المنطقة والعالم . وينفس المعايير الحزب

الشيوعي في عربستان العراق اذا جاز التعبير يحدد نوعية علاقاته مع الاحزاب والمنظمات العراقية والعربية والعالمية .

وفي مبدأ العلاقات يجب ان تؤكد الاستقلالية الشاملة السياسية والفكرية والتنظيمية أي رفض الوصاية وممارسة النقد والنقد الذاتي لكشف الاخطاء . واشاعة الديمقراطية بأشكالها المتنوعة في كافة مجالات العمل ضمان سليم لاستمرارية العمل المشترك والمثمر .

تبقى مسألة الامتدادات التنظيمية للحزبين في الخارج . في حالة استعداد الرفاق العرب ان يقوموا بمهمات (حتك) والتي هي تحررية في المقدمة ، فليس هناك عراقيل في العمل ضمن تنظيم واحد في الخارج ، في حالة الرد سلباً فمن حق الحزبين ان يملكا تنظيمين خاصين ، أي لكل منهما تنظيماته في الخارج مع الاصرار على بقائهما معاً في القيام بمهمات ونشاطات مشتركة في القضايا المشتركة . فعلى سبيل المثال نضال الحزبين المستقلين ونضال شعب كردستان مع الشعب العربي في سبيل سيادة دولة القانون واحترام حقوق الانسان والديمقراطية وحق تقرير المصير لشعب كردستان من جوهر القضايا المشتركة ومسألة في غاية من الهمية .

اود الاشارة بان الافكار المطروحة لا تحظى بتأييد عدد من الكوادر من الرفاق الاكراد ، فمازالوا ، يعتبرون حل القضية الكردية جزء من القضية الديمقراطية . ويحكم مسؤولياتهم الحزبية ومواقفهم نراهم مهتمين بالقضايا العراقية اكثر من قضية شعبهم الكردي . فهذه الامة نوع من الكوسموبوليتية . وهم ايضاً على دراية كاملة وكافية اكثر من الآخرين ويعرفون جيداً ان اقليم كردستان في العقدين الاخيرين لم يقم بدوره المطلوب داخل حركة التحرر الوطني الكردية (حتوك) وتختلف كثيراً عن حلال موقعه الطبيعي في قيادة (حتوك) مع العلم ان اقليم كردستان لحزبنا الشيوعي العراقي يعتبر اقدم تنظيم كردستاني وشارك بشكل فعال في توعية وتنظيم الجماهير الكردستانية الى جانب قيام منظمات الاقليم بنشر الافكار التنويرية في العهد البائد واعوام الحكومات الشوفينية والدكتاتورية المتعاقبة وله صفحات مجيدة في الدفاع عن مصالح واماني الشعب الكردي ، في النضال السياسي والكفاح الانصاري المتواصل خلال اكثر من عقدين وفي دفاعه عن استقلالية (حتوك) وجهوده مع فصائلها المختلفة وموقفه المعلن خلال الحرب العراقية - الايرانية ويعدها . فهناك كثير من المسائل يمكن كتابتها وايرازها عن دور شيوعي كردستان وتقانيهم وتضحياتهم ، وقدموا آلاف الشهداء الى جانب اخوانهم في (حتوك) في سبيل مستقبل زاهر لشعب كردستان ، ولكن مع كل هذا لا يجوز ان نتجاهل انه كان من المفروض ان يقوم الاقليم بدوره القيادي ، لكنه تخلف كثيراً وتم تجاهل خصوصيات كردستان وواقع (حتوك)

ومهامها في كردستان العراق في سياسات وتكتيكات الاقليم . وطيلة العقدين المنصرمين ربط اقليم كردستان بقيود سياسية وتنظيمية غير منسجمة مع واقع (حتوك) . لذا برهنت التجربة والواقع ان اشراف اللجنة المركزية لحزبنا الشيوعي العراقي ومكتبها على اعمال تنظيم الاقليم قد بلغ حداً من المركزية الشديدة ضمن الوضع العالمي للحركة العالمية آنذاك، بحيث حتى النصوص المسجلة في النظام الداخلي اصبحت على الرفوف في بعض الجوانب . واعتقد ان اقليم كردستان لديه كوادر غير قليلة وقادرة ومجربة لوضع السياسة ومعالجة المشاكل والقضايا المتعلقة بشعب كردستان .

من جانب آخر، لقد استوعب عدد من الرفاق العرب مسألة قيام (حشك) وهذا الاستيعاب حسب اعتقادي نابع من فهمهم الواقعي بحق الامم والشعوب في تشكيل كيانات تنظيمية خاصة بها سواء كدولة وكيان اجتماعي أو كتطبيق سياسي للطبقة العاملة وكادحي ذلك الشعب المعين . وفي نفس الوقت لايزال عدد غير قليل منهم متمسكين بمواقف منقضة لتطورات العصر واحداً ويعتبرون هذه الدعوة تلبية لرغبات غير موضوعية وطفرة فوق الواقع الحالي، اعتقد ان انصار هذه الفكرة لايزالون يعللون الواقع بعقل ستاليني ويعتبرون وجود حزب شيوعي آخر مضراً بالحركة اضافة الى اعتبار أنفسهم اوصياء على بقية الشيوعيين حتى في نفس الحزب . أليس من حق شعب تعداداه اكثر من (٢٥) مليوناً ومحروم من ابسط الحقوق ان يتبنى تنظيماً ماركسياً خاصاً به ويتكلم باسمه ؟ لذا فمن الخطأ اللجوء الى وضع عراقيل واجراءات تنظيمية وسياسية وفكرية داخل تنظيم الاقليم وخارجه امام حاملي هذه الافكار ومؤيديها باعتبارها قضية تهم مصلحة شعبهم ومستقبلها، فعلينا ممارسة الصراع الفكري المتعدد الجوانب والحوار البناء والديمقراطية بأرقى اشكالها بعيداً عن التجريح والاساءة الشخصية . فالمستقبل يقرر صحة وخطأ ما نناقش ونعمل . فد الشيوعيون يدعمون تطلع الشعوب جميعاً الى الحرية، ولهذا يؤيدون النضال الوطني التحرري للشعوب والاحزاب التي تقودها (من كتاب ما هو الحزب - بوغاف . ص ٩٣) . لذا من هذا المنطلق على الشيوعيين العرب ان يكونوا من مؤيدي تنظيم حزب شيوعي كردستاني مستقل وليس هناك شيء يضر بمصلحة الطبقة العاملة والشعب الكادح في عربستان العراق وبالاخص في هذه المرحلة بالذات باعتبار مهمات الحزبين ليس مهمات طبقية . وان ضرورة وجود تنظيم اممي واحد لحزب الكادحين في بلد متعدد القوميات كالعراق مثلاً ليس حقيقة مطلقة وانما ضرورته تتوقف على طابع المرحلة التي يمر بها الشعب العراقي وعدد من العوامل الاخرى الداخلية والخارجية .

فما يجب ان نستوعبه في هذه المرحلة بالذات هو الطرق السياسية والعمل التنظيمي الجديد الذي ينسجم مع تطلعات شعب كردستان، آخذين بنظر الاعتبار كل تلك المأساة

التي فرضت على هذا الشعب خلال ضم وطنه الى الكيان العراقي وبالاخص العقود الثلاثة الاخيرة.

وهناك عدد من الرفاق العرب من ذوي الميول والمواقف الشوفينية الذين يعتبرون كردستان العراق جزءاً ابدياً من العراق وغير قابل للانفصال والاتحام بأجزاء اخرى. فاود الاشارة الى ان هذا الموقف ينسجم مع موقف القوميين العرب الذين يعتبرون ارض العراق وبضمنها كردستان جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي. كما اعتقد، لا يحتاج هذا الموقف الى تفسير. نكتفي بما قال لينين «نحن نحكم على الناس لا على اساس اللقب الطنان الذي يتحلونه لانفسهم، بل على اساس تصرفاتهم وعلى اساس ما يدعون اليه من الواقع» ماركس انجلس - الماركسية. لينين ص ١١٤ نعم، يرافق ما يدعون اليه في الواقع هو اخضاع مصلحة الجزء لمصلحة الكل وبقاء تنظيم اقليم كردستان اسيراً لمواقف وسياسات لا تنسجم مع مصالح شعب كردستان وتغليب ما هو عراقي وعام على خصوصيات وضع كردستان، فهذه السياسة مرفوضة شعبياً ومرفوضة ايضاً نظرياً وعملياً لاحقاً.

وعند الحديث عن (حشك) يرى البعض من الرفاق المسؤولين من مختلف الانتماءات القومية في الحزب، ان هذه الخطوة تؤدي الى اضعاف الحزب الشيوعي في كردستان العراق على الصعيد الداخلي.

اولاً: في مواجهة النظام.

ثانياً: بين احزاب المعارضة العراقية.

ثالثاً: وفي المنطقة العربية والعالم على الصعيد الخارجي.

نحن ماركسي كردستان عندما ندرس أي شكل تنظيمي يهمننا اولاً مصلحة شعب كردستان واعتقد هذا الحق مشروع لابتاء القوميات الاخرى، حيث ان اشكال التنظيم تتغير حسب المرحلة وتطلعات الشعب. وفي نفس الوقت نحن على اهبة الاستعداد لدعم ومساندة نضال الامم والشعوب في سبيل التحرر والاستقلال السياسي والديمقراطية والتقدم الاقتصادي - الاجتماعي بنفس حماس دعمنا ومشاركنا الفعلي لنضال شعب كردستان. اعتقد ان هذه هي الاممية الصحيحة، فاختضاع الجزء للكل أي بمعنى سحق ارادة شعب كالشعب الكردي ومصالحه ووطنه لصالح القومية الكبرى والانظمة الدكتاتورية والشوفينية المتعاقبة فهي اممية ستالينية برهنت الحياة على فشلها امام ارادة ومصالح الشعوب المتعطشة للحرية والاستقلال والديمقراطية الحقيقية.

وما يتعلق بضعف الحزب في مواجهة النظام، فالانظمة الدكتاتورية والشوفينية لم تبخل في محاربة التنظيمات الصغيرة والكبيرة وتصفية اعضائها وكوادرها ولكنهم استطاعوا ان يواكبوا الحياة والتطور لانهم عبروا بسياساتهم عن مصالح فئة أو طبقة معينة، لذلك

فالساسة الصحيحة تحظى بتأييد الاوساط الشعبية والرسمية مهما تكن سعة الازهال والقمع. ان حجم الحزب ليس هو معيار وحيد لمكانة الحزب وتأثيره داخليا وعربيا وعالميا، وإنما السياسة الصحيحة المستندة على دراسة مزاج الجماهير وتطلعاتها والتنفيذ المبدع لها هي الاساس في تنشيط دور الحزب وسعة نفوذه. في الامس القريب كان عدد اعضاء الحزب الشيوعي السوفيتي الذي تجاوز ١٩ مليون عضوا يقارب عدد سكان العراق، بقوا على هامش الاحداث وسياساتهم لم تحظ بتأييد شعوب الاتحاد السوفيتي.

من جانب آخر، حزبا يمتلك في وسط وجنوب العراق تنظيمًا، فهو ليس محصورًا في اقليم كردستان. لماذا يتصور البعض ان استقلال (حشك) يعني انتهاء (حشع) والذي له صفحات مشرقة في تاريخ العراق المعاصر قاد عديداً من المظاهرات والانتفاضات والاضرابات وكان دائما موجودا على الساحة بالرغم من شدة الازهال والملاحقة. ووقف الى جانب الشعب في المحن والمصاعب. ان حاملي هذه التصورات والافكار قليلو الاستعداد للعمل في وسط الجماهير وبين شعبيهم ويريدون ان يبقى الحزب على هامش الاحداث. من جانب آخر كواذر (حشع) في عربستان العراق الذي لديهم تجربة غير قليلة بمواقفهم وعلاقاتهم المبدئية وعملهم المتفاني والمتواصل بين قطاعات الشعب يستطيعون الحفاظ على مكانة الحزب.

هذا وقد تكون مجموعة اخرى تراودها اسئلة مثل: لماذا نحن الشيوعيين العرب لا نقوم بتشكيل حزب شيوعي عربي؟ باعتقادي هذه المسألة تخصهم قبل الآخرين. فاذا وجدوا وتلمسوا ضرورات تشكيله فنحن شيوعيين كردستان لا نتردد في تأييدهم اذا تم تشكيله على اسس ومبادئ ماركسية وبالاخص موقفهم تجاه الشعوب والاقليات القاطنة معهم.

لذا مهما يكن الامر فان مستقبل تنظيمات الاقليم يجب ان يخضع لقرارات مؤتمر اقليم كردستان، ولكن ليس مؤتمر لاقليم كردستان، على الطريقة الحالية الجارية دون وثائق اساسية خاصة بكردستان وشعبه وتنظيم الحزب الملاحق فيه وحرمان كواذر كثيرة اساسية من المشاركة وعدم طرح أي وثيقة خاصة به على المناقشة العلنية الداخلية أو العامة لحد الآن... وهذا المؤتمر يجب ان يكون مؤتمر الصراحة والعلنية والديمقراطية والتغيير. وهو يقر برنامجه ونظامه الداخلي حسب خصوصيات كردستان والاحداث الجارية في العالم. ويحدد نوعية علاقته بالحزب الشيوعي في عربستان العراق بارادة الاغلبية. وفي مشروع البرنامج أيد الحزب فكرة فيدرالية الشعب العربي وشعب كردستان فممكّن ممارسة فيدرالية في بناء الحزب كأحد اشكال العلاقة بين الحزبين على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

هذا ومن الضروري ان تعمل قيادة (حشك) فور اعلان الحزب باتجاه التيارات والمنظمات الماركسية في كردستان واجراء حوار ديمقراطي بناء بصدد تشكيل تنظيم أو حزب أو جبهة يسارية كردستانية كتيار فعال في الجبهة الكردستانية الحالية.

وما يتعلق باسم (حشك) وشعاراته فهذه المسألة يجب مناقشتها واجراء التغيير لكي ينسجم مع المرحلة الحالية. ولسنا بصدد ابداء الرأي حولهما في هذه المداخلة.

اخيراً علينا القول ان اشكال التنظيم الحزبي ووسائل العمل بين الجماهير يجب ان تكون متحركة حسب تحرك واختلاف الظروف والمراحل النضالية. والماركسية كمنهج علمي وجدلي تنفي شكل منظمة حزبية واساليب عملها المطلقة في مختلف ظروف النضال، وإنما شكل المنظمة أو الحزب واساليب العمل يتوقف على مهمات وحاجات الشعب وخصائص الوضع الملموس. لذا على قيادة الحزب ان تعالج المسائل المطروحة في الحزب. فبلون معالجة مبدئية وجدرية تصعب القيادة ويستحيل اتخاذ الاجراءات الصحيحة. فالمهمة لا تكمن فقط في تغيير اسم منظمة اقليم الى حزب شيوعي في كردستان العراق فالمسألة اهم من هذا وهي ضمان مساهمة (حشك) اولاً وكذلك اليسار الكردستاني بقسط اكبر ومؤثر في قيادة الحركة التحررية الكردستانية. لذا يجب الابتعاد عن الشكلية واللجوء الى الديمقراطية الاصيلية وليس الوهمية والاستماع الى آراء الرفاق والاستفتاء العام بشأن القضايا المهمة فهذه هي الطريقة الوحيدة لحل المشاكل المعقدة، فالمسائل المعقدة لا يتم حلها برغبات فردية أو مجموعات معزولة وإنما الحزب يحلل ويصوغ فقط ما نضج في الحياة وما تعكسه تطلعات الاغلبية في الحزب والجماهير.

٢/ شباط/ ١٩٩٢



نحو المؤتمر الوطني الخامس - آراء ومناقشات

رغم ذلك...

فالعادلة حلم الكادحين

حاتم لطفي

منذ فترة وجيزة دفن التاريخ بدويّ هائل تجربة اشتراكية مغدورة من الابناء والحلفاء والاعداء، وتحول البلاشفة الاوائل الذين اقدموا على البدء في محاولة لتبديل عالم الشقاء والمظالم بالحرية والعدالة والمساواة الى رجال متبوزين من بيروقراطيّ الموجة الجديدة. اصارحكم القول ان اشتراكي هذا العالم من كل حذب وصوب ربما غمرتهم المرارة مثلي، ليس من روح التجديد والديمقراطية، ولا من ادانة البيروقراطية التي تستند في سيطرتها السياسية الى مواقعها القوية في الاجهزة الحزبية والادارية والنخب المثقفة وليس من اجهزة الدولة الفرعونية المخيفة التي انتصبت بوجه الشغيلة دافعة اياها الى الضياع بعد ان اوصلتها الى اللامبالاة السياسية «واللامسؤولية الجماعية» وليس من تحول طليعتها السياسية المنظمة الى اداة في جهاز الدولة منفذاً «الوصايا العشر» للعجائز المحاطين برياء التملق والمدبح الكاذب في القصر الامبراطوري. لم تغمرني المرارة من هذا وذاك بل من الاصوات الهاتفة بسقوط فكر الكادحين وحلمهم «بمعدن الشمس» المضئ بالحرية والعدالة والمساواة ومن فرق العازفين على اهانة الشجاعة التي اقتحمت عالمنا القديم المتعخم بالرياء والنفاق وحرب اللصوص، تلك الشجاعة التي عركتها المصاعب والكوارث والمحن وتقاسمت الموت والخراب والامل في الليالي المتجمدة، متصدية لجيوش الغزاة والمتدخلين. وعلى اضواء الديمقراطية وموسيقى الجاز المصاحبة لها، لا بد من كلمة في

الزمن الذي أصبح فيه حمل الامانة العادية ضرباً من البطولة والتضحية، وربما تكون الكلمة ساخنة بحرارة الايمان بغد افضل مترافقة مع الراغبين في التجديد وتطوير الكلمة الناقدة، أو تكون ساخطة خارجة عن حدود اللياقة المألوفة، متعارضة مع اولئك الذين لازالوا يعتقدون ان النجاح يكمن في الحفاظ على المقدسات من اسلحة وكتب وتماثيل، يدفعهم الوهم بان «التجربة الاشتراكية» قتلت بصاعقة من «سماء صافية».

لنختزل التاريخ والوقائع

العودة لسنين الماضي المزدحم بالبنادق والخنادق وحرب النجوم والمعيا بيارود من ينتصر (على من؟) تساعد في نهاية المطاف على رؤية «دروب الآلام» التي سلكتها الشعوب السوفيتية، والمحاطة بصراخ الحضارة الغربية المتوحشة والتي ساهمت في نمو وتطور المركزية البيروقراطية في الدولة السوفيتية، والتي يمكن اعتبارها رافداً من روافد انهيار التجربة المغدورة. فمنذ ان مارست ديمقراطية الغرب المطعونة بأخلاقتها سياسة التهديد والتجويع ضد شعوب الامبراطورية الروسية الثائرة متصدية لتطورها المستقل بات واضحاً تسارع النمو المشوه للديمقراطية السياسية التي افضت الي انتهاك حقوق الانسان الذي تصاعد في فترات معينة الى جرائم كبيرة. فلقد أصبح معروفاً ان الثورة البلشفية ومنذ يومها الاول اقرت مشروعى الارض والسلام^(١) للذين ارست بموجبهما سياستها الداخلية المتمثلة بتوطيد الاسس المادية لتطوير اخوة المنتجين، والخارجية بتوقيع معاهدة صلح برست^(٢) في محاولة منها للخروج من دائرة النزاعات الدولية باعتبارها حرباً للصوصية بين الدول الرأسمالية لاعادة تقسيم العالم. ولذا فليس مستغرباً وعلى ضوء سياسة وطابع الثورة وتوجهاتها ان تعتمد قيادة البلاشفة ومن جانب واحد الى تسريح الجيش القيصري الذي تكون في غالبيته من الفلاحين لاستثمار اراضيهم الجديدة، والاستعاضة عن المؤسسة العسكرية بالميليشيا الطوعية لحماية امن البلد الداخلي متوصلة بذلك الى عدم حاجة النظام الجديد لجيوش جرارة، على الرغم من المخاطر الجدية المنتصبة في وجهها والمتمثلة في مسارعة الدول الاوربية المتصارعة في الحرب الى تقديم الدعم والعون لجزرالات الجيش القديم لفرض مواصلة الحرب الدامية ضد شغيلة هذا البلد. وتطور هذا الدعم لاحقاً الى حرب سافرة ليس بين «الاخوة الاعداء» وحسب بل ومع جيوش المتدخلين الراغبين في دحر الافكار الجديدة التي شكلت خطراً مميتاً لجميع الاطراف المتنازعة. وبهذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان الامبريالية بدولها المختلفة فرضت، منذ الايام الاولى للثورة، سياسة عدوانية ازاء الدولة البلشفية متوخية بذلك تفويض النهج السلمي

للدولة الفتية من جهة وتحجيم تأثيراتها السياسية من جهة أخرى. وإزاء وحشية العدوان وسعة نطاقه أرغمت الثورة الوليدة على الاستعانة بسياسة «شيوعية الحرب»^(٣) التي جرى على أساسها مصادرة المنتجات الفلاحية بالقوة. وأدت هذه السياسة إلى استنزاف طاقة الاقتصاد المخرب أصلاً ناهيك عن أثارها الشكوك إزاء مصداقية الثورة في موضوعه تحالف شغيلة البلاد. وفي الجانب العسكري اضطرت قيادة البلاشفة إلى بناء جيشها الذي تكونت فصائله المسلحة من الأقسام الأساسية للطبقة العاملة خاصة الصناعية منها المجربة في النضالات المتعددة، ومن جراء ذلك حرمت الجماهير الواسعة الغير عمالية من روح الإبداع وقوة التنظيم التي امتازت بها هذه الفصائل. وتزامناً مع تأسيس الجيش الأحمر^(٤) شكلت قيادة الدولة لجنة أمن الثورة التي كونت مع المؤسسة العسكرية الدعامة الأساسية للدولة الجديدة حارطة بذلك التربة لنمو النزعة المركزية والاوامرية الرامية إلى مواجهة المتدخلين واعداء الثورة.

ولقد واصلت الامبريالية سياسة الحصار الاقتصادي والدبلوماسي والتخريب الداخلي حتى بعد ان دحرت جيوش المحتلين عاملة على تغذية الصراعات الداخلية والتي انتهت بصراع مسلح بين البلاشفة والقوى السياسية الاخرى، خاصة مع الاشتراكيين الثوريين الذين انتقلوا الى مواقع معاداة البلشفية بالسلاح متخليين عن سلاح النقد والحوار^(٥). وكانت النتيجة الغاء التعددية السياسية التي اعتمدها القادة الروس كشكل من اشكال الديمقراطية الجديدة. وقد حَرَمَ هذا الواقع الجديد الطبقة العاملة والفلاحين، والمثقفين الثوريين من استثمار الديمقراطية وتطويرها على اساس ايصال ممثلهم الى مجالس السوفييتات التي ابتدعتها الطبقة العاملة الروسية في نضالها كشكل ديمقراطي للحكم يجمع بين السلطة التنفيذية والتشريعية منذ ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧^(٦). وبهذا الحرمان بات الطريق سالكاً امام نظرية الحزب الواحد الذي عانى هو الآخر من الاجتهادات الفكرية حول التطور السياسي والاقتصادي اللاحق وماهية الاشتراكية وشكل تطورها في البلد الواحد المههد بالغزو والعدوان. وقد مهدت هذه الخلافات الفكرية في نهاية المطاف الى تطور كبير في مفهوم المركزية الديمقراطية وبرز خطر البيروقراطية التي تعززت مواقعها في السنوات التي قامت البلشفية فيها باستخدام الدواوينية القديمة للدولة القيصريّة ذات التجربة في هذا الميدان والمؤهلة لقيادة وتسيير اجهزة الدولة المختلفة، بعد ان اتحدت معها اقسام كثيرة من المناضلين القيايين^(٧) مما ادى الى ان يفقد الحزب في هذه الفترة من تطوره بعض خصائصه القيادية، خاصة عندما اضطر الى تسليم وظيفته كعقل جماعي ديمقراطي الى قيادته والاكتفاء بتنفيذ التوجيهات الصادرة اليه من تلك القيادة والتي اقترنت

بتزايد المول الفردية ونزعة الزعامة الستالينية التي أصبحت التيار الفائد والمتمتع بسلطة كبيرة في قيادة الحزب والدولة. وقد شهدت هذه الفترة، اعتماداً على الجملة الثورية والمشاعر الانتحامية، محاولة للعودة الى صيغ «شيوعية الحرب» التي أستعصى عنها بالسياسة الاقتصادية الجديدة «النيب»^(١) بحجة مكافحة التطور الرأسمالي المتنامي في البلد. ويهدف الاسراع بنقل اقتصاد البلد الزراعي المتخلف الى اقتصاد صناعي متطور عمدت قيادة البلد الى مصادرة الاراضي الفلاحية وتحويلها الى مزارع حكومية وتعاونيات جماعية، وأرغمت شغيلة الارض الى الانضمام اليها بالاكراه. فكانت نتائجها آلاف الضحايا الارباء، ناهيك عن تدني الانتاج. وقد ذُكرت هذه الاجراءات للبالغة القسوة والتي مارستها الفرق المرسلة الى الريف السوفييتي تحت ذريعة تكوين «تراكم بدائي» للاشتراكية، ذُكرت بتلك الاجراءات الدموية التي دشنت الرأسمالية الانكليزية عصرها حينما بدأت بتحويل اراضي امرائها المثيرجزين الى مراعي لتربية الاغنام، فاصلةً المنتجين عن وسائل انتاجهم دافعة اياهم الى المدن ليعيشوا حياة التسول والاحرام. وعلى الرغم من هيمنة التيار الستاليني على الدولة والحزب وتصفيته للعديد من الكوادر اللينينية المجربة خاصة العقول المفكرة المعارضة لتهجه، ونقله الحزب الى صيغة عسكرية ذات ضبط حديدي باعتباره «هيئة اركان» الطبقة العاملة، وتحول السوفييتات التي كانت بحق الشكل الاقوى من اشكال الديمقراطية الى اشكال تنظيمية فاقدة لبعض خصائصها القديمة بسبب تغيير نسب العضوية فيها لصالح المدراء وموظفي الدولة والعناصر الشيوعية الجديدة التي افتقدت التجربة الديمقراطية السابقة واعتمادها على قوة الحماس واثحام المصاعب، وتنفيذها الصامت لواجباتها المختلفة، فقد هب كادحو وشغيلة البلاد الواسعة بحماس منقطع النظير مجترحين المعجزات للنهوض باقتصاد وطنهم «الاشتراكي» يلهمهم الامل بغدٍ مشرق وبحياة شريفة ومعهم مثقفو الثورة البلشفية الذين عانوا المرارة وخيبة الامل، مطالبين العالم بالقضاء الحصار الاقتصادي على وطنهم والكف عن التدخل في شؤونه الداخلية. وقد اهتم ضمير مثقفي العالم وكادحيه حينما استمعوا الى النداء المدوي الذي وجهه غوركي والذي تردد في ارجاء العالم: «انتم مع من يارجال الثقافة وتجاوباً مع ذلك النداء هب كادحو العالم الرأسمالي لمساندة الشغيلة الجائعة والمنهكة في البناء بمعونات اقتصادية كبيرة وسادت حركة اضرابية واسعة تضامناً مع ابناء اكثور في ظروف مالمية بالغة الخطورة تنذر بوقوع كارثة جديدة، حيث استطاعت الفاشية في ايطاليا ابطال «الدوتشي» الى رئاسة الوزراء، ونهض الرايخ «للثأر المقدس» بعد ان استردت المانيا عافيتها ساحبة وراءها ملايين الالمان المُحزَّين والمهانين تحت شعارات قومية صاخبة ولصيانة العرق الالمانى» وبناء دولة قومية مركزية كبرى تعيد المستعمرات الالمانية

«الاراضي الضرورية لتغذية شعبنا» مدفوعة بوصية الفوهرر بضرورة «مواجهة الماركسية بالعنف» ذلك العنف «الذي يخلق العوالم الجديدة»^(١١). وامام هذه الموجة من الرياح العاتية مارست المركزية البيروقراطية في القيادة السوفييتية تصفية اخر معاقل المعارضين داخل الحزب الذي تحول بعدها بحدة الى جهاز منفذ لاوامر النخبة القائدة في الدولة بعد ان اندمج فيها وفقد وظيفته الاجتماعية كمنظم وقائد للجماهير وصار فصيلاً عسكرياً يتسم «بالوحدة الفولاذية» التي كانت في الجوهر خنق الافكار المعارضة والمبدعة. وتحت ستار وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية جرت تصفية معارضي التوقيع على «معاهدة عدم الاعتداء بين الاتحاد السوفييتي وبين المانيا الفاشية»^(١٢) التي رأوا فيها خدعة تمارسها الاوساط النازية المسندة من رجال الصناعات والبارونات الالمان والمحاطة بملايين عديدة من ابناء الطبقة المتوسطة المهتاجة في محاولة لكسب الوقت بانتظار فرصة سانحة لتوجيه ضربة عسكرية قاتلة للدولة السوفييتية.

ويفضل توضيحات الملايين وعبقرية الكادحين الذين اجترحوا المآثر في القتال ومواقع الانتاج استطاع الاتحاد السوفييتي مواجهة القطعان الفاشية وقبض له ان يصمد مرة اخرى وساهم بقدرته العسكرية والاقتصادية في دحر الفاشية وانقاذ الحضارة الانسانية والعمل سوية مع الدول الغربية في وضع حد للحرب العالمية الثانية التي كلفت الشعب السوفييتي الملايين من القتلى والمعوقين فضلاً عن تخریب وتدمير الآلاف من مدنها وقراها ودمار في البنية الاقتصادية التي شيدتها جهود الكادحين لتبدأ الاشتراكية بنموذجها الستاليني في مواصلة الحياة حاملة معها تناقضها الداخلي المميت. فمن جهة تطورت المركزية والبيروقراطية بشكل مخيف والتي اصبحت تعني الطوابق المختلفة لاجهزة الدولة المنعزلة اكثر فأكثر عن الجماهير الكادحة والمعتمدة على توصيات «القائد العظيم» الذي غذى روح الفطرسه والتعالى لديها بعد ان اصبحت رجل الاممية الاول، ومن جهة اخرى خنتها لأي شكل من اشكال الديمقراطية والشرعية الاشتراكية التي اصبحت تتعارض مع امتيازاتها المكتسبة^(١٣). وجرى تعليق القوانين الديمقراطية التي سنتها المجالس السوفييتية في المراحل المختلفة نتيجة للصراعات الفكرية السابقة وتغيب الدور السياسي للجماهير التي باتت تشعر اكثر فأكثر باحباط متزايد نتيجة لاقصائها عن النشاط السياسي الفاعل مما دفع البيروقراطية الليبرالية «بعد ذوبان الجليد الخروشيقي» الى ادانة القيادة الستالينية وعبادة الفرد وجرائم الحقبة الماضية في محاولة منها لاعادة الثقة الى الشغيلة السوفييت واعادة روح النشاط والمساهمة في العمل السلمي الجديد على اساس استثمار العلاقات الدولية الجديدة التي ظهر خلالها الاتحاد السوفييتي كدولة جبارة مستنداً على «المنظومة الاشتراكية» المتخمة هي الاخرى بروح المركزية والسائرة في طريق النموذج الواحد

المفضي الى تجاهل خصائصها الوطنية والقومية والواعد باختناقات اقتصادية سياسية قادمة .

ان تنقية العلاقات الدولية من اجواء عدم الثقة بالاستناد الى سياسة التعايش السلمي والمباراة الاقتصادية التي اقراها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي^(١) والتي عكست ميلاً موضوعياً لحاجة الاشتراكية لتطوير اقتصادها واعادة بناء ما خربته الحرب، لم يلقَ استجابة كافية من جانب الاوساط المحافظة في البلدان الامبريالية بل بالعكس من ذلك واصلت هذه الاوساط سياسة التدخلات السافرة مرة وحروب وكالة المخابرات المركزية مرة اخرى^(٢) ناهيك عن الاستمرار في نهج خيرات الشعوب المختلفة بوصائل بربرية احياناً وبلغة الحضارة والعلاقات الاقتصادية احياناً اخرى والتي ضمنت في نهاية المطاف لعوالم رأس المال المرونة والاستمرار والتكيف وتكديس الثروات الهائلة لتطوير اقتصادها وصناعتها الحربية مقسمة الادوار والمهام بينها بهدف انتزاع المبادرة من «دولة الشر» . وقد ادت سياسة الحصار المستمرة وتصادد حدة الحرب الباردة والتلويح بالقوة بالاضافة الى السياسة الخروتشوفية المرتجلة الى نجاح البيروقراطية المحافظة على اقصاء العناصر الليبرالية من قيادة الدولة والحزب^(٣) والعودة الى سياسة الجدران الحديدية والابواب الموصدة مرغمة على تطوير ماكنتها العسكرية مشددة بنفس الوقت على تخليها الواضح عن موضوعة حتمية الحرب مع العالم الامبريالي على اساس التوازن النووي الاستراتيجي الذي بلغه الطرفان المتناحran وكذلك تأكيدها على تأجيل بناء الاشتراكية في بلدان العالم الثالث، مكتفية بدعم البرجوازيات الحاكمة في هذه البلدان جاهدة على اختراع اودية فكرية تتسم باللامبالاة السياسية ازاء مصائر القوى الديمقراطية واليسارية من خلال التضحية بالديمقراطية السياسية، والاكتفاء ببعض الاصلاحات الاجتماعية المحرزة في العديد من هذه البلدان مشجعة اياها لبناء نموذج سياسي مشوه لدولها اقترن بتشديد المركزية وتطور العسكرية وسيادة الحزب الواحد. ورداً على نهج الاوساط الغربية المتمثل في رفض سياسة التعايش السلمي والاصرار على لغة التهديد والتدخل العسكري ضد شعوب هذه البلدان والتي حاول بعضها ان يشق له طريقاً يتسم بالاعتدال والكرامة الوطنية واصل الاتحاد السوفيتي مساعدته لهذه الدول مندفعاً في مناسبات عديدة الى الخروج عن دائرة دفاعه الوطني ليمد جيوشها بالسلاح والخبراء لصد الغزو والعدوان عنها أو التدخل احياناً في دول نطاقه الامني «المجر جيكوسلوفاكيا وافغانستان» لصيانتها من الثورة المضادة أو لقمع رياح التغيير فيها^(٤).

ان دراسة هذه الوقائع تقود الى استنتاج مفاده ان العالم الامبريالي بديمقراطية البرك الدامية استطاع كسب المعركة الاقتصادية بعد ان دفع عدوه التاريخي الى بناء ترسانة

عسكرية ضخمة على حساب الجوانب الاقتصادية التي تؤدي الى رفاه الكادحين وتطور المباراة السلمية الاقتصادية بين النظامين، الاقتصاديين. وبذات الوقت كان هذا الصراع الطويل والمرير احد العوامل الاساسية الذي نمت وتطورت في وسطه بيروقراطية الدولة والحزب الوليدة الشرعية للثورة الشديدة والتي تميزت باللامرورية والجزرية وخفق الديمقراطية التي تعتبر الشرط الرئيسي لتطوير الشرعية الاشتراكية وسيادة دولة القانون والعدل.

«لندع كل البراهين المملة»

لقد تركت سياسة دعم الانظمة الوطنية اللاديمقراطية التي انتهجتها البيروقراطية في القيادة السوفييتية اثرها على تطور الاحزاب الثورية والديمقراطية التي الهمتها ليس سمعة القادة التاريخيين وحسب وإنما سمعة الجماهير الكادحة التي قاتلت عارية في الخنادق والمصانع والمزارع حاملة بعالمها الجديد الذي تختفي فيه تقارير المخابرات والمنافي السبيرة. وقد استطاعت القيادة البيروقراطية المحافظة منها والليبرالية استغلال هذه المشاعر والنجاحات على الرغم من «الانقسام الكبير»^(١) للتأثير على هذه الاحزاب وتوجيهها نحو التجربة الواحدة والغاء تنوع الخبرة التاريخية للحركة الثورية العالمية وحصرها في خبرة التجربة الروسية. وادت صيغ التشاور والتعاون في العلاقات الاممية بين القيادات المختلفة للحركة الثورية والديمقراطية لبلدان العالم مع قادة «الشقيق الاكبر» الى تفقيس بيروقراطية من نمط آخر داخل العديد من هذه الاحزاب التي جاهدت من اجل الاقتداء بالتجربة الرائدة وتطورت لديها نزعة التمجيد والتشديد على اهمية تبني الموضوعات النظرية التي انتهجتها النخب المثقفة للمحافظين السوفييت والتي كان جوهرها الاغتراب عن الواقع الوطني، حيث جرى رسم السياسات المختلفة للكثير من هذه القوى والحركات على ضوء الفتاوى الصادرة من كهنة الماركسية وحراسها والتي سلبت روح الابداع والاجتهاد من قيادة بعض الاحزاب الثورية والديمقراطية واعاققتها من مواصلة النضال من اجل الديمقراطية السياسية ودولة القانون. ولم يقف التأثير المشوه عند هذا الحد بل حاولت بعض الحركات اليسارية التخلي عن فكرة تنظيم الجماهير وربطها بالعمل السياسي النشط ودفعها للمطالبة بالحرية وحقوق الانسان ساعية الى الاكتفاء بوحداية الحزب الحاكم معللة ذلك بصيانة الانظمة الوطنية ففاقت الدول الموالية للغرب بالارهاب وكنم الاصوات والانفاس. وعلى صعيد العلاقات الخارجية مع القوى السياسية الاخرى اصطلفت اغلبية القوى اليسارية والديمقراطية مع البيروقراطية السوفييتية في صراعها ضد

الاحزاب اليسارية الراغبة في التجديد والتأكيد على خصائصها الوطنية رافضين بنفس الوقت اقامة أية علاقات سياسية مع احزاب الاشتراكية الديمقراطية وقد شدد هذا الاصطفاف الفكري على الصعيد الدولي من فرز سدة كبار في العديد من القوى الديمقراطية لصيانة النصوص المقدسة من «ثلاث» التطور والابداع الذي لا يليق بعظمة التاريخ والاسلاف والابطال بعد ان لبس الكثير منهم ازياء الماضي الزاهية وتدرعوا بمقولاته، وشعاراته، وسيفه، ومتاريسه. وسارت في طليعة المسيرة الطافرة العائدة الى الماضي الجليل جوقة القساوسة المتشردين والمعززة بفصائل من قادة التنظيم في الاحزاب المختلفة الذين استغلوا واقع الارهاب الجاثم على الكثير من الاحزاب الثورية وحماسة المناضلين في تنفيذ واجباتهم الحزبية، لتبرير تعطيل الديمقراطية الداخلية لسنوات طويلة فاتحين الابواب لهيمنة المركزية الأمرة التي احاطت نفسها بنظام الطوابق المتعددة وثبت الكادر الساعي الى نزع الاحتراف الوظيفي والذي فقد جوهره الثوري وتحول الى صيغة للارتزاق مستخدمين شعار «الكادر يحل كل شيء» رافضين الديمقراطية الداخلية وتعدد الآراء والاختلاط مع الكادحين.

فلا غرابة اذن ان نفرز في نهاية المطاف بيروقراطية حزبية في العديد من قيادات هذه الاحزاب والمنظمات تتمتع ببعض الامتيازات التي وفرتها بيروقراطيو الدولة الاشتراكية حتى باتت هذه النخب البيروقراطية بمعنى ما جزءاً من بيروقراطية الدولة الاشتراكية وذلك عندما تحجرت برامجها وشعاراتها وتجمدت سياسة المراحل والنماذج الجاهزة المنبثقة من موديلات التطور للاراسمالي والدولة الديمقراطية الثورية وذات التوجه الاشتراكي في نشاطها.

الهزائم بدلاً من النجاحات

على دويّ مدفعية الديمقراطية وحقوق الانسان اطلّت البيروقراطية الليبرالية في القيادة السوفيتية الى العالم برايات التجديد والعلنية التي اكتشفت دفعة واحدة بقدره «رجل الابتسامة العذبة...»^(١) وانشد الجميع لحن الحرية الخالد يدفعهم الامل في اعادة القيم المهدورة، قيم الشرعية الاشتراكية والديمقراطية ودولة القانون والعدل والاعتماد على حكمة المتحجّين والكادحين الذين اغرقوا في اللامبالاة السياسية. وسعت البيروقراطية الجديدة الى التلاعب بلغة العصر لترسم في البدء سياسة المصالح المشتركة والامن المتبادل في علاقاتها الدولية، طارحة هذه المرة شتى الاردية الايديولوجية لاسلافها المحافظين، متخفية الغام الاممية البروليتارية بشعار الحضارة الانسانية الواحدة، وبند

الايديولوجية في العلاقات الدولية والتي على اسمها جرى نبذ محيطها الامني السابق «البلدان الاشتراكية»، وتركها تحت رحمة الاقدار وتوجيه «ركلة» قاتلة للانظمة الوطنية والمحليّة لها، وفك الارتباط مع الحركات الديمقراطية واليسارية، تحت واجهة المصالحة الوطنية ساخرة من تضحياتها الجسيمة متخلفة بسرعة كبيرة عن سلاحها ومنجزاتها وحضارة شعوبها متوجة الحاجة الموضوعية لاستمرارها بحكم البلاد ليس على اساس تطور الديمقراطية والشرعية الاشتراكية والمحافظة على المنجزات التي ابتدعتها مبادرة الكادحين والمفكرين بل على اساس الامتيازات التي اكتسبتها خلال مسيرتها المجيدة في خدمة جهاز الدولة والحزب وتجلّى ذلك في الصراعات المحتدمة بين تيارات البيروقراطية الحاكمة المحافظة منها والراغبة في مواصلة التأكيد على امتيازاتها المتمثلة في قيادتها لاجهزة الدولة الاتحادية المختلفة والطامحة الى التغيير على اساس توطد علاقاتها مع الغرب الامبريالي والابقاء على ديمقراطية شكلية يحترق الجميع فيها، والليبرالية القومية المدعومة من اوساط كبيرة خارج البلاد والطامحة الى اعلاء شأن القومية الروسية التي انهكتها التضحية الاممية المستمرة لصالح القوميات الاخرى^(١) سواء تلك المتعاشية معها في الدولة الاتحادية أو تلك التي التزمت ازاءها بمعاهدات دولية والتي ادت في نهاية المطاف إلى نفاذ صبر الاوساط المحافظة منها وقيامها من سلطة الرئيس التي فقدت هيبتها واصبحت «كضياء نجم بعيد»^(٢) «وانى القيام بالمحاولة الانقلابية المعزولة والتي اسفرت عن انتصار لا بد منه للبيروقراطية الليبرالية القومية التي سارعت الى تقاسم التركة الكبيرة لدولة الاتحاد بعد تفكيكها مقيمة على انقاضها بناء سياسياً اقتصادياً جديداً يرتكز على عودة مظفرة للمركزية الشديدة فاتحة الطريق امام حروب الاخوة وشقاء الكادحين ولكن هذه المرة ليس من خلال «العقب الحديدية» والطبول الاممية بل بعلنية صاخبة وشعارات قومية جديدة براءة.

وعلى الضفة الاخرى شرب الغرب نخب الانتصار على «الافكار الخبيثة» ولكن بقلق يتزايد حجمه تغذية تساؤلات عديدة حول ماهية عالمنا الجديد ومستقبله ودور شعوب عالمنا الثالث المفضل بالديون والمعقوبات وحراس مجلس الامن وغطرسه الدركي الامريكي الذي تتصاعد عربده يوماً بعد آخر، ومظاهر الركود الاقتصادي والبطالة والعنصرية الجديدة التي تفرق شوارع اوربا بشارات هتلرية. وبأفواه فاغرة يتساءل الكثيرون عن دور روسيا التي تطل بعلمها القومي ونشيدها القيصري على الجمهوريات الناتحة:

«وكنا كالزروع شكت محولاً فلما استمطرت مطرت جرأداً»
بعد ان دمرت بنيتها الاقتصادية ومحاولاتها السريعة للعودة الى الاشكال الرأسمالية تبدأ رحلة العذابات الطويلة متوهمة بقيادة الثرثارين «والمخمومين»^(٣) خلق امبراطورية

كبيرة تصارع الغرب بنمط رأسمالي متخلف وبشكل سياسي شديد المركزية والبيروقراطية ويتساءل العالم أيضاً عن مصير الشغيلة الروسية التي ايقظت من سباتها العميق مندفة الى العمل السياسي النشط والمفتوح على كل الاحتمالات.

وبانتظار «افضل الازمنة»

لتقرع الاجراس وليتمجد اسم الرب

ثلاثا

١٩٩٢/٢/١٥

الهوامش

- (١) في تشرين الثاني ١٩٦٧ أقر المؤتمر الثاني للسوفييتات مشروع الأرض والسلام.
- (٢) في بداية عام ١٩١٨ وقعت روسيا السوفيتية معاهدة صلح بريست مع ألمانيا بشروط مجحفة اذ تعهدت روسيا السوفيتية بموجب هذه الاتفاقية تسليم الطرف الالمانى مليون كم^٢ من اراضيها يقطنها ٤٦ مليون نسمة وتحولها الى محميات للامبريالية الالمانية ودفع تعويضات مالية قدرها ٦ مليارات مارك أي ما يعادل ٢,٥ مليار روبل بموجب بروتوكول اضافي وألغت روسيا السوفيتية هذه الاتفاقية في نهاية ١٩١٨ بعد اندلاع الثورة البروليتارية في ألمانيا وهروب القيصر ويلهلم.
- (٣) اقرت هذه السياسة تسليم المواد العينية الاثامي لدعم الفصائل المسلحة المتصدية للمردان واستمرت بين ١٩١٨ - ١٩٢١.
- (٤) في ١٥ كانون الثاني ١٩١٨ تأسس الجيش الاحمر من المتطوعين وفي ٢٩ أيار تحول الى التجنيد العام الاثامي للعمال وقرء الفلاحين.
- (٥) ١٩٢١ - ١٩٢٢ تم اتخاذ قرارات حول تقييد العمل السياسي العلني وجررت محاكمة عدة احزاب جراء نشاطها المعادي.
- (٦) نشأت السوفييتات ابان الصراع السياسي في روسيا في ثورة شباط البرجوازية الديمقراطية ١٩٠٥ - ١٩٠٧ وكانت الطبقة العاملة الروسية صاحبة المبادرة في انشائها وحظيت السوفييتات بانتشار واسع في ١٩١٧ بوصفها هيئات ديمقراطية تعبر عن مصالح جميع كادحي روسيا وبعد الثورة الاشتراكية اصبحت نموذجاً لتركيب الدولة.
- (٧) يتحدث جون ريد في عشرة ايام هزت العالم عن هذا الاتحاد قالجنرالات والمدراء يخططون ومثلو السلطة السوفيتية يضعون الشرعية بمصادقتهم على تلك القرارات.
- (٨) جرى رسم السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب) بعد انتهاء الحرب الاهلية ١٩٢١ لغرض تحفيز الفلاحين على الانتاج وتطوير التبادل البضاعي. وقد وقف الى جانب هذه السياسة بوخارين متصدياً للدعوات الى التخلي عنها.

- (٩) جان جاك شوفاليه - امهات الكتب السياسية ص ٣٥٧ - ٣٦٠ .
- (١٠) في اعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٨ جرت محاكمات موسكو الشهيرة والتي تم خلالها تصفية ما سمي آنذاك «التكتل اليميني التروتسكي المعادي للسوفييت» وكان ضمنهم بوزنارين - ريكوف - زينوفيف مع مجموعة اخرى من المسكرين .
- (١١) يقول الكاتب الجيكوسلوفاكى ميلنار «ان البيروقراطية ليست طبقة جديدة ولا تتصرف كطبقة جديدة لكن التاريخ يثبت ان الاقسام الكبرى منها يمكن ان تتمسك بالسلطة للدفاع عن مصالحها» نقله ارنست ماندل الى أين يسير الاتحاد السوفيتي في ظل غورباچيف / دار كتعان لدراسات والنشر ١٩٩١ ص ٩٦ .
- (١٢) في عام ١٩٥٦ انعقد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي حيث حاولت البيروقراطية الليبرالية التي اذانت الفترة الستالينية بعث الشرعية الاشتراكية ويمكن اعتبار هذه المحاولة جزء من ضغط القاعدة الحزبية والعناصر الديمقراطية .
- (١٣) حاولت وكالة المخابرات المركزية تخريب لقاء القمة بين خروتشوف وايزنهاور عام ١٩٥٨ حينما ارسلت طائرة تجسس اسقطت على اراضي الاتحاد السوفيتي .
- (١٤) جرت محاولة اولى للاتاحة بخروتشوف في عام ١٩٥٧ من قبل العناصر الستالينية مولوتوف فروتشيلوف ولكنها فشلت بسبب مساندة اللجنة المركزية له وبأغلبية مطلقة ولعب دوراً متميزاً في فشل الحملة المعادية كل من سوسلوف - بريجنيف وفي عام ١٩٦٤ جرت الاطاحة بخروتشوف على يد نفس العناصر التي كانت مؤيدة له . انتظر - نحن والعرب - حولة اجتماعية ، سياسية وعلمية - دار التقدم - موسكو ١٩٩٠ ص ٦١ .
- (١٥) جرى التدخل في المجر عام ١٩٥٦ عندما اندلعت الثورة هناك بقيادة رئيس الوزراء امري ناج ، وفي عام ١٩٦٨ تدخلت القوات السوفيتية لقمع ما سمي بريبع براغ بقيادة سكرتير الحزب الشيوعي دوشيك أما في عام ١٩٧٩ فقد تدخلت القوات السوفيتية لصالح بابرآك كرمال الذي تزعم جناحاً في حزب الشعب الافغاني ضد جناح آخر بقيادة حفظ الله أمين .
- (١٦) جرى الانقسام الكبير في الحركة الشيوعية العالمية بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي وتطور لاحقاً الى معاداة صاروخة بين الصين والاتحاد السوفيتي .
- (١٧) درجل الانبسامة العذبة والاسنان الحديدية وصف اطلقه اندريه غروميكو على غورباچيف .
- (١٨) «البيروقراطية انها اتحاد من الناس قائم على مصالح خاصة بهدف حمايتها والدفاع عنها وهذه المصالح الخاصة تسمو بفتح المصالح العامة للدولة» ماركس النص مقتبس من دور بيجيف - سركولوف ، ديمقراطية أم البيروقراطية حول النظام التمثيلي السوفيتي - دار التقدم ١٩٩١ ص ٢٤ .
- (١٩) في السبعينات تنذر الطلاب السوفيت حول المساعدة التي يقدمها الاتحاد السوفيتي للدول المختلفة بما معناه «في الغرب السود يكادون والبيض يكادون» . أما عندنا فالبيض يكادون والسود يكادون .
- (٢٠) هناك دلالات واضحة على علم غورباچوف بالمحاولة الانقلابية منها على سبيل المثال رفض السلطات الروسية علنية محاكمة المتهمين بالمحاولة الانقلابية .
- (٢١) وصف اطلقت الصحافة الاميركية على يلتسين .

كربلاء....

والاعداد لثورة العشرين

محمد حسن السلامي

يا من تمرّس بالحُلّي وروّضها فكان رغم ضوايرها له الغلب
محمد سعيد الصكار

لقد كان تاريخاً فاصلاً ومرحلة دخلها العراق عنوة، بدءاً من يوم ١١ آذار ١٩١٧ بدخول القوات الانكليزية المحتلة بغداد. فكان التاريخ هذا انعطافة جديدة في مسالك متعرجة في مسار التحولات التاريخية للعراق. فان المحتل الجديد كانت له، قبل احتلال بغداد، مستعمرات في الشرق الاقصى وذرة تاجه لها، امتداداً الى افغانستان في الشرق فضلاً عن مستعمراته في الغرب. فما كانت خبرته المكتسبة عبر تاريخه الاستعماري خلال القرون الماضية ضئيلة في كيفية ايجاد السبل المناسبة لتصريف ومعالجة امور البلد الذي يستحدث احتلاله بما يتوافق مع سياسته الاستعمارية اساساً، بطول نفس ظاهر، وعلى قاعدة المعلومات الاستخبارية الواسعة المتحصلة.

وبالفعل فان العراق الذي وقع تحت كعب الجزمة العسكرية البريطانية «الكافرة» بعد ما كان يثن من سياط الجندرية التركية «المسلحة» لم يلق تحت نفوذه دون دهاء ومكر اضافة الى سياسة العصا التي يمتاز بها كل المستعمرين خلال القرون الماضية.

فقبل احتلال بغداد كان لقاداتهم السياسيين علاقات واتصالات متعددة النشاطات، ومتنوعة الاغراض مع شخصيات من اهالي المدن المختلفة في العراق. بعدما استتب الوضع العسكري في بغداد للمحتلين الجدد بدأ استثمار هذه العلاقات، اذ كفلت رجالات يسرون شؤون مدنها بأنفسهم دون التدخل المباشر من قبل القوات البريطانية أو حكماها السياسيين، باعتبار ان ذلك مرحلة انتقالية ليس من السهولة تغييرها اوائل الاحتلال، وهذا ما تؤكد المس بيل: «كانت هذه الطريقة الوحيدة التي امكنا الالتجاء اليها، لان تعيين ضابط بريطاني مع ما يكفيه من الحرس لم يكن ممكناً من الوجهة العسكرية»^(١).

كربلاء وادارتها الاهلية:

كان للمدن المقدسة بعض الامتيازات منها اعفاء ابنائها من الخدمة العسكرية. لكن التغييرات التي طرأت على الدستور سنة ١٩٠٨ ومبدأ المساواة الذي كانت تدعو اليه (جمعية الاتحاد والترقي) تعني الغاء هذه الامتيازات، لكن الادارة التركية استمرت على معاملة هذه المدن بالامتياز السابق بحيث ان الكثير من الهاربين قد التجأوا الى كربلاء. فقرر الاتراك اعادة هؤلاء الفارين الى خدمتهم أولاً وفرض التجنيد على اهالي المدن المقدسة ايضاً. ف وقعت اضطرابات شديدة سنة ١٩١٥ مما ادى الى استلام شيوخ البلد زمام الامور الادارية فيها، بعد ان أخرجت مؤسسات الحكومة من كربلاء، ومن بين هؤلاء الشيوخ محمد علي كمونة وعائلته. وتؤكد المس بيل ان الاخير قد اتصل بالسربرسي كوكس حينما كان في الكويت في ايلول ١٩١٥ وتبادلا الرسائل في شؤون مختلفة منها كيفية تسيير شؤون المدينة اذا تم تنصيبه حاكماً على الولاية^(٢) نظراً لمخاوفه من عودة الاتراك الى المدن المقدسة وما يقتربونه من فظائع، خاصة ما وقع في الحلة سنة ١٩١٤. كما ان الشيخ محمد علي كمونة كان ضمن الوفود التي حضرت الى مكتب رئيس الحكام السياسيين البريطانيين. وكان شيوخ عشائر وجهاء العاصمة ورجال من جميع الطبقات قد وفدوا اليه بعد احتلال بغداد، فتم تخويله بالمحافظة على الامن والاستقرار في كربلاء، كباقي المدن الاخرى التي حضر بعض رجالها.

ان الاستراتيجية والتكتيك العسكري لا يستهوي تمتع العدو المنهزم ببعض عناصر الاستمرار والبقاء على قيد الحياة حتى وان كانت تلك العناصر غير هامة ولا تشكل خطراً يُذكر على القوات المنتصرة بالمفهوم العسكري لذلك نجد ان القوات البريطانية قد اتفقت مع فهد بك شيخ مشايخ آل عزة لايقاف نقل البضائع عن طريق البادية الى ما تبقى من

القوات التركية في المناطق الفراتية . كما كان ذلك سبباً في تبدل الاحوال وتنحية آل كمونة عن تسيير الشؤون ، حيث ان قوافل من السلع والمواد الاخرى تمر من كربلاء نحو العشائر الاخرى المنتشرة في البادية . كما ان السلطات البريطانية اعتبرت ان الشيخ محمد علي يتجاهل مرور هذه القوافل أو يتساهل في ذلك . أما بالنسبة لفخري الدين كمونة فقد اعتبر مشتركاً في هذه الامدادات التي تحتوي على الرز والقمح والاقمشة . فقد تم استدعاء الاخير الى بغداد لمقابلة السريسي كوكس في ٧ ايلول ١٩١٧ ومنها نفى الى الهند بعدما تجمع لدى الحاكم السياسي البريطاني من معلومات حول هذه المسألة . أما الشيخ محمد علي فقد تم ابلاغه شفهاً بطلب السفر الى بغداد ، فلم يستجب بسهولة . لذلك بعدما علم ما جرى لاختيه فخري الدين من اعتقال ونفي ، غير ان السريسي كوكس وجه اليه رسالة خاصة اخبره فيها بضرورة ان يحل محله ضابط بريطاني بصفة معاون حاكم سياسي في كربلاء . بعد تشجيع بعض العلماء في كربلاء والنجف سافر الى بغداد ، وفي يوم ١٢/٥/١٩١٨ عين الكابتن (براي) معاوناً للحاكم السياسي في كربلاء . واسندت الكليدارية فيها الى حميد محمد علي كمونة .

الاستفتاء العام الاول :

لم يكن خاف على السلطات البريطانية المحتلة في مركزها لندن ما يجري من احداث وما يعتمل من افكار لدى الحركات السياسية الوطنية أو الدينية ، في مساحة شاسعة دخلت في مرحلة جديدة من تاريخ حافل بالاحداث والتقلبات . فقد بدأ انحسار دور الرجل المريض تركيا فكانت ثورة الشريف حسين مع ابنائه في الحجاز سنة ١٩١٦ ضد الدولة العثمانية ذات اثر هام على جماهير واسعة من المثقفين وغيرهم خاصة وان ضباطاً عراقيين كانوا ضمن ثورته تلك . هذا من جانب ومن جانب ثانٍ برزت الافكار القومية التي اصبحت محفزاً نشطاً ضد هذه الدولة الآفلة . أما ولايتها في العراق فكانوا يسيرون ولاياتهم بلا ضوابط دينية أو مذهبية ولا يعاون بأية قيم اجتماعية محلية مما ترك أثراً عنيفاً ضدهم . وعلى سبيل المثال ، في نيسان ١٩١٦ بذل الاتراك جهداً كبيراً في حملة شديدة قاسية لاختضاع اهالي كربلاء ، اشاعوا بان فخري الدين كمونة قد قد حرض بعض القبائل لمساعدة اهالي كربلاء ضد عشيرة بني حسن التي بدورها قامت بهجمات ضد البلدة ولا يبدو ذلك بعيداً عن ايادي وتشجيع السلطات التركية ذاتها لهم . اثر ذلك طوق الاتراك دار فخري الدين واعتقلوه فثارت تائرة المدينة ، واصطدم الجمعان يعنف كما استخدم الاتراك مدافعهم ضد بيوت واهالي كربلاء ، فأصابت المدافع حتى العتبات المقدسة فيها . غير ان

نتائج المعركة لم تكن إلا لصالح اهالي كربلاء، فتأسست ادارة خاصة يديرها آل كمونة . وقبل ذلك كانت المدينة سنة ١٨٤٢ قد شهدت واقعة نجيب باشا الذي دخل بحصانه الى الحرم الحسيني بعد معارك فازت بها القوات التركية^(٣).

كل هذه العوامل مع غيرها ما كانت خافية على المخابرات البريطانية بل ان تقارير رجالها وزياراتهم للعراق قبل الاحتلال يمكن ان تؤخذ على اساس تمهيد الجو السياسي لدخول القوات البريطانية العراق.

بعدما سيطرت القوات الغازية وتم تعيين حكام سياسيين للمدن اوعزت السلطات البريطانية في لندن الى وكيل الحاكم الملكي العام في بغداد باجراء استفتاء عام من اسئلة محددة هي :

١ - هل يفضل العراقيون تأسيس دولة عربية واحدة تستهدي بارشادات بريطانيا وتمتد حدودها من حدود ولاية الموصل في الشمال الى الخليج ؟ .

٢ - وفي هذه الحالة ، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب ان يكون على رأسها امير عربي ؟

٣ - واذا كان الامر كذلك ، فمن هو الذي يفضلون نصبه رئيساً للدولة ؟ .

هكذا نجد ان الاسئلة المستفتى عنها تنمّ صياغتها عن الدور الاساسي الموكل للحكومة القادمة . فالخدمة ظاهرة من الاسئلة حينما نتحدث عن دولة عربية واحدة ، رئيسها عربي ، من الذي يفضل ان يكون هذا الرئيس ؟ بين طيات هذه العناصر التي تستجيب للحس الوطني والقومي تم تسريب «تستهدي بارشادات بريطانية» .

اوعز ارنولد ويلسن وكيل الحاكم العام للحكام السياسيين البريطانيين في المدن بتوجيه اجوبة الاستفتاء حسبمايتناسب مع عدم الالتزام بتشكيل حكومة وطنية عراقية .

ويبدو ان ذلك لم يكن خافياً على بعض العناصر الوطنية والدينية في بغداد وكربلاء ، ففي الكاظمية قدمت مضبطة (عريضة) الى السلطات البريطانية هذا نصها :

باسم الله الرحمن الرحيم

بناءً على الحرية التي منحتنا اياها الدول العظمى . وفي مقدمتها الدولتان الفخيمتان انكلترا وفرنسة . وحيث اننا ممثلو جمهور كبير من الامة العربية العراقية المسلمة فاننا نطلب ان تكون للعراق الممتدة اراضيه من شمال الموصل الى الخليج حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربي مسلم هو احد انجال الملك حسين . على ان يكون مقيداً بمجلس تشريعي وطني . والله ولي التوفيق .

حرر يوم الاربعاء ربيع الثاني ١٣٣٧ التوقيع : محمد مهدي الصدر . الشيخ ابراهيم السلماني . الشيخ مهدي الخالصي . عبد الحسين آل الشيخ ياسين . احمد آل

السيد حيدر. السيد حسن الصدر. وتواقع كثيرة أخرى بحيث يكون المجموع ١٤٣ توقيعاً (مضبطة الكاظمية رقم ٨ الكاظمية)^(١).

الى جانب الوعي الوطني الذي يتجلى في رفض الاحتلال، فقد تعاضد معه العامل الديني الذي كان عنصراً توحيدياً لفئات عديدة تكاثفت في مظاهرات وتجمعات في جامع الحيدر خانة والكاظمية مما جعل الاستفتاء يتعرقل بشدة.

أما في كربلاء فإن المس بيل تشكل الصورة عنها بوضوح حين تقول «ان المجتهدين في كربلاء والكاظمية حرموا على المسلمين ان يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية، فبلغ الاختلاف حداً أوقف سير الاستفتاء. فما هي حكاية هذه العرقلة ومن الذي أوقفه؟

لقد كان هنالك بعض التمايز بين موقف علماء النجف وعلماء كربلاء أو الكاظمية في مسألة الاستفتاء، إذ ان كبير علماء كربلاء كان من المتشددین ازاء الاحتلال البريطاني والاستفتاء الذي اراده المحتلون لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية، هو العلامة محمد تقي الشيرازي كبير علماء ومجتهدي كربلاء آنذاك. وقد انتقلت اليه المرجعية الدينية بعد وفاة العلامة محمد كاظم اليزدي في تلك الآونة كما ان التقارير التي تتحدث عن العلامة محمد تقي الشيرازي لا تفصل مواقفه وحركاته عن ابنه، الوطني الثائر محمد رضا الشيرازي. فقد افتي والده فتواه التي كانت بحد ذاتها ثورة ضد المحتل، وهذا نصها:

باسم الله الرحمن الرحيم

ليس لاحد من المسلمين ان ينتخب أو يختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين.

٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧

الاحقر

محمد تقي الحائري الشيرازي^(٢)

تقول المس بيل عن هذه الفتوى: «فقد اصدر العالم الاكبر في البلدة فتوى بتكفير أي شخص يرغب في تشكيل حكومة غير مسلمة»^(٣). هكذا تم إيقاف مخططات استعمارية عبر هذا الاستفتاء خاصة في كربلاء ذاتها والكاظمية، أما النجف فقد جرى الاستفتاء وأصبحت نتائجه قطعية.

احدث اصدار هذه الفتوى ثم توزيعها بنطاق واسع على العشائر والاهالي في المدن اثراً كبيراً جداً اربك السلطات المحتلة. وبهذا أصبحت كربلاء قطب الرحي في الاستقطاب المتصاعد ضد الانكليز مما اضطرهم الى سحب بعض موظفيهم وعناصرهم الهامين من كربلاء خاصة وانه في خريف ١٩١٩ اكتشفت عملية كانت مخططة لقتل ضباط بريطانيين مع موظفيهم. وقد ادى ذلك الى اعتقال رجال من الاهالي في كربلاء.

فطلب العلامة الشيرازي اطلاق سراحهم بكفالاته الشخصية . كان اطلاق سراحهم مشجعاً على الاستمرار في مخططاتهم الاولى ، فزاد الوضع تآزماً داخل كربلاء ، وتقدم العلامة الشيرازي بفتوى جديدة حرمت الادارة البريطانية من الحصول على موظفين عراقيين يساهمون في تسير شؤون عامة في البلديات ، فان الفتوى «تحرّم توظيف المسلمين في الادارة البريطانية» ، كان ذلك في اوائل آذار ١٩٢٠ فبدأت الاستقالات تزداد من الادارات الحكومية .

ممهّدات الثورة:

في هذه الاثناء وبعدما عين الملك عبدالله ملكاً على العراق وهو في دمشق يوم ٩ آذار، طُلب الى شيوخ قبائل الفرات ان توقع عريضة تدعو الملك للقدوم لتسلم مملكته العراقية . يتحدث المؤرخون عن ان هذه العريضة قد تم التوقيع عليها وارسالها من الشامية ، عندها وجدت القبائل واهالي المدن بين يديها رسائل تم توزيعها بشكل واسع . وهي كالتالي :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فان اخوانكم في بغداد والكاظمية وكربلاء والنجف، وغيرها من انحاء العراق، قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك التظاهرات، مع المحافظة على الامن طالبن حقوقهم المشروعة المتبعة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية، وذلك بان يرسل كل قطر أو ناحية الى عاصمة العراق وفدّاً للمطالبة بحقه، متفقاً مع الذين سيتوجهون من انحاء العراق عن قريب الى بغداد . فالواجب عليكم بل على المسلمين الاتفاق مع اخوانكم على هذا المبدأ الشريف، وياكم والاخلاق بالامن والتحالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فان ذلك مضر بمقاصدكم ومضيق لحقوقكم التي صار الآن اوان حصولها بأيديكم، وواصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم، واماوالمهم، واعراضهم . ولا تتالوا احداً منهم بسوء ابدأ، وفقكم الله جميعاً لما يرضيه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كربلاء ١٩ / ١٠ / رمضان ١٣٣٨

الاحقر:

محمد تقى الحائري الشيرازي^٣

يتفق الكثير من الباحثين على ان عمليات الثورة لم تكن وليدة ردود فعل لاحداث اعقبها هذا اللهب الذي امتد الى كل العراق بعدما قدح زناده في الفرات الاوسط . بل من

الثابت انه كان يوجد تخطيط واتفاق سابق لتصعيد اللهيب والصراع الى الحد الذي يثير الثورة على امتداد واسع. فرسالة الشيخ الشيرازي تم تليتها من قبل اهالي المدن بان اوكلت عنها بعض وجهائها للسفر الى بغداد والقيام بالتظاهرات مع ارسال العرائض معهم بتواقيع عديدة.

العلاقة مع بغداد:

عقد في جامع الحيدر خانة التجمع الكبير يوم ٢٤ أيار ١٩٢٠ والقي القبض على احد المشاركين في اليوم التالي، مما ادى الى اضراب عام والقيام بتظاهرات كبيرة في بغداد. واوكلت هذه المظاهرة لبعض الشخصيات الوطنية والدينية تمثيلهم امام الحاكم الملكي العام وفي يوم ٢ حزيران الموافق لـ ١٤ رمضان تم عقد الاجتماع من ٢٠ شخصية من بينهم محمد جعفر ابو التمن، السيد ابو القاسم الكاشاني، السيد محمد الصدر، يوسف السويدي، فؤاد والد فندي، سعيد النقشبندي، رفعت الجادرجي... وغيرهم. فسلم السيد يوسف السويدي عريضة تتضمن المطالبات التالية: أولاً: الاسراع في تأليف مؤتمر يمثل الامة العراقية لتعيين مصيرها. فيقرر شكل ادارتها في الداخل ونوع علاقاتها في الخارج. ثانياً: منح الحرية للمطبوعات، ليتمكن الشعب من الافصاح عن رغباته وافكاره. ثالثاً: رفع الحواجز الموضوعة في طريق البريد والبرق، بين انحاء القطر أولاً، وبينه وبين الاقطار المجاورة له والممالك الاخرى ثانياً... الخ^(١).

وهكذا تصاعد الحماس والشعور الوطني المعادي للاحتلال، خاصة بعد ان اصبحت المرجعية الدينية للعلامة محمد تقي الشيرازي. ولا بد ان نذكر ايضاً ان ابنه الشيخ محمد رضا كان من الحماس والروح الوطنية التي ساهمت في هذا الاحتدام. لكن المراجع الغربية وتقاريرها تسيء التقدير عندما تعتبر ان الشيخ محمد تقي من الكبر والشيخوخة بحيث ان ابنه هو الذي يوجهه. فهي تلغي ذلك العداء المستحكم للاحتلال البريطاني من قبل العلماء والوطنيين لدوافع دينية أو سياسية... فما بال هذه التقارير لم تذكر رسالة وصلت في يوم من ايام رمضان من العلامة الشيرازي الى الزعيم الوطني جعفر ابو التمن تقول: «... فسّنا اتحاد كلمة الامة البغدادية، واندفاع علمائها، ووجوهها، واعيانها، الى المطالبة بحقوق الامة المشروعة...»^(٢) فبعد قراءة هذه الرسالة في الآلاف المؤلفة من المجتمعين في صحن الكاظمية بادر في اليوم التالي رؤساء الطوائف المسيحية واليهودية، وعلى رأسهم البطارقة، والقسس والرهبان والحاخاميون، لمقابلة علماء الكاظمية، واعلنوا تأييدهم.

كما تشير الرسائل التالية الى ان الثورة يتم الاعداد لها حثيثاً:

- ١ - تعدد النسخ للرسائل الخاصة بالمجاهد الشيرازي التي كانت تصل الى العشائر والمدن بتوقيعه رغم الزعم البريطاني بان توقيعه عليها مزورة مع انه لم يتصل منها .
- ٢ - زيارة كربلاء من قبل رؤساء وشيوخ العشائر ايام عيد الفطر الذي صادف منتصف حزيران .

٣ - التنقلات الخاصة للسيد عبد المهدي المنتفكي (الناصرية) الى بغداد واجتماعه بالشيخ مهدي الخالصي ثم اتصاله بمبعوثين من النجف وزعماء في الشامية وابي صخير . ثم سفره الى الناصرية ليفتح العشائر هناك بالثورة .

٤ - اجتماع الشيخ رحوم الظالمي بجمع من رؤساء العشائر وتسليمهم فتوى الامام الشيرازي ومن بينهم المرحومان شعلان ابو الجولان وغيث الحرجان في الشوملي .

مما يجد ذكره هنا ان هذه الاتصالات والتحركات واصدار الفتاوى لم تكن بدافع ديني بحث اذ ان الحماس الوطني كان متقدماً ليس في بغداد والكاظمية فحسب، بل في نفس كربلاء ايضاً حيث ان نجل الشيخ محمد تقي الشيرازي لم يكن من المكانة الدينية بمرتبة الاجتهاد بل ان فكره المعادي للاحتلال والمتفتح على الحركة الثورية في العالم كما يبدو كان احد الدوافع لهذا العداء المتواصل الذي لم يكل يوماً . و تتناول التقارير البريطانية هذه المسألة ومنها يمكن الاستنتاج من نفس سيرة هذه الشخصية بعض المميزات الهامة ومنها :

- ١ - انه من المعادين للاحتلال البريطاني بفعالية مؤثرة .
- ٢ - انه ذو تأثير كبير على الوضع السياسي من خلال علاقاته بالقبائل والوجوه الوطنية، مع توفر عامل هام كونه نجل العلامة المرجع الاعلى .
- ٣ - هنالك زعم بريطاني بكون الشيخ محمد رضا الشيرازي له علاقة بالبالاشفة وان تحركاته لاثارة الثورة وايقاف الاستفتاء كانت بتدبير يلشفي فاوقف سنة ١٩١٩ بتهمة اثارة القلاقل غير ان والده قد كفه فاطلق سراحه، وفي ٢٢ حزيران ١٩٢٠ . اوقف ثانية مع تسعة آخرين . كما تذكر التقارير ان برقية صادرة من «رشت» عن السلطات الروسية (البالشفية) تذكر «انه كان يشتغل للدعوة البلشفية في كربلاء»^(١) .

٤ - ومما زاد الوضع تفعراً في كربلاء اعتقاله قبل يوم من الانفجار الكبير أي يوم ٢٩ حزيران . الى هذا يضاف اعتقال الحاج مخيف . . . في الديوانية فقد كان من المعتقد لدى السلطات البريطانية ان ذلك سيؤدي الى نزع الفتيل وابعاد شرارة الثورة، والذي حصل العكس ان الشرارة بذلك قد قدح زنادها .

لذلك واجهت السلطات البريطانية حالة جديدة من الاعمال أو العمليات التي

توسعت مساحة وتعمقت تأثيراً يوماً بعد آخر. فان احد القطارات يتم اخراجه عن سكته في اوائل ايار وفي اوائل حزيران اخرج قطاران عن سككهما على مقربة من الحلة، ثم اخذ الموظفون العراقيون يستقبلون من الادارات البريطانية بعدما اصدر العلامة الشيرازي فتواه المذكورة. وازدادت صعوبة جباية الضرائب عن الحاصلات الشتوية، وفي الشرطة (من لواء الناصرية) الذي كان يسمى المتفك ابلغ الكابتن (ميد) معاون الحاكم العسكري فيها في ١٧ ايار بانه سواجه بالعنف اذا استمر بقياس الاراضي الزراعية. ثم ان الحلة قد عاشت حالة توتر باعتقال ستة من رجالها، اضافة الى اعتقال وتهجير الشيخ محمد رضا الشيرازي مع تسعة من زملائه الى جزيرة (هنيجام).

أما معسكر السلطات البريطانية في كربلاء محمد خان بهادر فانه كان في وضع صعب جداً وانسحب من كربلاء، ثم قطعت مياه نهر الحسينية الذي يسقي المدينة، ويعترف وكيل الحاكم العام ان قطع المياه لم يُغير مسار الاحداث بأي شيء وبالعكس زاد في إلهاب الاحداث وازمها اكثر مما هي عليه، كما انه يشير ان المطبعة «في كربلاء كانت مسخرة لهم على الدوام لتخرج صفحات طويلة عريضة من المنشورات والمطبوعات التي كانت تنشر ببراعة وتفنن.

هكذا كانت كربلاء المحرك والمفجر للثورة العارمة التي اجتاحت العراق والتي هزت الكيان البرييطاني فيه قبل ان تثبت اقدامه على ارض العراق. فلم تمض بعد ثلاث سنوات على احتلاله لبغداد. فأخذ يعيد جرد حساباته وخططه السياسية والعسكرية التي يريد تنفيذها على الشعب العراقي، فكانت هذه الثورة الصعقة الكهربائية التي اهتمت المستعمر الجديد مقدار وقوة الشحنات الثورية التي يتمتع بها شعبنا فيقف خلف الكواليس السياسية باسم «الحكم الوطني» والذي استمر حتى ثورة شعبنا في ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة.

كوتنكن - المانيا

الهوامش

* تمت كتابة هذه المقالة استناداً الى موسوعة العتبات المقدسة المتكونة من ١٢ جزءاً تأليف جعفر الخليفي.

(١) المس غيرترويد بيل مستشرق ورحالة بريطانية، ثم اصبحت سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد. تقرير قدمته الى البرلمان البريطاني. ترجمه الاستاذ جعفر الخياط بعنوان: «فصول من تاريخ العراق القريب» بيروت، ١٩٤٩: نقلاً عن «كربلاء في المراجع الغربية» الموسوعة - ج ٨، ص ٣٢٥.

- (٢) المصدر السابق ص ٣٢٢.
- (٣) المصدر السابق ص ٣٣٥.
- (٤) الكاظمية في المراجع العربية (حضر الحياطة) الموسوعة ج ٩ ص ٢٨٥.
- (٥) الكاظمية في المراجع الغربية (حضر الحياطة) الموسوعة ج ٩ ص ٢٨٢.
- (٦) تقرير الحكم الداني في العراق ترجمة جعفر الخياط الموسوعة ج ٨ ص ٣٣٧.
- (٧) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية نقلاً عن الكاظمية في المراجع الغربية (جعفر الحياطة) الموسوعة ج ٩ ص ٢٨٨.
- (٨) الحقائق الناصعة نقلاً عن الكاظمية في المراجع الغربية حسين علي محفوظ الموسوعة ج ٩ ص ١٤٩.
- (٩) الحقائق الناصعة ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ نقلاً عن الكاظمية في المراجع العربية حسين علي محفوظ موسوعة العتبات المقدسة ج ٩ ص ١٥٢.
- (١٠) كربلاء في المراجع الغربية ص ٣٤٢ نقلاً عن موسوعة العتبات المقدسة ج ٨.

في أعدادنا القادمة

- تعقيب شيخ سعيد
- تعقيب على تعقيب عبد اللطيف السعدي
- مساهمة في حوار تجديد الحزب د. كاظم حبيب
- الصابئة واشكالها التسمية سنان بن ثابت
- قراءة في محضر اجتماع طارق عزيز مع بيكر هوشنك الوزيري
- حوار مع عبد الرزاق الصافي هوشنك الوزيري
- ازمة الحضارة د. فيصل السامر
- الاراميون والسريان نادر الصابر
- القوة القانونية لقرارات مجلس الامن د. احمد الموسوي
- مساهمة في النقاش حيان

«ادب السلوك الصوفي ونظم الروح»

١ - ادب السلوك الصوفي - ادب الروح

د سيثم الجنابي

«يا بني اجعل عملك ملحاً وادبك دقيقاً»

رويم

أبدعت الصوفية في عملها شأن كل اتجاهات الابداع الانساني الكبرى كيانها الخاص. ومن الممكن مقارنة التصوف بمدارس الفكر أو احزاب السياسة، إلا ان هذه المقارنة تبدأ في الوعي وتنتهي في تأملاته. والتعقيد الملازم لهذه «المقارنة السيئة» لا يقوم فقط في استحالة المطابقة فيما بين نماذج متباينة في صيرورتها وديمومتها بل وجدوى الجهود المضنية لحصر قوة وجاذبية الفراسة الروحية في مقولات التحليل الباردة وقواعد المنطق الشكلية. وليس من قبيل الصدفة ان ينصح الجنيد (ت- ٢٩٧ هـ) أتباعه واصحابه قائلاً: «إذا لقيت الفقير فالحق بالرفق ولا تلقه بالعلم. فان الرفق يؤنس والعلم يوحشه». وليس سوى الذهنية الخرقاء هي التي بإمكانها ان تخرع لهذه الفكرة العميقة تفاهة التناويل القائلة بمعاداة العلم!! فهو لم يضع العلم والرفق على طرفي نقيض بقدر ما انه طالب بأولية الرفق في الملاحظة. وبهذا يكون قد ذوّب العلم في العمل أو جعل من الممارسة «الرفق» الاسلوب الايجابي لاستيعاب حقائق العلم. وبهذا يكون قد عبّر عن احد نماذج الادب السلوكي حون ان يمرض قواعده على المرء.

وهنا يجدر القول انه من الصعب تناول جميع آراء المتصوفة للبرهنة على نموذجها المتميز في نظراتها ومواقفها من ادب السلوك. فالمتصوفة تشترك ايضاً في تباينها. اذ ان الفرق الصوفية العديدة ومدارسها الفكرية التي وضع كل منها مبادئ اولية باعتبارها درجات واسس ضرورية للسير في «الطريق» لا تمثل في جوهرها إلا صيغاً بلوغ الهدف المشترك فيما بينها أي الفناء في الحق.

بصيغة اخرى، ان تباين الطرق الصوفية في سيرها يقوم في افتراض كل منها كون المبادئ الاولى لطريقته هي الاسهل والادق لتربية المريد في بلوغ ما اسمته بدرجات التوحيد. وقد تفتنت الصوفية في اكتشاف سبل «الطريق». فالتقشيدية على سبيل المثال بنت طريقته على «التعرض والقاء الجذبة المقدمة على السلوك». فطريقها يتضمن مبادئ اتباع السنة ومبدأ الجذب المقدم على السلوك في حين ان بقية الطريق تقوم في تقديم السلوك على الجذب. ولهذا قالوا: بداية الطريقة التقشيدية نهاية الطرق. وهناك من جعل العكس هو اسلوب التربية الصوفية. وليس هنا من تناقض. فالمتصوفة لم تبحث في ذلك عن اساس نظري لقناعاتها أو تنظير تأملي أو عقلاني لاطروحاتها وممارساتها. لقد حاول كل منهم اكتشاف حقائق اللانهاية. وهذا ما يمكننا العثور عليه في كل تجليات ابداعهم الفكري والعملية.

لقد مثلت المتصوفة في آدابها وحدة التنوع وعكست في امتثالها الوحدة حقائق الكل. إلا ان هذه الصيغة المجردة هي التعبير الحي عن النهائي. أي عن تلك الديناميكية المتناقضة التي تفترض في كل خطوة حدوداً منفية. وهذا ما جعلها تنظر الى ادبها باعتباره ادب الوقت. فهي لم تبحث عن اسس لذلك في معايير المصلحة والقوة بل في ديمومة الروح الاخلاقي. أي اننا نستطيع الحديث في أن واحد عن مستويين في ادب السلوك. الثقافي - التاريخي والروحي - الادبي في قيمه «المخالدة».

ان تحليل هذه القضية سوف يضعنا بالضرورة امام احدى المعضلات الجوهرية التي يفرضها منطق الفكر في التعامل مع قضاياها وواقعيتها في تناقض التطور الاجتماع - حضاري والكيثونة الثقافية للامم.

فالامم تبذل قواعد سلوكها لا لفرط اعجابها بقواعد السلوك بل لتحديد حدودها الممكنة. فالوجود يفترض اللانهاية، إلا انه لا يتكامل إلا في النهائي. أو على الاقل انها تشكل على الدوام اسلوب وجوده الضروري (الواقعي). واذا شئنا ان نطبق هذه الصيغة الصورية لابداع الخيال المقارن، فاننا نستطيع ان نستشف نفس الوحدة المتناقضة بين النهائي (التاريخي - الثقافي) واللانهاية (الروحي - المطلق) في ادب السلوك الصوفي. وهذا ما جعل من تراث المتصوفة في هذا الميدان ايضاً معينا لا ينضب لوعي الذات

الاخلاقي وتساميه المعرفي .

فقد استمدت المتصوفة في منطلقاتها الاولى بل وفي الكثير من حوافز وعيها الاخلاقي - السلوكي الاولى من قيم اسلام الدعوة والرسالة . أي من ذلك الرصيد الذي لم تشوّه بعد مهارة الجدل ومكر السياسة ومصالح السلطة . وقد وجد ذلك انعكاسه ليس في مبدأ التصوف الاول - الزهد بل وفي نزاع الارادة الظاهرية من خلال صياغة مبدأ الارادة المجردة أو الكيان اللامرئي الذي يتحكم في كل ما هو موجود . أو هو ذاته الرجوع الى المبادئ الاولى في ادراك حقيقة الوجود ومعنى الفعل (الانساني) .

واذا كانت هذه المحاولات الاولى قد سارت في ادب السلوك الاسلامي التقليدي أو السني أو المتعارف عليه أو المثال الارقى فلأنه الاسلوب الواقعي الممكن لظهور وتبلور المجرّد (الحقيقي) . فقد سلكت المتصوفة الاولى في سلوكها اسلوب ما ينبغي ، إلا انها لم تنظر اليه نظرتها الى غاية نهائية . وحتى حال غياب تجزء الغاية والوسيلة كقيم وكيانات قائمة بحد ذاتها في منظوماتها اللاحقة فانها لم تعترف ان جاز التعبير إلا بشرعية النفي الاخلاقي . وفي هذه العملية الدائبة والمتناقضة تبلورت تقاليد ادب الروح الصوفي .

فالتصورات الشائعة عن ادب التصوف وقواعد سلوكه تتضمن ان امكن القول عناصر متكافئة في خطتها ومسطحتها سواء ايدت أو عارضت ، مدحت أو ذمت ، اقبلت عليه أو ادبرت عنه . والقضية هنا ليست فقط في ان التصوف «بحر مغرق وقفت على ساحله الانبياء» بل وفي تلك الميوعة المرنة التي لا يمكن الامساك بها إلا من خلال رمي قيود النفس . أي انها تستلزم الدوبان كلياً في بحرهما كدورات من املاحه . اذ ان لمس حقائق التصوف تستلزم تدليل شعورية اللمس . والملموس في عرف التصوف هو كل ما لا يمكن للكلمات ان تعبر عنه . اذ ليس الوعي السائد سوى وعي المقارنة الشرطية لا ادراك حقائق الاشياء كما هي . ولهذا صاغوا مبدأ الوجود (والايجاد) في السير والفناء في التوحيد . أي بلوغ تلك الحالة التي تنقشع فيها قواعد الجهل «المعرفي» ، وفي ميدان السلوك تلك الحالة التي تصبح فيها قواعد التصوف «المجرد» خلقية واسلوب وبعث الممارسة الحياتية في سعيها نحو المطلق .

غير ان هذه الحصيلة النظرية في تاريخيتها كانت نتاجاً معقداً لتفاعل وتداخل التاريخي والوجداني - المنطقي الذي بحث عن تألف له في منظومة فريدة في عالم الاسلام . فأدب السلوك الصوفي بهذا المعنى هو نتاج لعالم الاسلام وهو في الوقت نفسه نفي لأدب العوام وديانات الامم . انه الممثل النخبوي لقواعد الحق (المطلق) في السلوك . وقد حدد ذلك ديناميكيته الداخلية وتسامحه الرفيع وقدرته على التأقلم ومرونته اللامتناهية وانسانيته العميقة . إلا انه فصح المجال ايضاً واعطى مبررات مهاجمته الدائمة

يفعل نخبريته المتسامية. فمن السهولة ادانة المتصوفة لانه من الصعوبة بلوغ مستواهم. ومن السهولة تفنيد حقائقهم لانه من الصعوبة فهمها. وقد ادركت المتصوفة أكثر من غيرها آنذاك حقائق هذا الواقع المتناقض. إلا انها لم تسع في ادراكها له لثم كسراته ولا تبرير تناقضاته بل وضع الامور كل في نصابها باعتبارها «سنة» الوجود. وهي بذلك لم «تنظر» لهرمية التعالي، بل لهرمية التسامي ولكن في وحدة الكل. وهذا ما يمكننا العثور عليه في استيعابها الخاص لعلاقة ادب تربيتها وسلوكها بأداب الاسلام.

فقد صاغت المتصوفة آدابها بالطريقة التي رأت فيها نموذج الحقيقة الناصعة لروح الاسلام. أي انها طبقت سعيها التربوي وقواعد سلوكها بالصيغة التي تتجارب فيها تعاليم الاسلام وقيمته مع ثلثة العلم والحال والعمل. ولهذا انطلق سراج الدين الطوسي (ت - ٣٧٨ هـ) في استعراض مقدمات الادب الصوفي من الآية القرآنية «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهلكم ناراً معتبراً ايهاا تحذيراً ووصاية بضرورة التربية والادب والتعلم من اجل وقايتهم. وهذا ما ينطبق على استعماله لأراء ابن سيرين والحسن البصري (ت - ١٩٠ هـ). فقد استشهد بكلمات الاول القائلة بان افضل الآداب واقرب الى الله هي معرفة بربوبيته وعمل بطاعته والحمد على السراء والصبر على الضراء، وكلمات الثاني القائلة: انفع الآداب واجلها التفقه في الدين فانه يصرف اليه قلوب المتعلمين؛ والزهد في الدنيا فانه يقربك من رب العالمين؛ والمعرفة بما لله عليك يحويها كمال الايمان^(١). أي انه ابرز في تقاليد الادب الاسلامي سواء في آيات كتابه وأقوال اتباعه وحدة المعرفة والعمل (ابن سيرين) والتفقه والزهد والمعرفة (الحسن البصري). وسوف تنصاع التقاليد الكتابية للمتصوفة لهذا المسار. إلا ان كلاً منها سيضع آياته واحاديثه التي تعكس، في طريقة تأويلها وكيفية ادماجها في المبادئ العامة عن حد الادب، تطور التصورات الصوفية واسلوب صياغتها للاسس النظرية الكبرى أو بصورة ادق تعمق التجارب الفردية وكيفية تعميمها. فاذا اكفى القشيري (ت - ٤٦٥ هـ) بالاستناد الى الآية «ما زاغ البصر وما طغى» باعتبارها التمثيل الاعمق لحفظ آداب الحضرة الالهية^(٢) وبالحديث النبوي «ادبني ربي فأحسن تأديبي» فان السهروردي (ت - ٦٣٢ هـ) قد استفاد في تأويلاته الى الدرجة التي يضع فيها الآية الأنفة الذكر في اساس نظرية متكاملة للموقف من الادب والسلوك أو ما اسماء بأداب «الحضرة الالهية لاهل القرب»^(٣) غير ان تركيز السهروردي على المثال الاسلامي الاعلى (الشخصية النبوية المحمدية) ما هو إلا الصياغة العامة التي تتطابق في ظواهرها مع الصيغة السنّية - الاسلامية النموذجية^(٤) أي انها تعبّر عما دعوته بالنموذج أو المستوى التاريخي - الثقافي. وما عدا ذلك فهو من ميدان الادب الحقائق (الصوفي). فقد انطلق السهروردي من ان الادب هو تهذيب الظاهر والباطن. فاذا تهذب ظاهر

العبد وباطنه صار صوفياً أدبياً. بصيغة أخرى، انه افترض في تكامل الادب الصوفي تكامل مكارم الاخلاق. أي انه وجد في امكانية تغيير الاخلاق الاساس «المادي» لعملية التربية الصوفية. فانه، كما يقول السهروردي، خلق الانسان وهياً لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلاً للادب ومكارم الاخلاق. وان تضمن هذه الاهلية كمكانية كامنة فيه كوجود النخل في النوى^(١). من هنا فان تزكية النفس بالادب وتديريها بالعقل هو استخراج ما في القوة الى الفعل. ان هذه الصياغة العقلية للموقف من ادب السلوك وخضوعه لقواعد التربية تعكس ليس فقط تقاليد العقلانية الفلسفية والموقف من طبيعة الفضائل (الفلسفية)، بل وفي وضعها هذه الصياغة العقلانية في اساس التنظير الاعم للتصورات الصوفية حول مغزى وغاية الادب الصوفي. فالسهروردي لم يقف عند حدود التعامل العقلاني أو الفناهة العقلانية لجذلية القوة والفعل (الارسطية)، بل حاول ربطها بفكرة وحدة فعل الخير والمحبة الانسانية الصالحة. فالاخيرة هي المصدر الاعمق للفعل الانساني لانه لا قدرة للانسان على تكوينها. فهي المادة الجوهرية الكامنة في فعل الخير. وبالتالي فان منبع الادب هو السجبة الصالحة والمنح الالهية.

ان هذا الاضمحلال اللامباشر للعقلانية (الفلسفية) في سلوك المريد لم ينطلق من مقدمة الاقرار بضرورة الشيخ، بل العكس. وبهذا تكون العملية ذاتها، أي وحدة التربية والمريد والشيخ، جزءاً من الطريق الضروري الذي يمكن ان تكشف فيه حقائق السجبة الانسانية من اجل بلوغ الكمال أو القرب. وليس هذا القرب سوى النهاية - اللانهاية التي يفترضها وينفيها طريق الادب الصوفي. فالاخير هو التجلي المتباين لحال الصوفي في تملكه كمالات الادب. وبما ان الكمالات هي النوى المضمحلة في السلوك نحو المطلق، بهذا تنحل تجلياتها العديدة حالما يتم بلوغها. غير ان الصوفي لا يجد في هذه العملية ما يوحى اليه بخداع السراب، بل بحقائق الوجد الخاطف. وفيما بين السراب والوجد تكمن على الدوام ليس تباينات الملموس ووحدة السعي، بل وعورة الجهد المضني في السير نحو الاعتدال المطلق. أي كل ما يشكل في اعماق الصوفي باعث الفعل واسلوب تجليه.

وبغض النظر عن ان التقاليد الصوفية في موقفها من ادب السلوك قد ابدعت صيغاً عديدة لتحديد تجاربها من الاعتدال المطلق، فانها التقت فيما هو اساسي: الاقرار بجذلية النفي الدائمة لبلوغ الاعتدال. ومن الممكن رؤية ما في هذه الصياغة من تأثير غير مباشر لفكرة «الوسط الذهبي» أو «الوسط الامور» (الفلسفة العقلانية الارسطية أو الحياتية الرزنية). إلا ان هذه العقلانية تفقد مبرراتها الواقعية واهدافها النهائية في طبيعة التصورات والممارسات الصوفية. والقضية هنا ليست فقط في غياب فعالية وحوافز المنفعة والمضرة (وكل ثوابات المصلحة المتضادة) بل وفي طبيعة التجربة الفردية للتسامي الاخلاقي، التي

تفترض في ضرورة افعالها معنى المطلق، وما يترتب على ذلك بالتالي. من مذاق خاص لسر اللسان والوجدان. وليس من قبيل الصدفة ان تدخل المتصوفة في بطون الكلمات القرآنية من اجل استكنانه معنى آدابها. فهي لم تبحث هنا عن مبرر لممارساتها، بل عن رنين «ثقافي» يعطي لـ «اسرارها» معنى مقبولاً، أي تلك الصيغة التي تجعل من الاعتدال المطلق في الطريق اسلوب الحال والمثال. فعندما حاول السهروردي (ت - ٦٣٢ هـ) على سبيل المثال تصوير النبي محمد باعتباره مجمع الآداب ظاهراً وباطناً، فهو لم ينطلق من تقاليد الكلمة، بل من المثال الصوفي لما اسميته بالاعتدال المطلق في سلوك الطريق. ولهذا وجد في حديث المعراج احد نماذجه الملموسة. اذ وجد في ممارسة النبي النموذج الارقي للنظر والقدم (أو العلم والحال). فقد جمع النبي في معراجه وحدة النظر والقدم بالصيغة التي جعلته يذلل كل المعوقات التي اعاقته غيره من الانبياء في سموات المعراج (الروحي). ففي مساره، كما يقول السهروردي، لم يزل النبي محمد «متجلس حجاله في خفارة ادب حاله حتى طرق حجب السموات، فانصبت اليه اقسام القرب انصباباً وانقشعت عنه سحائب الحجب حجاباً حجاباً، حتى استقام على سراط (ما زاغ البصر وما طغى). فمر كالبرق الخاطف الى مخدع الوصل واللطائف. وهذه غاية في الادب ونهاية في الارب»^(١). فالسهروردي لم يضع الصيغة المحمدية في مقدمة آرائه لان فكرة المطلق ذاتها لا ترضي بالمثال الجزئي إلا كتصوير لها لا غير. إلا ان المثال الجزئي يمكنه ان يتحول الى مطلق المتجلي. وهذا كما اشرت سابقاً هو النموذج التاريخي - الثقافي الذي ألهم المتصوفة طابعها الاسلامي وجوهرها الانساني.

ان افتراض المتصوفة وجود «ادب الحضرة الالهية» أو «ادب القرب» هو النموذج الثقافي - التاريخي للمطلق أو وحدة الاسلامي - الانساني، أو الانا - الجميع، أو السر - المعنى. وهذا ما جعل من الممكن الحديث عن النبي محمد كمجمع للآداب ظاهراً وباطناً، ومن الآية «ما زاغ البصر وما طغى» تجل رمزي للممارسة. فقد وجد السهروردي في هذه الآية «غامضة» أخبر الله بها عن اعتدال قلبه (النبي محمد) المقدس عن الاعراض والاقبال. أي انه اعرض عما سوى الله. انها الآية التي تضمنت في جوانحها وانعدام الزيفان والطغيان. فهي لم تعبّر عن اعتدال قلبه بل وعن ثبوت حاله (الاخلاقي - الوجداني). اذ لا يعني ما زاغ البصر وما طغى سوى ثبات حاله في طرفي الاعراض والاقبال. أي انه تلقى وتقبل كل ما ورد عليه في مقام القرب بالروح والقلب، ثم فرّ منه اليه، منطوياً بفراره في مطاوي انكساره وافتقاره لكي لا تنبسط النفس قتعطى. فان الطغيان عند الاستغناء وصف للنفس^(٢). بصيغة اخرى ان سلوك الادب الصوفي يستلزم تلك الاستقامة التي تفقد معها كل «اطراف» التذبذب والتناقض قيمتها المستقلة لتحول الى

جزء منفي في المسار نحو الاعتدال . أو انه السعي نحو الذوبان في الكل الادبي ، الذي يجعل الفرار منه اليه . انها عملية النفي التي تستلزم في سعيها نحو الكمال تذليل طغيان الاستغناء باعتباره وصفاً للنفي دائماً . انها العملية التي تضع مهمة تكامل الكل في الذات من خلال الالتزام بأدب السلوك . آنذاك سيكشف أدب السلوك عن ان يكون فعلاً ظاهرياً أو باطنياً أو انعكاساً للبصر أو البصيرة ، بل يصبح تعبيراً عن تلك «السرية» التي لا يمكن ان يعرقل وحدتها الوجدانية سوى العقل المنطقي والحاحاته الجزئية . اذ لا يعني «ما زاغ البصر وما طغى» في ميدان السلوك (النظري - العملي أو الحقائق - الطرائقي) سوى عدم تخلف البصر عن البصيرة (لزيغ) وعدم سبق البصر البصيرة (الطغيان) ، فيتجاوز حدّه ويتعدى مقامه . فلكل مقامه وحدّه . ولهذا استقام البصر مع البصيرة . فالأدب الصوفي لم يطالب باستقامة البصر مع البصيرة فحسب ، بل والظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم (أي العلم مع الحال) . اذ انه وجد في تقدم النظر (العلم) على القدم (الحال) طغياناً وتخلف القدم عن النظر تقصيراً . ولهذا جعل من اعتدال هذه الاحوال المثال الارقى لكمال القلب (الصوفي) ، أي تلك الحالة التي يصير فيها قلب الصوفي كقلبه ، وقلبه كقلبه ، وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره ، ويصره كبصيرته ويصيرته كبصره^(١) أي مشاهدة الكل بالكل ، أي تلك «المغامرة» التي تفرض حسب عبارة التستري (ت - ٢٧٣ هـ) مراقبة الذات بالصيغة التي تستلزم الثبات في صفاتها الموجبة في محلها .

فالمتصوفة في «تنظيرها» لأدب السلوك لم تنهك بتضحية «الأولية» و«الثانوية» الجوهري والعرضي ، بل بأدب الفعل المتوهج بالسر الروحي للقناعة الذاتية . وقد فسح ذلك المجال لتنوع هائل في خضم الوحدة . ولكنها ابقّت مع ذلك على كيان التجربة الفردية كنموذج لتجلي «الاعتدال المطلق» . ولهذا كان من الممكن بالنسبة للتنظير الصوفي لأدب السلوك ان يجد في اقوال المتصوفة العديدة تأييداً لاطروحاته العامة . ففي الوقت الذي قبل السهروردي على سبيل المثال ، آراء أبي العباس بن عطاء (ت - ٣٠٩ هـ) في تفسيره للآية القرآنية «ما زاغ البصر وما طغى» والقائلة : «لم يره بطغيان ، بل رآه على شروط اعتدال القوى» ، فانه وجد تأييداً لها ايضاً في كلمات ابي محمد الجريري (ت - ٣١١ هـ) القائلة : «التسرع الى استدراك علم الانقطاع وسيلة ، والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة ، واستقباح ترك الجواب ذخيرة ، والاعتصام من قبول دواعي استماع الخطاب تكلف ، وخوف فوت ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الاقبال مساءة ، والاصغاء الى تلقي ما ينفصل عن معدنه بُعد ، والاستسلام عند التلاقي جرأة ، والانبساط في محل الانس غرة»^(٢) . فبالقدر الذي لا تقدم المتصوفة تفسيراً لأرائها ، لا تسعى في الوقت نفسه لحصر تصوراتها وانطباعاتها في اطار محدد ، مازال كل ما في الوجود

عرضة للتغير، وما زالت قيمة الحركة في مغزاها. وقد اعطى ذلك لعلمها وعملها في ادب السلوك تنوعاً هائلاً. إلا ان اتجاهيته العامة كانت تقوم في تجاوز ادب العوام الى ادب الحق (المطلق)، أي تجاوز ادب العوام في الشريعة والطريقة والحقيقة. أي في مكونات الوجود الجوهري للعلم والعمل. غير ان هذا التجاوز لا يستند الى آلية رد الفعل أو التصور المسبق عن ضرورة «البديل»، بقدر ما انه ينبع من مقوماته الجوهرية كنيع الدعم من العين. ان سعي الصوفية للوحدة أو الكل أو الفناء في التوحيد، ما هو إلا الصياغة الظاهرية لابداع وحدة الهم الداخلي، الذي يضمحل هو ذاته حال بلوغه. وبهذا المعنى فان ادب المتصوفة الروحي هو ادبهم الجسدي. والعكس هو الصحيح. والقضية ههنا ليست في تبديل الكلمات والمفاهيم، بقدر ما ان تقاليد الصوفية ومسعاها النهائي ينصب في اتجاه الغاء وتذليل ثنويات الروح والجسد بل وكل ثنويات الوعي واشكالاته المدرسية. وبالقدر الذي تشكل ثلاثية الشريعة والطريقة والحقيقة مستويات وثنويات الوعي الثقافي في تاريخيته ورمزيته الدينية - الميتافيزيقية، فانها تمثل في الوقت نفسه اسلوب تذليلها. فالجوهري في هذه الثلاثية لا يقوم في قواعدها العامة أو الخاصة بل في مصدريتها وروحها الداخلية. وفي حالة تطبيق ذلك على ادب السلوك، فان الجوهري فيه ليس قواعده العامة بل مصدريته وروحه الداخلية، أي باعث الحق والتسامي الدائم.

ان تأمل المتصوفة ومعاناتها الطرائقية - الحقائقية (الاخلاقية - المعرفية) عن خصال الادب وأسانيه ومكوناته جعلها تبحث دوماً عن حشياته المعنوية - الوجدانية فوجدتها في كل الادب باعتباره غاية ووسيلة السمو الاخلاقي. وليس من قبيل الصدفة ان تردد المتصوفة فكرة ان ادب الخدمة اجمل من الخدمة، ذلك لانها وجدت فيه (الادب) اسلوب اضمحلاله في الفعل، الذي يشكل في حوافزه الوجدانية وفعاليته المعرفية قيمة كبرى.

فالمتصوفة لم تبين آراءها هذه استناداً الى ادراكها اهمية الادب في سلوك الطريق فحسب، ولادراكها وعورة قواعده ذاتها. ففي هذه الوعورة يكمن معيار واسلوب شحذ ادب امتلاك الادب، أي وعي النفي الدائم في السمو الاخلاقي. ولهذا اكدت على ان الادب هو كمال الاشياء ولا يصفو إلا للانبيا والصدّيقين^(١). في حين وجد القشيري (ت - ٤٦٥ هـ) حقيقة الادب في اجتماع خصال الادب^(٢). إلا انهم لم يقصدوا بالادب ههنا سوى ادب الفعل لا ادب القول.

ان هذا التمييز الجوهري، ولحد ما الطرائقي يعكس في آن تبان ادب الصوفية عن ادب العوام (السائد)، أي تجاوز وتذليل ادب العوام بأدب الحق. فالأخير هو الفعل المطلق. أي الصفاء الكامل الذي يتجاوز في مسعاه المعتدل «شروط التطرف» حتى في حالة مزاولتها الظاهرية. وههنا تنعكس أيضاً ديناميكية الروح الصوفي التي تفترض في

ممارستها الدائمة نفي التقليدية المتحجرة وتوكيد تلقائية المحبة القلبية. أي وحدة قهر الارادة وتحريرها. وفي هذا ينعكس استيعابها المتميز لخصوصية الادب وطابعه المتعالي. ان تشديد المتصوفة على ان الادب ادبان: ادب قول وادب فعل لا يسعى لوضع احدهما بالضد من الآخر، بقدر ما انه يؤكد أهمية الفعل وجوهرية في سلوك الطريق. ويرتبط هذا التشديد بأولويات التصوف، أي بضرورة الفعل كمقدمة للسير في «طريق الحق». اذ ان ادب الفعل كما يقول كلثوم الغساني يمنح محبة القلوب ويصرف عنه العيوب^(١).

فاقرار الصوفية بدرجات الادب يتضمن في آن واحد الاعتراف بتباين المستويات (العوام والخواص) وواقعية وتفاوتية التطور الاخلاقي (الادبي). فالمتصوفة لم تصنع مبدأ النخبوية الاجتماعية، بل مبدأ التسامي الادبي. وان اسلوبها في تربية المريد هو اسلوب (وطريق) تذليل الانا الاجتماعية الضيقة باسم المبدأ الاعلى. أي انه التجاوز الواقعي (الثقافي) والمثالي (الاخلاقي - المطلق) لادب العوام. فالمتصوفة لم تضع قيوداً خارجية في الادب. واذا كانت القواعد الادبية والقضية هنا كما هو واضح من النص لا تقوم فقط في وضع المتصوفة نفسها خارج اطار اهل الدنيا واهل الدين، بل وفي طبيعة تعاملها مع الادب بشكل عام، وادبها بشكل خاص. فالجوهر في ادب التصوف هو طهارة القلوب ومراعاة الاسرار، أي عالم الروح الاخلاقي. فالمتصوفة لا تخضع في آدابها لقوى ما خارجية مقننة. بمعنى انها تزيل مفعول وشرعية القوانين الرسمية لتستعيض عنها بقواعد الروح الاخلاقي. ولهذا قال ذو النون المصري (ت - ٢٤٥ هـ) بان «ادب العارف فوق كل ادب لان معروفه مؤدب قلبه». أي انه لا يخضع إلا لما يمليه عليه قلبه (الصوفي) أو حقيقة القلب. وقد جعل ذلك ادب المتصوفة في مظهره يبدو كنفى لقواعد العرف والتقاليد، أو انتهاكاً لقيم وقواعد الشرع. إلا ان هذا التصور هو مجرد انعكاس ايديولوجي «لسوء الادب».

ذلك لا يعني غياب أية تقاليد ضابطة أو قواعد متحركة في الادب الصوفي. وإلا فمن الصعب الحديث عن ادب بالمعنى الدقيق للكلمة. فالادب بمعنى ما هو قيد. إلا ان اتخاذه صيغة «القهرة» الصوفي للنفس حوّل من عالم القيود التقليدية الى مصاف الاخلاص القلبي. ولهذا لم تجد المتصوفة في تقييد نفسها سوى طريق لتحريرها. أي انها تتبع في ممارستها مسيرة الحياة ذاتها. فمن اجل ان تتواجد الشمس فمن الضروري مدها الكون بأشعتها. انها العملية التلقائية المتوحدة التي تفترض في أي فعل عين نقيضه، إلا انها تتقبله في الكل. وقد تضمنت هذه الممارسة في ذاتها نفي القيود الظاهرية.

لقد بحثت المتصوفة في نموذج ادبها وقواعده عما يمكنه ان يكون وسيلة رقيها

الاخلاقي . وبهذا تكون قد افترضت طريقاً نخبوياً للخير المطلق لا يتعارض في الكثير من سماته مع حقائق الوجود الكبرى . فدخل الطريق الصوفي يستلزم في قواعده الادبية الاقرار اللساني - الفعلي بالتوبة الحقيقية ، أي تذليل الرذيلة وتحقيق الفضيلة . وقد حدد ذلك لدرجة كبيرة الوحدة المتناقضة ، أو الديناميكية الحية للسمو الاخلاقي التي «يفزلها» تفاعل التجربة الفردية والسلوك الطرائقي .

الهوامش

- (١) سراج الدين الطوسي : - اللمع في التصوف ، ليند ١٩١٤ ص ١٤٢ .
- (٢) القشيري : - الرسالة القشيرية في علم التصوف ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١٢٨ .
- (٣) انني لا اتكلم هنا إلا عما يمكن دعوته بالنظرية العامة لادب السلوك الصوفي . وإلا فإن لكل متصوف ادبه الخاص به . أو ما سأدعوه بفردية الادب الصوفي وخصوصيته التجريبية في ممارسة الطريق (الصوفي) . اذ ان ما يثير اهتمامي هنا وما تستلزمه قواعدي البحث العلمي والتحليل الفلسفي هو رؤية وصياغة المبادئ العامة التي تعطي لنا امكانية الحديث عن اتجاه تصوفي خاص في ادب السلوك وقواعده ، وبالتالي عن نموذج صوفي في التربية .
- (٤) ان آراء السهروردي تشكل اساساً نظرياً للادب الصوفي . فهي تعبر ، كما اشرت سابقاً ، عن نموذج معين في التقاليد الصوفية . وان ظاهريتها السنية هي الاخرى شكل من اشكال تفاعل الشريعة والحقيقة وكيفية انعكاسهما في الطريقة . وهذا ما يبرز بوضوح في الطريقة السهروردية . وإلا فإن بين التصوف والاتجاه السني التقليدي بونا شاسعاً لا يمكن تذليله . وان هذا البون هو ليس نتاجاً لتناقض ما جوهري بقدر ما انه يعبر عن اساليب مختلفة في الموقف من تعاليم الاسلام ، ومستويات متباينة في التعامل مع مختلف قصايا الوجود والوعي .
- (٥) السهروردي : عوارف المعارف ، ص ١٥٠ .
- (٦) السهروردي : عوارف المعارف ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- (٧) السهروردي : عوارف المعارف ، ص ١٥١ .
- (٨) السهروردي : عوارف المعارف ، ص ١٥٢ .
- (٩) السهروردي : عوارف المعارف ، ص ١٥٢ .
- (١٠) سراج الدين الطوسي : اللمع في التصوف ، ليند ١٩١٤ ، ص ١٤٢ .
- (١١) القشيري : - الرسالة القشيرية في علم التصوف ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٢٨ .
- (١٢) الطوسي : اللمع في التصوف ، ص ١٤٢ .

القوة القانونية لقرارات مجلس الامن

د. أحمد الموسوي

مجلس الامن هو الاداة التنفيذية لمنظمة الامم المتحدة. اهم مسؤولياته حفظ السلم والامن الدوليين، وما يترتب على هذه المسؤولية من تدابير وتنفيذ ما يوصي به المجلس ويقرره.

يعد مجلس الامن احد الاجهزة الرئيسية الستة التي تضمها ميثاق الامم المتحدة في الفقرة الاولى من المادة السابعة منه، وهي: الجمعية العامة، مجلس الامن، المجلس الاقتصادي والاجتماعي، مجلس الوصاية، محكمة العدل الدولية، الامانة العامة.

يملك مجلس الامن مسؤوليات متعددة ومتنوعة وفقاً لاحكام ميثاق الامم المتحدة، وقد وضحت العديد من مواد الميثاق سلطات المجلس، منها مهمة المحافظة على السلم الدولي وتسوية المنازعات والخلافات الدولية، ومنها سلطات ادارية يقوم بها المجلس بالاشتراك مع الجمعية العامة كقبول الاعضاء الجدد وتعيين الامين العام للامم المتحدة وغيرها.

العضوية في مجلس الامن:

يتألف مجلس الامن بموجب نص المادة /٢٣/ من ميثاق الامم المتحدة من احد عشر عضواً من «الامم المتحدة» وتكون جمهورية الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات

السوفيتية الاشتراكية والمملكة المتحدة (لبريطانيا العظمى وشمال أيرلندا) والولايات المتحدة الأمريكية أعضاء دائمين فيه. وتنتخب الجمعية العامة ستة أعضاء آخرين من الأمم المتحدة ليكونوا أعضاء غير دائمين في المجلس ولمدة سنتين، على أن يختار في أول انتخاب للأعضاء غير الدائمين ثلاثة منهم لمدة سنة. والعضو الذي انتهت مدته لا يجوز إعادة انتخابه على الفور، ويراعى في انتخاب الأعضاء غير الدائمين التوزيع الجغرافي العادل. ويكون لكل عضو في مجلس الأمن مندوب واحد. وبعد ازدياد عدد الدول الأعضاء في المنظمة تم تعديل في ميثاق الأمم المتحدة في مجال عدد الأعضاء في مجلس الأمن، وأصبح خمسة عشر عضواً بدلاً من أحد عشر عضواً، وشمل التعديل زيادة عدد الدول غير دائمة العضوية في المجلس.

قرارات مجلس الأمن:

لاهمية المسؤوليات والسلطات التي يمارسها مجلس الأمن للقيام بمهامه وما يترتب عليهما من اتخاذ ما يلزم من إجراءات وما يستلزم اتخاذ هذه الإجراءات من توصيات أو قرارات، فقد برزت بعض الآراء حول القوة القانونية لقرارات مجلس الأمن، أهمها، رأي يعتبر أن كل ما يصدر عن مجلس الأمن يتمتع بقوة قانونية ملزمة، دون التمييز بين القرارات التي يصدرها المجلس وبين التوصيات.

أن أصحاب هذا الرأي يستندون إلى تفسير المادة /٢٥/ من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على أن «يتعهد أعضاء الأمم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن وتنفيذها وفق هذا الميثاق».

أما الرأي الآخر فهو الذي يفرق ما بين القرارات والتوصيات التي يصدرها المجلس، فالقرارات هي التي تتمتع بقوة الزامية وواجبة التنفيذ، أما التوصيات فلا تتمتع بقوة الزامية.

أن الرأي الثاني هو المنسجم والمتوافق مع نص المادة ١/٢٥، والمواد ٤١، ٤٤، ٤٨، ٤٩^(١)، وغيرها من مواد الميثاق التي حددت حصراً كلمة قرارات والحالات التي يستعمل فيها مجلس الأمن سلطات لإصدارها، وفي مواضع أخرى ذكر الميثاق كلمة توصيات، يتضح من هذا التمييز في التعبير بأن هناك فرقاً بين «التين»، يعتمد على خطورة الحالة المعروضة وتقدير مجلس الأمن الذي منحه الميثاق صلاحيات ووظائف واسعة باعتبارها الجهاز التنفيذي في المنظمة وعهد إليه بمسؤولية حفظ السلم الدولي وتسوية المنازعات سلمياً.

ان الاختصاصات والمسؤوليات الجسام الملقاة على مجلس الامن من الضروري ان تقابلها السلطات اللازمة، وفي مقدمتها القوة القانونية لقراراته، وفي الوقت نفسه ضرورة التمييز بين قرارات المجلس من حيث الاهمية، لان المجلس يقوم باختصاصات متعددة، ليس من المعقول ان تساوي القيمة القانونية للقرار الذي يصدره المجلس فيما يتعلق بحالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدران، وبين ما يتخذه المجلس بالاشتراك مع الجمعية العامة لايقاف العضوية وانتخاب اعضاء محكمة العدل الدولية وغيرها.

ويبدى الفقيه السوفييتي، تونكين، رأيه في اساس الفرق بين التوصية والقرار الملزم كالتالي «التوصية ليست إلا رغبة، في حين ان القرار الملزم يفرض التزامات قانونية». ويستنتج مما تقدم ان لقرارات مجلس الامن فقط قوة الزامية واجبة التنفيذ، أما توصيات المجلس وتوجيهاته فليس لها قوة الزامية، وهذا ينطبق ويتوافق مع التفسير الموضوعي لكلمتي «قرارات وتوصيات» الواردة الذكر في ميثاق الامم المتحدة.

ان الصلاحيات والسلطات التي منحها الميثاق لمجلس الامن دون غيره من الاجهزة للقيام بمسؤولياته في حفظ الامن الدولي واتخاذ التدابير اللازمة ومنها التدابير العسكرية، يعود الى تشكيل مجلس الامن ووجود اعضاء دائمين وهم الدول الكبرى التي منحت امتيازات لها، ولتحقيق رغبة الدول الكبرى، افرد الميثاق لمجلس الامن الدور الاوسع لامكان قيام الدول دائمة العضوية بدور اساسي في صياغة القرار الذي يراه المجلس مناسباً في اتخاذ التدابير اللازمة. ومن هنا جاءت اهمية القرارات التي يصدرها المجلس وقوتها الالزامية.

كما ان دوره المميز قد برز لاعتباره الجهاز المتخصص في شؤون المحافظة على السلم وتأمين الاستقرار في المجتمع الدولي، كما يعد مجلس الامن من اهم اجهزة الامم المتحدة، لما يتمتع به من سلطات وما عهد له من مسؤوليات ومنها الدور الفعال الذي يقوم به المجلس في مجال التسوية السلمية للمنازعات والخلافات الدولية. وقد فرق ميثاق الامم المتحدة بين المنازعات الدولية^(٣)، فالمنازعات القانونية هي من اختصاص محكمة العدل الدولية، أما المنازعات السياسية ففي حالة عدم استطاعة الدول المتنازعة الوصول الى حل سلمي فهي من اختصاص مجلس الامن.

يتوجب على مجلس الامن للقيام بالمهام الموكولة اليه وخاصة في مجالي حفظ الامن الدولي وحل المنازعات والخلافات الدولية سلمياً وجود تمثيل دائم لاعضائه في مقر الهيئة، وهذا ما نص عليه ميثاق الامم المتحدة^(٤)، والزم اعضاءه، لان طبيعة ووظيفة مجلس الامن ضمن الاختصاصات الواسعة والمهمة التي منحها ونص عليها الميثاق وخطورتها يتوجب تنظيم عمل المجلس بشكل يستطيع القيام بمهامه واستمرار وتأمين عقد

اجتماعاته، أي تواجد التمثيل الدائم للدول الاعضاء في مقر الهيئة «الامم المتحدة» أي يعتبر المجلس في دورة انعقاد مستمرة.

حق النقض وقرار الاتحاد من اجل السلام:

نتيجة عجز مجلس الامن عن ممارسة سلطاته في مواجهة حالات تهديد الامن والسلام الدوليين لعدم امكان اتخاذ القرار والاجراء المناسب بسبب تركيبة المجلس وحق النقض / الفيتو/ فقد اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٥٠ بسبب ازمة كوريا قراراً سُمي قرار الاتحاد من اجل السلام ينص على انه «إذا اخفق مجلس الامن بسبب عدم توافر الاجماع بين اعضائه الدائمين في القيام بمسؤولياته الاساسية الخاصة بحفظ الامن الدولي، في الحالات التي يلوح فيها تهديد السلم أو اختلال به أو عمل عدواني، تبحث الجمعية العامة الموضوع فوراً لاصدار التوصيات اللازمة للاعضاء لاتخاذ التدابير الجماعية المناسبة، بما في ذلك استخدام القوات المسلحة للمحافظة على السلم أو اعادته الى نصابه».

ويموجب قرار الاتحاد من اجل السلام، يمكن دعوة الجمعية العامة الى عقد دورة طارئة مستعجلة تتم خلال /٢٤/ ساعة، للنظر في وضع قرار الاتحاد من اجل السلام موضع التنفيذ، اذا تلقى الامين العام طلباً من مجلس الامن وبموافقة تسعة من اعضائه، أو من الجمعية العامة بموافقة أغلبية أعضائها.

ويمكن القول بان الهيئة على المنظمة وبالاخص من قبل الولايات المتحدة الامريكية وممارساتها وتهديداتها المتكررة بوقف المساعدات المالية والانسحاب منها ومن المنظمات المتخصصة العاملة في اطارها، واستعمال حق النقض، يقف عائقاً امام اتخاذ قرارات، وتنفيذ الالتزامات المترتبة على تلك القرارات باسم الاسرة الدولية مجتمعة، وبما يخدم ويتوافق مع الاهداف والمبادئ التي انشئت المنظمة من اجلها، وخاصة في المسائل المهمة، مما يزيد من حدة التوتر الدولي، وعدم امكان المنظمة القيام بدورها باعتبارها منظمة عالمية من حيث العضوية وعامة من حيث الاختصاص، ولها اجهزة تتمتع بصلاحيات وسلطات واسعة اقراها واضعو الميثاق والدول المؤسسة وتضمنها الميثاق للوصول الى الاهداف التي انشئت المنظمة من اجلها.

ان استخدام الفيتو الامريكي قد منع في حالات عدة اتخاذ قرار اداة الاعمال العدوانية التي تقوم بها قوات الاحتلال الاسرائيلي، والدعم الامريكي المستمر لدولة العدو الصهيوني، ساعد ويساعد على تمادي سلطات الاحتلال الاسرائيلي في جرائمها

وتجاوزها ارادة المجتمع الدولي وانتهاك قواعد القانون الدولي .

ومن المفيد ان نذكر في هذا المجال ان السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية بدعم الانظمة العنصرية تؤدي الى خلق المزيد من بؤر التوتر في العالم ، وينعكس ذلك على العلاقات بين الدول وعلى دور منظمة الامم المتحدة باعتبارها مركزاً لتنسيق الجهود والنشاطات الدولية للوصول الى تحقيق المصالح المشتركة واهداف المنظمة ، وفي الوقت نفسه يضعف دور مجلس الامن باعتباره احد الاجهزة الرئيسية من اجهزة الامم المتحدة والمختص في مجال حفظ السلم والامن الدوليين وتسوية المنازعات والخلافات الدولية ويضعف من القوة القانونية لقراراته .

اواخر ١٩٩١

الهوامش والمراجع :

- (١) نذكر بعض فقرات المواد التي نصت على كلمة قرارات ، مقدمة المادة /٤١/ التي تنص على ان لمجلس الامن ان يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوة المسلحة لتنفيذ قراراته ، والمادة /٤٤/ التي تنص على ان «اذا قرر مجلس الامن استخدام القوة . . . ينبغي ان يدهو العضو الذي يشترك اذا شاء في القرارات التي يصدرها» والفقرة الاولى من المادة /٤٨/ التي تنص على ان «الاعمال اللازمة لتنفيذ قرارات مجلس الامن . . . يقوم بها جميع اعضاء الامم المتحدة أو بعض هؤلاء الاعضاء حسبما يقرره المجلس» . والمادة /٤٩/ التي تنص على ان «يتضامن اعضاء الامم المتحدة على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التي قررها مجلس الامن» .
- (٢) المنازعات الدولية تنقسم الى : ١ - المنازعات السياسية ، وهي التي تنشأ عن مطالبة احد اطراف النزاع في تعديل نص قانوني قائم . ٢ - المنازعات القانونية ، وهي المنازعات التي يختلف فيها اطراف النزاع حول تنفيذ أو تفسير احكام قانون قائم .
- (٣) الفقرة الاولى من المادة /٢٨/ من ميثاق الامم المتحدة .
- (٤) هانز كلش ، قانون الامم المتحدة ، لندن ١٩٥١ .
- (٥) زكي هاشم ، الامم المتحدة ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- (٦) تونكين ، القانون الدولي العام ، القاهرة ١٩٧٣ .

الكومبيوتر والترجمة

سلام كبة

مصنع بلا عمال، غزو الفضاء والوصول الى المريخ والزهرة، اقمار صناعية، شبكة اتصالات عبر القارات، انسان آلي، اكتشافات طبية جديدة، تطورات الهندسة الوراثية، الليزر. . . هذه هي عناوين القرن العشرين وثمرة مئات السنين من التطور العلمي والتقدم التكنولوجي. لقد قفزت العلوم، وخاصة العلوم الالكترونية، قفزات جبارة في السنوات الاخيرة، حتى بدأ الكلام عن «انسنة الآلة واتمته الانسان» وذلك عبر سلسلة طويلة من التطبيقات العملية لمختلف النظريات العلمية التي توصل اليها عباقرة العلم في السنوات الماضية.

بدأت وتطورت الثورة العلمية - التكنولوجية التي أحدثتها الرأسمالية المعاصرة في نفس الفترة التي شهدت التغيرات الكبيرة التي طرأت على الاوضاع الدولية اثناء وبعد الحرب العالمية الثانية. ومنذ نهاية هذه الحرب توجه الرأسمالية افضل امكانياتها لتحقيق الثورة العلمية - التكنولوجية وتحمل القسط الاكبر في تطوير منجزاتها، واستخدامها في العمليات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.

شهدت بداية التسعينات بواحد ولادة جيل تقني جديد. وستشهد الاعوام القادمة اكتمال ونضج الثورة التقنية الثالثة (تميزاً لها عن الثورة الصناعية - الاولى - اوائل القرن القرن التاسع عشر والثورة العلمية التكنولوجية - الثانية - بعيد انتهاء الحرب العالمية

الثانية). وستعتمد هذه الثورة أساساً على العقل البشري والالكترونيات الدقيقة وعلوم الحسابات والذكاء الاصطناعي، وتوليد وخزن واسترداد المعلومات مع توصيلها بسرعة متناهية. اذن تشكل الائمة المتطورة، والسيرتتكا، واليونيكاف والهندسة الوراثية، والثورة المعلوماتية، والثورتان الميكروالكترونية، والبيوجينية مضمون الثورة العلمية - التكنولوجية الحديثة وتتميز اتجاهات تطورها. لقد تطورت الميكافوغرافيا، وبعدها الصناعة المعلوماتية ولم تستقم التقلبات فيها. فالعضاربة في ازدياد، والآلات الجديدة لانتزال تدفع الى الاسواق بكمية ونوعية جديدة ومتطورة.

ليس من المستبعد ان يسمى القرن الحادي والعشرون بقرن تكنولوجيا الثورة المعلوماتية الحديثة. فبالارتباط مع اتساع استخدام الكمبيوتر في كل مجالات الحياة وتطور شبكات نقل ومعالجة المعطيات المعلوماتية الوطنية وما بين الدول، والنمو السريع للمخزونات المعلوماتية، المنتشرة في كل العالم، وسهولة منالها لكل انواع الكمبيوتر. . . كل ذلك شكّل وكوّن شبكة مناسبة تهىء امكانيات الانتقال الى التكنولوجيا غير الورقية في معالجة المعلومات. وهو يغير اسلوب محاكاة الكمبيوتر وعلاقته مع الانسان في مختلف نماذج العلاقات المتبادلة العملية والخدماتية.

لقد صاغت الثمانينات، وعلى أساس البحوث المستمرة في مجال الذكاء الاصطناعي، فروعاً صناعية جديدة هي انتاج «الانظمة الذكية». وتجري على الكمبيوتر وبواسطته حل مسائل معقدة تدعى بالذكاة اذ لا ينفذها سوى الانسان. والشكل السائد للانظمة الذكية الآن يعتبر اطاراً «للانظمة الخبيرة». ومن امثلة المسائل الذكية فهم وتحليل واعداد المواضيع والنصوص باللغة الطبيعية، ومحاكاة الكمبيوتر التخاطبية، وتحليل ومعالجة واعداد المخططات والرسوم البيانية والتصويرية، والترجمة من لغة طبيعية الى لغة طبيعية اخرى، والحصول على الحلول المثلى مع تغير الظروف البيئية. . . الخ.

الترجمة الآلية

يساهم شيوع الكمبيوتر في الكشف الامثل عن الصفات الانسانية، وانعتاق المواهب وتذليل عزلة الافراد في عالمهم المتغلق. وهذه خطوة تحررية صاعدة. وليس من اختصاص هذا الموضوع ان يظهر فيفساء الحقائق المعقدة الجديدة في نهاية هذا القرن والتي تعكس تناقض عالمنا الفسيح، وسببت التغيرات الفجائية الانثروبولوجية التي ولّدها ظهور العقل الصناعي أو الروبوت.

تعتبر الترجمة الآلية ميداناً متطوراً في البحث العلمي والاعداد التطبيقي والانظمة

الوظيفية على اساس عملية الترجمة من احدى اللغات الطبيعية الى لغة اخرى باستخدام الكمبيوتر. وقد حققت الترجمة الآلية الاقتراب السريع والمثابر من المعلوماتية المتوفرة في اللغة الاجنبية مع ضمان الفاعلية والدقة في ترجمة سيل كبير من النصوص، خاصة العلمية والتقنية. ان الترجمة الآلية الحديثة هي ترجمة وفق قاعدة المعطيات (Data Base) في الموضوع المعني، ويدخل ذلك كله اساساً في صنف انظمة الذكاء الاصطناعي.

الذكاء الاصطناعي والانظمة الخيرة

ذهب تفكير الناس منذ ظهور الكمبيوتر الى انه سوف يتمكن ذات يوم من امتلاك «قدرات عقلية» تساوي قدرات الانسان أو تفوق عليها. لقد سمي الكمبيوتر الاول بـ «الدماغ الالكتروني». وفي غضون العشرين سنة الاخيرة ترسّخ مفهوم «الذكاء الاصطناعي».

ان هدف الذكاء الاصطناعي هو تحليل السلوك الانساني في ميادين الادراك الحسي والفهم واتخاذ القرار بغية تقليدها، وبالتالي نمذجتها على الكمبيوتر. وموضوع دراسة الذكاء الاصطناعي يشمل كامل النشاط الانساني الذي لم يكن بالمستطاع قياسه. ولا يُعتمد فيه المعيار الخوارزمي* لبساطته في معالجة المعلومات، وهو يختلف عن دور النظام الخبير. لقد استعاض عن الخوارزم بقواعد «الاختيار» و«اتخاذ القرار»، وهي تأخذ بالحسبان المواصفات الدقيقة للمسألة المعينة خلال معالجتها.

اذن الذكاء الاصطناعي تسمية مجازية لجملة التوجهات العلمية التي توّحد اختصاصي الرياضيات، واللغات، وعلم النفس، والمهندسين؛ وتستهدف تكوين الادوات البرمجياتية الكمبيوترية، التي تذلل المحاكاة الابداعية من خلال العناصر المكوّنة للكمبيوتر، واتمته سلوك الروبوتات وتوجيهها الى الهدف المعني، وتأمين اللفة في التحوار مع الكمبيوتر باستخدام لغة النص أو الموضوع تحت البحث. من البديهي ان تستخدم لغات اصطناعية رفيعة في الذكاء الاصطناعي تفوق تركييبية اللغات الخوارزمية، ولغة الصيغ الكيمياوية البسيطة، وتعتمد المنطق اساساً. ومن هذه اللغات المعروفة لغة ليسب (Lisp) ولغة برولوج (Prolog).

ان عالم اليوم والتقدم العلمي التكنولوجي سيكون بلا معنى لولا النتائج التي اكتسبتها البشرية ويتوقع رفدها في المستقبل ببحوث الذكاء الاصطناعي.

يمكن تعريف النظام الخبير بأنه برنامج لحل المشاكل يحقق اداء جيداً في مجال محدد يتطلب معرفة ومهارة متخصصة تماثل عمل الانسان الخبير، ويوظف النظام معرفة

الخبير، ويحاول محاكاة تفكيره ومهارته ودوافعه. وتستطيع معظم الانظمة الخبيرة شرح مسبلات الوصول الى نتيجة معينة. وعلى عكس البرامج التقليدية، تستطيع الانظمة الخبيرة توظيف البيانات الكمية والوصفية، ويمكنها الوصول الى نتائج من بيانات غير كاملة او غير مؤكدة.

استخدم الذكاء الاصطناعي والانظمة الخبيرة في الترجمة الآلية وتطوير برامج تحقق هذا الهدف وتقديم المشورة والنصح، والحلول محل الافراد. وذللت الانظمة الخبيرة امكانية «تطبيق» معارف الكمبيوتر بحاجات الترجمة ومستلزماتها. لقد استخدمت اول مرة في ميدان الترجمة الآلية في كمبيوتر الجيل الرابع. واكتسب استخدامها انتشاراً واسعاً في آلية عمل كمبيوتر الجيل الخامس.

فهم اللغة والسيمانتيكا

من اصعب مجالات بحث الذكاء الصناعي هو فهم وتحليل اللغات، وكان من اهدافه المبكرة الترجمة الآلية. لقد تُرجمت بنجاح أواخر الخمسينات لغات الكمبيوتر الخوارزمية، من لغة الى اخرى، باستخدام مكونات عتاد الكمبيوتر (Hardware). وعلى هذا النحو تجري كتابة البرامج لترجمة اللغات الطبيعية ولو بمستوى اكثر رقياً وتعقيداً. تستغرق ترجمة نص من شكسبير الى اللغة العربية بعض الوقت، ولكن ترجمة اوراق علمية من لغة طبيعية الى اخرى تكون سهلة ومباشرة. ان الترجمة الآلية هي اكثر مجالات الذكاء الاصطناعي تعقيداً.

في بدايات التجربة توصل العلماء الى نتائج عجيبة وغير منطقية في الترجمة الآلية بسبب ضرورات مرحلة التشفير أو الوسائط اللغوية. ولم نحصل على ترجمة معقولة ومقبولة رغم استخدام القواعد اللغوية البسيطة في «تطبيق» معارف الكمبيوتر. وبسبب العقبات التي واجهت مشاريع الترجمة الآلية فقد توجه البحث نحو فهم افضل وادق للغة، تمهيداً للنجاح لاحقاً في الترجمة.

يتطلب تعامل برنامج الكمبيوتر مع اللغة الطبيعية مقداراً كبيراً من المعرفة في تركيب الجمل، ومعنى الكلمات، ومورفولوجيا (صرف) الكلمات، وقواعد المحادثة. . وغير ذلك. ومن تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية فهم الخطاب، وفهم رواية القصص، ونظم السؤال - الجواب، والترجمة الآلية، وفهم النصوص والوثائق، وإعادة الصياغة الآلية اللفظية للجمل، والتعامل مع البرامج الذكية، والتحكم بالمكائن والآلات المعقدة المساعدة في تدقيق النحو، وبناء النصوص وكتابة الوثائق. . وغير ذلك.

يحتاج فهم اسلوب تعامل الكمبيوتر مع اللغة الطبيعية جهداً مضمياً في قواعد النحو والصرف. ويقول كل من بار وفيجنباوم في كتابهما «فهم اللغة الطبيعية» الصادر في ١٩٨١: قواعد نحو وصرف لغة ما، هي مخطط اختيار وتكوين الجمل في هذه اللغة، وتعيين قواعد الاعراب لربط الكلمات في عبارات وتراكيب واضحة ومفهومة. وقد دخلت مفاهيم عديدة في مجال فهم اللغة الطبيعية، منها مفهوم حديث هو (السيمانتكا) أي قواعد دلالة اللغة.

تعطى المعالجة السيمانتكية معنى الكلمات في مختلف الجمل. ويميز التحليل السيمانتكي بين استخدام الكلمات كفعل أو مصدر. . الخ، ومن ثم يساعد على فهم معنى الكلمة المستخدمة. وتدخل في تدليل التحليل السيمانتكي الضمائر والصيغ اللغوية البديلة، وكذلك الانتقال المعقول من صيغة لغوية الى اخرى دون وجود رابطة منطقية لغوية (مفهوم - Ellipsis).

ومن المفاهيم المساعدة في فهم اللغة الطبيعية قواعد الاعراب التي تميز بين التراكيب والجمل اللغوية. ان دور الاعراب في النحو هو بناء شجرة اعرابية أو تركيب مماثل للجمله، وتبيان الاستعمال القواعدي للكلمات وعلاقاتها المتداخلة. ويتركز دور المعالجة السيمانتكية في تأكيد معنى الجملة.

مراحل تطور الترجمة الآلية

اول من استخدم الكمبيوتر في الترجمة بوضوح هما بوت وأوفر عام ١٩٤٦. ومنذ عام ١٩٤٩ سارت بحوث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة قدماً في جامعات كاليفورنيا ولوس انجلوس وتكساس وغيرها. وفي جورج تاون أجريت بنجاح أول ترجمة من اللغة الروسية الى الانكليزية عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٥٥ اجريت في الاتحاد السوفيتي اول تجربة في الترجمة الآلية من الانكليزية الى الروسية في الرياضيات (على اساس قاموس يحوي ٢٣٠٠ كلمة). واليوم تأتي الولايات المتحدة واليابان والاتحاد السوفيتي والصين في طليعة البلدان التي توظف الترجمة الآلية لخدمة متطلباتها الاجتماعية - اقتصادية، والعلمية - التقنية.

تستعمل اليوم الترجمة الآلية في ميادين كثيرة منها: ١ - المعلومات الخدمائية لتوفر معلومات واسعة وكثيفة وسيل ثابت من المصادر اللغوية الاجنبية. ٢ - المنظمات العالمية التي يتطلب عملها عدداً كبيراً من الوثائق متعددة اللغات. ٣ - الخدمات المرتبطة بترجمة الوثائق التقنية التي تصاحب عادة اقتصاديات التصدير. ٤ - الترجمة التوافقية الفورية التي

تتطلب عدداً كبيراً من البلاغات والتعابير المتماثلة.

يمكن تصنيف انظمة الترجمة الآلية على اساس متنوعة منها: تطور الاستراتيجية اللغوية. وعلى هذا الاساس يصنف تطور الانظمة المذكورة الى اربع مراحل. الاولى وتمتد من نهاية الاربعينات حتى اواسط الستينات، وتتسم بتطور مضطرب وعاصف في الانظمة المذكورة. ويشبه عملها ترجمة النصوص كلمة كلمة، وتسمى بأنظمة الجيل الاول. المرحلة الثانية تمتد حتى اواسط السبعينات، وتتميز بتطور النظريات اللغوية حيث استند عليها تطور كمبيوترات الترجمة. أما انظمة الجيل الثالث فتمتد حتى اواسط الثمانينات وخلالها انتشرت صناعة الترجمة الآلية اوسع انتشار وتطورت تقنية التحليل النحوي والصرفي والسمانتينيكي. إلا ان هذه الانظمة لم تشهد عصر النماذج التقنية السيمانتنيكية رغم دخولها لأول مرة في التاريخ عهد المحاكاة والتخاطب الكمبيوترية وتفاعل الانسان مع الآلة. ظهرت الانظمة الخيرة والمعارف النصية والمصطلحاتية في الجيل الرابع من الانظمة منذ اواسط الثمانينات.

يستند المشروع الياباني في بناء انظمة الجيل الخامس على اساس مختلف تماماً فتدمج الترجمة الآلية مع كمبيوترات الجيل الخامس. وهذا بحد ذاته تطور هائل يؤدي الى تطور الانظمة المتعددة اللغات القائمة على اساس تقنية الترجمة المعلوماتية الذاتية. وفيها تكشف الامكانيات اللغوية عن توسع اساس المدخلات والمخرجات (Inputs) (Outputs) التخاطبية الكمبيوترية.

كما تصنف كمبيوترات الترجمة على اساس اخرى اهمها نطاق الاستخدام ودقة صناعة الكمبيوتر، وتقسم عادة الى ثلاثة انواع: الصناعية والمتطورة والتطبيقية (أو المختبرية).

أفاق تطور الترجمة الآلية

ان قضية الترجمة بما فيها الترجمة الآلية هي قبل كل شيء، قضية ومشكلة اللغة. ومن الضروري ان تفسّر النظرية السيمانتنيكية قواعد وقوانين تطور محاكاة النصوص ارتباطاً بالتطور البرامجيائي للنص. في هذا الاتجاه تتطور الترجمة الآلية كميدان علمي بحد ذاته. ويتبع ذلك اهتمام متنام بمختلف انواع من الادوات الوسيطة (Mediators) في اللغة: مثل تلك القائمة على لغة الاسبرانتو العالمية. ومن الادوات اللغوية للوسيط اللغوي الرئيسي قواعد فيلمور وهي من اشهر النماذج السيمانتنيكية رغم انها لا توضح كامل العمليات السيمانتنيكية.

في هذا المضمار لا بد من حضور قوي للقسم النظري والتطبيقي لعلم تصنيف المعاجم والقواميس (ليكسيكوغرافيا) ونظرية النصوص، ونظرية دالة عملية الترجمة وغيرها.

يحدد حاجيتز المشاكل الاساسية التي تواجه الترجمة الآلية، بدقة تعدد مستويات تقديم النص من حيث المحتوى والتركيب، ووسيلة تكامل المستويات المختلفة - لعملية (الفهم)، وتطور طرق التحليل البسيطة والشاملة، ومعالجة النقص، والاستعمال المجازي للنقص السيمانتيكي، وتطور صياغات السيمانتيكا النصية، ومعالجة الشبكات السيمانتيكية الكبيرة والمعقدة، وتأمين مبادئ متطورة لعملية التشفير وخاصة ما يتعلق بالقواميس الكبيرة. وعند سلوكهم افق هام للتطور المنشود لانظمة الترجمة الآلية الكبيرة - وهو ضرورة اتمتة نفس عملية البحث. ويرى انه لم تعد الطرق اليدوية في بناء وتشكيل النماذج السيمانتيكية مقبولة في الاستخدام بالانظمة الكبيرة.

تشكل انظمة الترجمة الآلية المعاصرة من انظمة مجتمعاتية تعمل على مختلف النظريات اللغوية، وتمتلك المخرجات لمختلف المشكلات المعلوماتية. ومن المشاكل الاساسية اللغوية التي تواجه تطور الترجمة الآلية تشكيل أو صياغة سيمانتيكا النص وادخال المعارف في التركيب والنماذج السيمانتيكية. وتحل جميع هذه الاشكالات البحوث الجارية في تطوير الذكاء الاصطناعي التي تفصح عن آفاق بحث علمية لغوية واسعة.

انظمة ترجمة نموذجية

نظام سيلود: يؤمن هذا النظام في الاتحاد السوفيتي الترجمة المعلوماتية والوسيط النصي للترجمة وكذلك الترجمة النصية التقنية. ويحتوي على مترجم جامع برامجياتي ومترجم جامع قاموسي آلي. ويستخدم هذا النظام عادة في الصناعة. لقواميس هذا النظام عام ١٩٨٧: الانكليزي - ١٨ ألف كلمة و ١٢ ألف مصطلح (idiom)، الفرنسي - ١٠ آلاف كلمة و ٤ آلاف مصطلح، والروسي - (٤٥٠٠) كلمة وألف مصطلح، وكذلك توجد قواميس لغات اخرى. هذا فيما يخص مدخلات الكمبيوتر - النظام. أما قواميس المخرجات فهي: الروسي ويحوي ٥٠ ألف كلمة، والانكليزي ويحوي (٣٥٠٠) كلمة. وتوجد قواميس مخرجات اخرى.

يشمل النظام تركيب سيمانتيكية. واعدت القواميس الآلية على اسس التقنية الكمبيوترية وشيوع استخدام آداب المخاطبة. ويتسع المترجم الجامع البرامجياتي لذاكرة

فعالة بقدرة ١٢٠ كيلو بايت بينما يتسع قاموس المدخلات الذي يحوي ١٥٠ ألف وحدة لثلاثة ميكابايت. أما قاموس المخرجات الروسي فيتسع لاربعة ميكابايت.

ويستخدم هنا النظام لغة PL-1 ولغة التجميع.

من انظمة الترجمة الآلية الصناعية المشهورة الاخرى نظام تيتران الياباني، ونظام أنراب السوفييتي، ونظام ميتال الاميركي. وفي صنف انظمة الترجمة المتطورة يحتل نظام روسلان الجيكي موقفاً متميزاً. وتصاحبه انظمة مثل نظام ترانسوفت الاميركي - الالمانى المشترك، ونظام ياراب السوفييتي.

خاتمة

لوحصرنا تطور العلم والتكنولوجيا طيلة تاريخ البشرية كله بمقياس عام واحد لانضمح ان الفترة الممتدة منذ اكتشاف النار حتى ظهور اول اداة حجرية قد استغرقت ٩ اشهر، أما احدث اكتشافات اسرار الطاقة النووية والالكترونيات الحديثة الصغيرة والليزر فقد استغرقت الفترات المارة بينها ثوان فحسب!

في مثل هذه الفترات المحسوبة بالثواني ستظهر في المستقبل مصانع الميتالورجيا والمختبرات البيونكية والبيوتكنولوجية على متن الاقمار الصناعية، والبيوت مع ساكنيها في قاع المحيطات، وستشمل الانظمة المعلوماتية كل نواحي حياة الانسان والمجتمع.

تتحول البشرية أكثر فأكثر الى اسرة عالمية واحدة ويزداد تكاملها في ظل التقدم الهائل العلمي - التقني والتبادل المعلوماتي. بينما يعتبر قلب الثورة العلمية - التكنولوجية الآن تولي الوسائل التقنية انجاز مهام الانسان الوظيفية. لقد اصبح العلم والتكنيك اليوم اساس الانتاج المادي.

هذا هو العالم الذي نعيش فيه على اعتاب الالف الثالث - وهو عالم مفعم بالأمال، فالناس لم يكن في متناولهم بهذا المقدار ما يلزم لتطوير الحضارة. وهو في الوقت نفسه عالم مثقل بالمخاطر والتناقضات ويمد بأكثر فترات التأريخ قلقاً.

* الخوارزميات: جمع كلمة خوارزم. وتعني تعاقباً محدداً من التعليمات الموصوفة جيداً مع توفر الخصائص التالية: ١ - لا يوجد غموض في أية تعليمة. ٢ - بعد تنفيذ تعليمة معينة، لا يوجد غموض في تحديد التعليمة التالية. ٣ - يجري بلوغ تعليمة انتهت (Stop)، دائماً بعد تنفيذ عدد محدد من التعليمات.

♦♦ البايث (Byte) - وحدة قياس الذاكرة في الكمبيوتر. وهي مجموعة ارقام ثنائية متجاورة وتكون عادة اقصر من كلمة.

*** لغة التجميع (Assembler) ولغة 1-PI من اللغات الخوارزمية.

المصادر:

- (١) المكانن الذكية: مقدمة لأفاق الذكاء الاصطناعي والروبوتكا. وليم. ف. جيفارتر - ١٩٨٥ / نيوجرسي / الولايات المتحدة.
- (٢) الذكاء الاصطناعي - مرجع من ثلاثة اجزاء. تحت اشراف البرفسور بروفو أي. ف - ١٩٩٠ / موسكو.
- (٣) الادمغة والسلوك والروبوتكا. جيمس سامرا البوس - ١٩٨١ / كرينسي الشمالية / الولايات المتحدة.
- (٤) قاموس التقدم العلمي التقني. ١٩٨٧ / موسكو.
- (٥) الرياضيات والخوارزميات. البرستون م. د. ، هيتجسون جي. بي - ١٩٨٨ / الولايات المتحدة.
- (٦) معجم مصطلحات علوم الكمبيوتر. د. عبد الحمن الحسيني / ١٩٨٧.
- (٧) الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته. جين - باسكال اوفوت وريجارو سكوبيرغ. ترجمة: طارق الدهني / ١٩٨٩ / سوريا.
- (٨) الثقافة الجديدة - مجلة الحزب الشيوعي العراقي.
- (٩) المؤتمر السابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي. وثائق.

أدب وفن



أكراد رحل

أنور الغساني

فِرَاشُ سَهْلٍ
جِبَالُ تَحَاذِي الرَعْبِ
بِالزَّرْقَةِ مُعْتَفِرَةٌ
بَيْنَ الْقِمَّةِ وَالْهَاقِيَةِ
بَيْنَ الشُّوكِ
وَالسَّهْلِ الْمَرْقُطِ بِالْخِرَافِ
بَيْنَ السَّهْلِ وَالسَّهْلِ .
لَنْ يَنَامُوا فِي طَفْلِ الْعَشِيِّ
سَيَفَادِرُونَ وَلَنْ يَلْمَسُوا
كَسْرَ الْكَلْسِ الْوَفِيرِ .
يَمْضُونَ فَرَحِينَ بِصَلَادَةِ الْأَرْضِ
وَبِالصَّخُورِ النَّوَاتِي .

والصخور، بثقت الماء،
 والماء، قبلهم، هنا، كان.
 الأفواه تستطعم الحليب
 الأقدام تأرق
 الأرض تستهلك دماء السيقان
 لكنهم يثدون الصراخ
 منتظرين التلامس في الليل.
 الصباح ينزع الخمور عن السماء
 يملد الأرض بضوء غازي
 فيتوقون إلى الطريق
 المتسامية عليهم
 المستنيمة للأقدام.
 يخلفون الأرض المكتشفة
 فتضمحل المسافة ويظل المجهول.
 خرشفة في حناجرهم
 وكلما تهم تتصادم كالأخشاب
 بأصواتهم يُقْصَحون الأحجار
 وبالبصاق يرجمون العوائق
 ثم يفلتون بأجسادهم
 ليظهروا من وراء الجلا يد
 وقد نقاهم العشب من الأوضار.
 يصلون بعد تجمد السيول
 فيجدون الهواء المُرَقَّق للماء يسيل.
 يصلون وقد هشموا كريستال الماء
 فيمسدون جباه البغال وبينون البراذع
 وينسجون النُطْق والارسان محلاة بالشراريب.

من أجل هذا أنفقوا السنين
حتى نسيت وجوههم زُرْقَةَ الشَّعْرِ
وَابْيَضَ تَقَرْنَ الجلود.

يحلون حيث الربيع،
فتتابع شفاههم الاحاديث،
تأخذ لفظاً مُطَوِّفاً هنا
ولفظاً من هناك.

وبينما هم في هذا الشأن أو ذاك
يدركون أن الوفرة والدمس
سيكونان في الاشياء
وأن غيابهم بالتتابع أكيد
فيحنون الى الارض الصغيرة
حيث يقفون ويسقطون.
ثم تصيح امرأة: «خُدا، خُدا»
فيتلقون بدنأً
يحمونه بالرفير

وبأكفهم التي متنت الخيام
أكف كالطيور، مثنوئة بالتراب.
وإذ يفهمون أنها قد تذكت بالاحداث
وأن نسج الأكسية كان راحتها
يتنازلون عن بعض طاقتهم للجبال
لملكوت التوت والجوز والبلوط.
هم أنقياء من الصدى الفاض
وهم الظل الابقى والالعب،
والحصى والنوى،

صَبَغَ اذْهَانَهُمُ الْمُسْتَنْطَقَةَ لِلْاَرْضِ .
يَتَّقُونَ بِمَعْضِ الْخَضِرَةِ ،
تَارِكِينَ الْفَضَاءَ الْاَزْرَقَ يَبْزَغُ
يُثْبِتُونَ زَمَنًا اِخْتَارُوهُ
لِيَعْرِضُوا تَلَاقِيَهُمْ تَحْتَ نَجْمَةِ الشَّمْسِ
وَهُمْ سَيَظْلُونَ هُنَا
اِلَى اَنْ تَشَبَّ النَّيْرَانُ عَلَى الْقَمَمِ
فَيَسْتَمِرُّونَ مَعَ الْعَشْبِ
مُضِيفِينَ اِلَى اَعْمَارِهِمْ عَامًا جَدِيدًا .

٢٣ - ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٢

أسلاف المكيدة

صالح دياب

أغلب الظن
أنهم جاؤوا من الحنين
ولم نتبه
كيف أشرقوا من كلماتنا.

بكائي وردة
جئنا إلى بصيص ماء
- في مشارف أعمارهم -
أطفأه ركضنا الشاهق.

هم الذايمون
حيث تقودهم خطاهم
الفائضة أصابعهم
وهم لا يعلمون.

إلى البيوت
تسبقهم أرواحهم
وأعمارهم تشلح نهارا
زائدا عن اللزوم.

بشرائط
زرق
وحمر
وحده الألم
كنار حياتهم.

رائحتهم
تهب من شمال الذكرى
ويقع أصواتهم
لما تجف في البيت.
ونذكر
أيديهم ميناء أيدينا
التائهة
وعيونهم لا تكف
عن النهار.
في النسيان
كانوا ينفثون.

عادوا بحشرات شاسعة
كأحلامهم
وبنتيجة:
أن الأشجار ان أمطرت

إنما تمطر
على الأسفلت.

أسلاف المكيدة
الذين صاروا في نمة الحيرة
أنجزوا خيبتهم
وانحدروا باتجاه الكلام.

بيروت ١٩٩١

الى الاعزاء المشتركين والمتبرعين

حصل خطأ في رقم الحساب المصرفي المنشور في العدد الماضي .
فنرجو استخدام الرقم الصحيح عند التحويل وهو 466184/12.
ولكم جزيل الشكر لدعم مطبوعاتنا لكي نستطيع ايصالها بأقل من
ثلث كلفتها الى المواطنين المنكوبين بالدكتاتورية والتضخم الرهيب .

ثلاث قصائد

أحمد ديبو

نقرات

أحبك
هذا يعني
أنني سوف أركض كثيراً
حتى نهاية هذا المطر.

* * *

سيجيء العالم
مثقلاً إليك بقلبه
وتمضين أنت
بلا قلب.

* * *

صالح دياب
على طول النهر
ستفتقدك الأشجار والعصافير
ستحمل في يدك المفتاح
ولكن السماء مقفلة مثل كرة.

* * *

وأخيراً
دعينا من كل ذاك
الهراء
أنت لي
وكفى.

كلام

بالأزرق بحار العالم تتكلم
بالليلكي، الليلك يتكلم
بالبنفسجي البنفسج يتكلم
بالأصفر الخرتوب البري يتكلم
بالبرتقالي البرتقال الحزين يتكلم
بالأحمر الشفق والورد الجوري يتكلم
بالأخضر نباتات العالم تتكلم
وأنا بكل الألوان معك سأتكلم

رؤيا

من يسرق من قبيلة الصحو
شرارات الحلم؟

من ينسل عن سجادة المحبة

سلك البراءة؟

من ينزع عن قلب الحجر

صمت الكلام

وهأنذا . .

أبحث بين أشلائي

عن خلية واحدة

أبني عليها أيامي

تراكم رمادي

وغطاني

قستان قصيرتان

ابراهيم احمد

اللجوء عند الاسكيمو

الى الصديق عبد الغني الخليلي

من كوة الكوخ الثلجي عند حافة العالم ، احرق بالهاوية الكونية التي انفتحت امامي . . وقد تراقص القمر والنجوم بجاني . . ولولا اني ارتجف منتظراً قرار ملك الاسكيمو لرأيت الله ، هل سيقبلوني لاجئاً عندهم أم سيلقون بي من هذه الحافة الجليدية الشاهقة المطلة على العالم الآخر؟ تقاذفتني الدول كما كنا نتقاذف كرة الخرق في زقاقنا الموحل وكان عزائي دائماً انهم لم يسلموني الى السلطات في العراق .

نزلت مطار ستوكهولم . حقق البوليسي معي ساعات . رفضوا قبولي لاجئاً اذ اخبرتهم انني قادم من ليبيا بعد ان انهوا عملي ، قالوا ان ليبيا موقعة على معاهدة جنيف ١٩٥١ للاجئين وكان علي ان اقدم طلباً للجوء هناك . خجلت ان اقول انني حاولت عبثاً مع الاشقاء للبقاء في ارضهم الواسعة الدافئة مذكراً بالدم الذي هو كما يقولون اهم عندهم من حبر المعاهدات وهكذا لاحقني صدقي وسذاجتي وبلاهتي . . طردوني على الحدود

الالمانية لاني قادم من السويد الموقع على معاهدة جنيف ١٩٥١ للاجئين. طردني الدانمارك لاني قادم من المانيا الموقعة على المعاهدة. رفضتني النرويج لاني قادم من الدانمارك الموقعة معهم على المعاهدة. ولم احترلشيء قدر حيرتي ان كانت معاهدة جنيف مكتوبة بالحبر أم بالزئبق.. وعلى ورق في مكاتبهم الفخمة أم على شاهدة قبر جدتي؟

كنت ارسل البصر تائهاً متحيراً بين طريق هائل ترجمه الشاحنات المحملة بالواح البيوت الجاهزة.. التي بدت لي كقطع من السماء، وبحر منجمد شاسع جعلني اكتشف اخطر نقص في تكويننا: لا نستطيع العيش تحت الماء. اذى الحيتان والكوسج لا يساوي صفقة أو كلمة مهينة من انسان. وقف بجاني رجل عجوز يقود زحافة تجرها ثمانية كلاب.. سألني والثلاث يتساقط من لحيته «هذا هو طريقي؟» قلت: «ماذا تقصد؟» قال: «ألا تعرف الاسكيمو؟ ألا تعرفني؟» اعتراني فرح غامر. فكرت. اذا كان هذا الرجل يعتقد انني اعرف طريقه فلا بد انني اعرف طريقي أيضاً. استيقظت في قدراتي على التنبؤ والتي قتلها الجميع منذ سنوات. قلت باعتداد «هو ذا» وعندما وجدت يدي تؤثر باتجاه البحر خجلت ولكن يبدو ان الهامي هو الذي كان يعمل. فقد قال العجوز فرحاً لقد انقذتني من نفسي، منذ ساعة وأنا اقول لها، من هذا الطريق أتيت «سار قليلاً ثم زجر كلابه وتوقف، التفت اليّ بحنو افتقدته منذ ان فارقت اهل قريتي قبل اكثر من ثلاثين عاماً»: اتريد ان تأتي معي؟ وجدت انني سأواصل غيابي وبلادتي اذا رفضت، قلت لنذهب الى الاسكيمو فهذا كل ما بقي لنا من العالم قبل مثلث برمودا. اجلسني الشيخ على جانب من مقعده الذي كان قد دفاه بجسده، وانطلقنا. لا أدري لماذا ذكرتني رائحة عرق الكلاب الراكضة على الجليد براحتنا في احدى المظاهرات القديمة. اخرج الشيخ ثلاث قباني من الكحول قال انه استبدلها في «اوسلو» بصيد عام كامل من جلود الثعالب والفقمة والديبة القطبية. قلت: «حسناً فعلت». «ولو عدت الى العراق لاستبدلت صيد ثلاثة اعوام من الديبة القطبية والفقمة والبطريق والطوايس والديكة والارانب.. بقنينة عرق واحدة». «قال الشيخ حسناً تفعل». فتح قنينة وقال «لنمزج اسمينا بالكحول»، نطق اسمي فتجمد امامي في الهواء. ونطق هو اسمه فلم يتجمد ولكن لم يدخل رأسي المتجمد. اخذ يناديني «كي» ويبدو ان هذا هو ما علق في ذاكرته من «Iraki» ابتسم الرجل وقال «كي» في لغتنا تعني «قفل».. واعتقد انها في لغة الانكليز تعني مفتاح.. ماذا تعني في لغتك؟

قلت: قفل.. ومفتاح.. ورقصة هز البطن.

قال الشيخ: لقد توقعت ذلك تماماً.

وفتح قنينة اخرى واخذنا نشرب من فوهتها. اخذت اغني للكلاب كي تسرع في

المسير، اوقفني الشيخ . قال : «كي» غناؤك حزين وسيء ويجعل الكلاب ترفع سيقانها لتبول، ظللنا نكرع الكحول ولتتهم شرائع نيثة من كبد ذئب البحر، ولم اشعر بما تبذله الكلاب من جهد واهتمام وهي تقطع بنا البحر المنجمد وتزوغ عن التيارات الدافئة المنحدرة جنوباً.

قال الشيخ : «كي» اتسمح لي ان ابقي نصف هذه القنينة لزوجتي . . . اريد ان احذف بها ستين عاماً من عمرها . . هذه الليلة . . ثم اغمض عيني ونام . اعترتني رهبة . كيف امسك زمام الزحافة؟ أي الطرق سأسلك في القطب؟ كانت حالة القمر تلامس الثلج وبدا ان الزحافة تصعد بنا شبكة الضوء الى السماء . قلت لاترك الامر للكلاب والقيمر وانفاس الشيخ التي احسست بالكلاب تمشي على هديها . وانصرف للتفكير بمعاهدة جنيف لعام ١٩٥١ لللاجئين . . لقد نمت، احسست بالشيخ يهز كتفي ويصيح «كي - كي» لقد وصلت الاسكيمو، «رأيت رجالاً ونساءً بوجوه حمراء مستديرة ورؤوس بيضاء، يداعبون ذقني وانفي بذبول وزعانف السمك» . افضل تحية عندنا . قال الشيخ . طلبني ملكهم على الفور قالوا انه يريد ان يعرف نفسه بي . عجبت لهذا التواضع . ولكن خسائستي من الحكام جعلتني اكتب واتوجس خوفاً . وضع الملك سمكة صغيرة بيدي واجلسني على جلد الفقمة وظل يبتسم مرتبكاً . . حتى زال ارتباككي . كانت حاشيته حوله وكان واضحاً انه يريد ان يحقق معي . ولكن حكام الاسكيمو على ما يبدو يستحون .

سألني بحماسة مباغتة . كيف تعاملون الكلاب في بلدكم؟ كنت اتوقع اسئلة عن معاهدة جنيف ١٩٥١ لللاجئين . وقد اعددت اجوبة محكمة استناداً لنبودها . . وكما اوجت لي بها مسيرتي على الثلج . . وكنت قد قررت ان اكذب . واكذب - ولكن سؤال الملك، اشعرني بحاجتي الى النوم . .

قلت دون تفكير : «باحترام شديد . نضعها بمناصب رفيعة . . ومواقع عليا . . تنهش لحمننا . . ونعبدها . . سيدي» دهش الملك الكهل وقال :
- ومن يجز الزحافات عندكم؟

تثابيت . وصرت اول رجل في العالم يتثاب في حضرة ملك ولا يقطع رأسه . قلت
بعد هنيهة طمأنينة :

- لدينا سيارات وبترول . سنهيك شيئاً منه يا سيدي .

ابتسم الملك بحياء . . كعزراء تصد اول قبلة . وقال :

- لا . شكراً . نحن في برد وصلاح .

والتهم حفنة من الثلج . . وقال :

- والاسماك؟ كيف تعاملون الاسماك؟

سؤال آخر غير متوقع . لا تسعفه أكاذيب المعدة . ولم يبق سوى قول الحقيقة :
- بمتهى الكرم سيدي . . حتى اننا نطعمها لحم جنود اعدائنا ، ولحم جنودنا ايضاً .
ظهر على الملك الاشمشراز ، فأسقط قطعة من السمك النوى من فمه . واخذت
حاشيته تململ .

ظل الملك مفتعاً ، مهتاجاً . اتكأ الى الخلف كمن اصيب بخيبة امل . . وانقلبت
وجوه الجميع . داهمني خوف وهم واخذت ألوم نفسي على تمسكي بسذاجتي وبلاهتي .
وجلبي لنحسي وبلائي الى هنا . اقتادوني الى هذا الكوخ ، ولكن ليس بالقسوة التي كانوا
يقتادوني بها في المطارات .
ها هو الثلج يهسهس تحت اقدام متراكضة . ثلاثة رجال . بأيديهم فانوس تفوح من
زيته رائحة السمك . ويضيء وجه فتاة جميلة .

فتحوا جلد ذئب جاف . وقالوا انه قرار الملك واخذوا يقرأون بخشوع : «لا تطلبوا منه
العودة ألا حين تسمعون . . ان الكلاب في بلاده قد عادت لجر الزحافات . والناس لم تعد
تأكل لحم ابنائها المختبيء في بطون السمك» . ودفعوا الفتاة الجميلة الى الكوخ ، قالوا
انها احبتك منذ رأتك تهبط من الزحافة وقد بارك الملك حيكما . كانت في السادسة عشرة ،
بضة ، شقراء ، فائنة . دخلت الكوخ وشرعت توقف اعوامي الخمسين الميتة في جسدي
الهزيل . هذه الليلة لن اتحسر على شيء في العراق . . سوى على تمره الذهبي .

تمثيل

كان جليل الواسطي بغرفته المؤجرة في بيت قرب محطة «النويكي» في بودابست
عندما رآهم في التلفزيون يحتفلون بيوم المسرح العالمي . تذكر انه التمثيل ، شاغل عمره
يقول انه امضى سنوات في المنفى وربما سيمضي سنوات اخرى من اجل ان يمثل بقاء
كالحلم ، كان عضو الفرقة الوطنية . احس بنشوة حزينة وهو يستعيد ادواره ووجوه زملائه
وادوارهم المتألقة . بعضهم معه الآن في المنفى ، بعضهم قتل أو شرد ، وآخرون بقوا هناك
يمثلون ويعانون ، يقارعون بصمت أو يساومون . . ولكي لا يخزن توقه للتمثيل في صدره
ويتكلس ويتحول الى ورم قاتل . . . كما يقول . . فقد اخذ يسربه الى الحياة ويخلطه
بتصرفاته ومواقفه بين الناس ، وجعل الشوارع والبيوت . . والساحات امتداداً لمسرحه . حتى
صار من الصعب فصل تمثيله عن سلوكه الحقيقي معلاً ذلك ولا يجري الممثل على

المسرح عفويًا سلسًا ما لم تطحن الايام عظامه احتسى كأساً من الباليكا، ثم لاح له من النافذة كشك الهاتف العمومي القريب من البيت، كان قد لاحظ ان هذا الهاتف منذ يومين قد اعترته نوبة كرم مفاجئة . . وصار شيوخاً قبل دولته، اذ يعطي خطوطاً ومكالمات الى أي بلد في العالم دون ان يأخذ نقوداً. نزل اليه الواسطي وقد قرر ان يمثل . أدار رقم هاتف المسرح الوطني في بغداد وجاء صوت عرفة فوراً «صوت جبوري»، أما زال هناك؟ يجلس في غرفة الاستعلامات أو عند شبك التذاكر يشرب «العرق» ويتنظر ان يؤدي دوراً صغيراً يتلقى عليه حفنة من التصفيق أو الصغير ونقوداً تمكنه ان يكمل شربه كل ليلة في احد البارات أو النوادي . كان الصوت يصيح باسترخاء «هلو». وجد الواسطي انه الآن فقط مرتبك ومتلجلج. ولعن لحظة الحنين التي وجدها تفقد، حتى الممثلين قدرتهم على النطق . لكنه تمالك نفسه وقال:

- هل جليل الواسطي . . يشترك في تمثيل مسرحيتكم هذه الليلة؟ قال جبوري وقد اعتراه حماس مفاجيء:
- نعم ويدور رائع.

ذهل الواسطي . كل ما كان ليتوقعه ان يقولوا «لا» وقد قرر ان يمثل دور احد المعجيين ويمتدحه ويطلب اليهم دعوته للتمثيل ويخرجهم . لكنه وجد ان قنينة العرق التي يضعها عادة جبوري تحت كرسيه، وكرشه المندلق . . تفعل الاعاجيب هذا اليوم.

قال: امأكد؟ جليل الواسطي نفسه. ؟

رد جبوري: نعم . . وهل صنعنا واسطي آخر؟

تذكر صوره وصور الممثلين اصحابه المعلقة عند صدر مدخل المسرح . . اراد ان يعرف هل ما زالت هناك. وهل هو يقصده حقاً!

- قل لي توجد صور تجمع الممثلين عند باب . . .

وقبل ان يكمل . . بدا ان جبوري وقنينة عرقه تفهمان كل شيء:

- نعم ما زالت هناك كل الصور، وقد اضفنا لها صوراً بأدوارهم الجديدة . . ماذا . .

هل سمعت ان زلزالاً . . ضرب المسرح الوطني؟

تصور الواسطي انه يستطيع ان يهشم قنينة عرق جبوري . . بهذا الطلب:

- هل استطيع ان اتحدث مع جليل الواسطي؟

رد جبوري باعتداده المعهود:

- بكل تأكيد، إنما هو الآن على المسرح . . انتظر سأرى فيما اذا انتهى من دوره . .

وألقي السماعه . فأحدثت صوتاً، كأنها اصطدمت بمنفضه سجاجره الثقيلة . عجب .

كيف لم يعرف جبوري صوته. وكان يسمعه كل يوم في صحوهما وسكرهما . هل غيرت

صوته الغريبة . والانقطاع الى هذا الحد؟ أم ان فنية عرق جبوري تلعب بمرح عظيم؟
وجاءه صوت آخر . . ويقدر ما يميز الانسان صوته ، أحسن الواسطي انه صوته تماماً ،
ولهجته ذاتها عندما كان يتحدث مع المعجبين والمعجبات اللواتي يطلبينه .

فقد قال ، نعم . . تفضلوا . . يا مرجبا .

قال الواسطي كالغاضب :

- من يتكلم؟

رد الصوت :

- جليل الواسطي . . .

- أمتأكد؟

- نعم أنا جليل الواسطي . . وهل هناك واسطي آخر . . وجد جليل ان لعبته قد
انقلبت عليه . وإن كشك الهاتف اخذ يهتز ليس من الريح فقط ، وانه فقد ليس قدرته على
التمثيل ، وإنما قدرته على مخالطة الممثلين ايضاً . . ولكنه قرر ان يواصل التمثيل فقال :
- ولكن يقولون ان الواسطي قد غادر العراق .

- هناك شخص مجنون أو مصاب بالفصام . . . كان يحلوه ان يتحل شخصيتي . .
وربما هو الذي غادر العراق . .

اخذت الريح تصفع كشك الهاتف . . ولكن الواسطي قرر ان يسدد ضربته الاخيرة
فقال :

- عفواً لم افهم من الذي غادر العراق . . المجنون أم حضرتمكم؟

جاءه الصوت من هناك . وقد خالطته نبرة هلع وفزع ظاهرين :

- سأغلق الهاتف . انهم يدخلون اسوداً ونموراً . . وكما ستري ان مسرحيتنا تقتضي

وجود حيوانات مفترسة . . .

جهاز الدوران

سلام صادق

في كل مرة يجد (س) نفسه فجأة في محطة القطار، التي تبعد مسافة لا يستهان بها عن مسكنه، ويجد مسافراً ما يتعين عليه ان يودعه أو آخر يستقبله، وفي احدى الليالي القارصة وجد نفسه هناك، ليس كالعادة فقد كان الوقت متأخراً، ومن دون ما احد لكي يقوم بتوديعه أو استقبله، فالمحطة كجثة هامدة لا حراك فيها، وصفوف الكراسي الممتدة على مدى البصر شاهدة على ذلك، فقد كانت فارغة تماماً إلا من بعض اكراس فارغة وصحف نقد مفعولها فأخذت تعبث بها الريح المتدفعة من البوابة الحديدية العملاقة. رشف رشفات عميقة متتالية من سيكارته التي اشعلها للتو، وراح يجر خطاه المثقلة ببقايا الثلج على حذائه الجلدي الطويل باتجاه بار المحطة. اقتعد كرسيّاً ما بمواجهة البوابة الحديدية الواسعة التي تفضي الى مرآب الافاعي التي تنفث الدخان كما اعتاد ان يصفها، ثم استدار الى نادلة البار الغارقة في النظر الى اعلان تجاري عن سيارات الفولفو عُلق في ساعة مبكرة حينما كانت منهكة في عملها اليومي.

طلب قهوة مرة، بدأ يرتشفها ببطء وكأنه يريد البقاء حيث هو فترة اضافية يمنح خلالها جسده المرتعد توازنه وثباته باختزان اكثر ما يمكن من الدفء الذي يغمر المكان، تناول صحيفة ما دون ان يابه الى تاريخ صدورها، فوجدها كالعادة تقصّ بمانشيتات عريضة تفوح منها رائحة القتل والكوارث والمجاعات، قطع قراءته مرات عديدة فعبثاً تهفوان بدون ارادة

منه الى لقاء غير موعود، ربما عند بوابة المحطة الحديدية الواسعة، لعل شخصاً ما يعرفه يأتي ولو بالمصادفة فيدور بينهما حوار طويل عن الكثير الذي جرى، ذلك لان هذا الشخص ليس على سفر بالتأكيد فالمحطة فارغة ولا قطارات صاعدة أو نازلة في هذه الساعة المتأخرة، ولا شيء يوحي بالحياة سوى الاضواء المعلقة على مفاصل السكك التي تتقاطع امام ناظره كالصلبان على القبور الصخرية.

وبعد ان ملأ رثبه من الدفء الذي سيعينه - كما يرى - على مواصلة طريقه الخائبة الى مسكنه، همّ بالمغادرة متناولاً معطفه وقفازاته الصوف من الكرسي المجاور، في تلك اللحظة تنأى الى سمعه صفير آخر القطارات العائدة، من اين؟ لا يدري فقد دهمه قلق ما، مبعثه يصعب عليه تشخيصه، بأن شخصاً ما يعرفه قادم على هذا القطار، فقفلاً عائداً الى الرصيف بدلاً من ان يجتاز البوابة الحديدية الى الخارج، وحاول التطلع في وجوه جميع المترجلين قدر ما تسعف في ذلك عيونه التي غشيها النعاس. ولم ينبج من فضول بصره الضروري آنذاك سوى أولئك الذين هم على عجلة من أمرهم حيث الهدف الاخير للرحلة واضح لديهم، أو الحريصين على الوقت من الذين لا يستسيغون خسارة اقرب سيارة اجرة الى بوابة المحطة، أو الذين يهرعون لارتشاف قبلة مشتهة من شغاه حبيبتهم اللاتي هنّ بانتظارهم بعد غياب، ليس كغياب (س) على احسن الاحوال.

لاح له ضمن الرهط الاخير الذي ترجل من القطار، رجل مسنّ ونحيف بنظارتين عريضتين تلوح عليه علائم الارهاق، يترنح في مشيته مائلاً الى الجهة اليسرى، تحت وطأة حمل ثقيل هو الحقيقة التي أرادها رفيقة سفره. تقدم نحو (س) وسأل بوجل: - رجاء الاخ عربي؟

لم يجب (س) على تساؤله برهة، ربما استهجاناً لكلمة (أخ) وطوى الاجابة في سره.

- الاخ... ها.. موانت اكبر من ابوي!

واستدرك فجأة لصياغة اجابته المعلنة والتقليدية فالرجل بانتظار هذا:

- نعم، تفضل.

انحسرت يد الرجل العجوز في جيبه وتناول قصاصة ورق صغيرة دفع بها لـ (س)

وقال:

- هذا عنوان جماعة اعرفهم بهذي المدينة، ارجوك تشرح لي الطريق.

وفيما انهمك (س) في قراءة القصاصة، قفزت ذاكرته المذمورة عشرين سنة ونيف الى الوراء وقال لنفسه - هذا الصوت الاجش اعرفه تماماً قبل الآن.. لكن.. من هو الرجل.. يصبح ان لا اعرفه، فالاصوات تتشابه احياناً بقدر كبير. بادر (س) بايضاح الطريق، فبدأ

الرجل مربكا وضائعا بين اليمين واليسار وتقاطعات الطرق والانفاق واسماء الشوارع
والساحات، فتدرك (س) الموقف وقال له:
- يظهر هذي زيارتك الاولى لهذي المدينة.

- نعم.

- اذن من الافضل ان تأخذ سيارة اجرة، فالطريق معقدة والمسافة طويلة.
وكم تظاهر الرجل بالاصغاء، فقد كان (س) واثقا من انه كان يهيم في واد آخر،
وكانما هو افاق للتو من شبه غيبوبة، وكشف عن دهشة مفاجئة وارتبك قائلاً:

- عظيم يظهر الاخ عراقي، وهذا من حسن الصدف!

- وشلون عرفت؟

- من لهجتك.

- نعم عراقي.

- ومنين من العراق؟

- من العراق.

- ادري ومنين، العراق كبير، شمال وجنوب ووسطا

تأفف (س) في داخله وقال:

- يابه، من بغداد.

- ومن يا مكان ببغداد؟

- من الكاظمية، وأجاب بشكل مسبق على السؤال الذي سيطرحه الرجل بالتأكيد،
وبيتنا بالنواب.

- داعيك من اهل الكاظمية، وتناول الرجل يد (س) ضاغطاً عليها بكل ما تملكه
قواه ويكلتا يديه المرتجتفتين، وكانما هو يريد لـ (س) ان يتحسس ثورة الدم والانتماء في
عروق الجسد النحيل، ويضحكة فاترة مصطنعة كان باعثها الخجل ربما من التماذي في
الفضول قال الرجل:

- والآن، انت ابن من، قل لي؟

تدارك (س) الموقف الذي بات يقترب شيئاً فشيئاً من حدود الجد وقال:

- طيب، يبين الحديث راح يطول، وانت يبين عليك تعبان، شنورايك نستريح شوية
ببار المحطة، وكان (س) مدفوعاً لذلك بفضول له ما يبرره، تملكه اخيراً، يفوق في شدته
الفضول غير الموجّه الذي مارسه الرجل طيلة فترة لقاءهما، من اجل استجلاء حقيقة هذا
الصوت الذي يعرفه تماماً قبل الآن. فوافق الرجل على ذلك.

عاد (س) الى بار المحطة ومعه ضيف ليس بالحسبان، أو هو غير الذي كان في

خاطره على اقل تقدير، وفي الطريق الى البار بدأ (س) يوطّن نفسه على قبول هذا الواقع الجديد، في اعتبار نفسه احد مستقبلي الرجل.

جلسا وقد تملك كل منهما فضول عارم لمعرفة المزيد عن الآخر، وبينما كان الرجل يرتشف فنجان قهوته الذي يوشك على السقوط من بين اصابعه مرات عدة، فيتقي ذلك باعادته الى الطاولة، بعد ان يفقد قدراً من القهوة يفيض في كل مرة على جوانب الفنجان وعلى الطاولة ذات السطح الزجاجي، فيتشغل بغمس اصبعه كأحد الاطفال في بقع القهوة معطياً لها اشكالا وامتدادات حسبها (س) الذي كان يراقبه عن كثب، خارطة لبلاد ما غير واضحة المعالم والحدود.

تنه الرجل لما يفعل وابتسم مستأنفاً الحديث ومعولاً على ضرورة النفاذ الى قلب (س) أولاً:

- تعرف عندي قدرة على قراءة الفنجان.

- صحيح . . . وشيكول الفنجان؟

نظر في فنجانه الفارغ للتو، وأطال النظر بعمق فيما تخلف على الجدران وفي القعر من آثار القهوة الداكنة وقال:

- يكول راح التقي بشخص مفاركة من زمان، ويشكل مباغت، وربما يكون هذا الشخص أنت وابتسم ثانية.

- لا . . . يجوز الجماعة اللي راح تزورهم.

- لا عزيزي . . الجماعة ما مفاركهم من فترة طويلة، العام الماضي تركوا سوريا، لكن ما انقطعت بيناتنا المراسلات ونعرف كل شيء عن بعضنا . . خير وشر . . ورغم طول المسافة، كأنما آني عايش وباهم.

عاد الرجل من جديد الى سلسلة اسئلته التقليدية التي انقطعت نظراً للاستغراق في تفاصيل اخرى، كانت ضرورية لاعطاء الجلسة بُعداً اكثر حميمية وانفتاحاً في لقاء غير مخطط كهذا اللقاء وقال:

- الآن ارجوك ما غلت لي انت ابن من؟

- بمساعدة الفنجان ربما تكدر تعرف الاجابة.

- لا يا عزيزي . . الفنجان لا يصدق دائماً وخاصة في المسائل الجدية والخطرة، وبعدين ما يعطيك تفاصيل محددة كالاسماء والارقام والتواريخ، والامر يعتمد على قدرتك في استثمار المعلومات الاولية الموجودة في الفنجان واللي هي غير قاطعة أو صحيحة تماماً وبناء جملة استنتاجات على اساسها باستخدام الخيال بشكل يقربك بخطوة قصيرة من الواقع.

- طيب . . يجوز ما تعرفنا، آني ابن حجي حسن .

- بس لا تكول حجي حسن أبو الجوادرا !

- نعم .

- هذا يعني انت ابن اخوي . . شلون ما اعرفك .

فألقي الرجل رأس الخيط الضائع، وبطبيعة الحال سيجره هذا الى طرح المزيد من الاسئلة بدون حرج أو خجل هذه المرة، يشفع له في هذا انه يعرف الآن عن (س) ما لا يستهان به كأساس لجلاء الامر برمته .

- بس انت يا هو منهم، ولد حجي حسن هواية الله يخليهم !

- آني اصغرهم .

- واخوتك البقية وين . . هنا بالخارج ؟

- بدا (س) اكثر دبلوماسية في اجابته، لان السؤال المطروح عليه كان قد طرحه على نفسه طويلاً دونما اجابة شافية، فأثر تناسيه بعد عناء طويل، عازماً على ان يهجر تلك اللؤامة من الاسئلة الكبرى واجاباتها المفقودة التي ما برحت تعذبه وتثقل ذاكرته فقال :

- لا . . ما موجودين لا بالداخل . . ولا بالخارج .

- يعني ماتوا كلهم . . استشهدوا ؟!

قالها الرجل وقد شحبت عيناه الصغيرتان اللتان تبدوان اكبر بكثير من حجمهما من خلل زجاج نظارته السميكه، وراح يبلع ريقه مراراً عدّة في وقت قصير، وبدا وكأن ليس لديه طاقة على طرح المزيد من الاسئلة، ومات فيه ذلك الفضول العارم فجأة . ولم يمتلك الجرأة ولو للسؤال عن الطريقة التي استشهدوا بها، أو ربما لان هذا السؤال هو الوحيد الذي لا يستحق الطرح في هذه الايام، حيث الاجابة عليه معروفة مسبقاً لدى الكثيرين . وساد بينهما صمت استغرق وقتاً لا بأس به، لم يكن دقائق حداد متفقاً عليها على أية حال، بقدر ما هو ضروري لكي تستغرق دمعتان ثقيلتان من عيني الرجل في طريقهما لسقي وجنتيه الذابلتين، وقال كلمة واحدة جشّاء لا أكثر :

- اوف . .

انتابته بعدها موجة من السعال، بدا خلالها متهاكاً في كل عضو من اعضاء جسده، لكنه ما لبث ان تماسك قليلاً مصراً على استئناف الحديث، غير ان الاسئلة التي اعتاد طرحها سابقاً اتخذت الآن شكل اجابات جاهزة بدون ما اسئلة مطروحة من قبل احد .

- اوف . . واحد منهم كان تلميذي بالثانوية، آني حجي مجيد مدرس الصحة .

وكان المدرس مجيد كأنما يتحدث لنفسه لاغياً تماماً وجود طرف آخر في الجانب الآخر من الطاولة، أو كأنما هو يمارس هذيانه مع نفسه مصحوباً بأنفاس ثقيلة تخرج اجباراً

من رثيته، يصحبها صوتٌ أقرب ما يكون إلى اللهات، ليس من جواء سفرته المتعبة إلى هذه الاصقاع وإنما السفر الطويل إلى وراء داخل الزمن.
خفف من وطأة الصمت الذي ران على المكان صوت (س) قائلاً:
- هو آني سعيد.

لم تبدو على المدرس مجيد أية ردود فعل حادة كانت متوقعة من قبل سعيد، فقد اتفصحت أمام المدرس مجيد تفاصيل الصورة تماماً وبدأ مشغولاً في ترتيب هذه الاوصال المبعثرة للصورة داخل اطار يزيدا وضوحاً، ويقربه من البرهان الذي كان متلاشياً إلى وقت قصير، والذي يمثل الآن امامه مُجسداً بكل تفاصيله البشعة.

في الوقت نفسه قفز إلى ذهن سعيد السؤال الكبير الذي تكمن فيه جميع الاسئلة التي يطرحها استاذة مجيد وسواه، والمائل للآن بدون اجابة.

التاريخ ١٩٦٨/٩/٩.

الدروس: مبادئ الصحة العامة.

الموضوع: جهاز الدوران.

السؤال الأول: تتبع قطرة الدم من الاذين الايسر حتى الشريان الابهر والعكس؟
وهل لقطرة الدم ان تطوي المسافات؟ واذا سلّمنا بهذا فهل لها القدرة على العودة إلى المنبع، قالها سعيد في نفسه بينما هو يهيم بالوقوف ايذاناً بالمغادرة فعل المدرس مجيد ذلك ايضاً.. تعانقا وكانا آخر من غادر المحطة إلى الخارج حيث موقف سيارات الاجرة التي عاد اغلبها للتو، استقل المدرس مجيد احدها مودعاً بإشارة من يده التي مازالت ترتجف، متغادراً إلى عنوانٍ جديد على قصاصةٍ من الورق، بينما التفت سعيد إلى الخلف حيث المحطة التي غطت في نومها من جديد، ملقياً نظرة اخيرة على خطوط السكك التي تتقاطع امام ناظريه كأفاجٍ من الحديد التي تمتد إلى ما لا نهاية في ارض الله الواسعة.

السويد ١٩٩١

الطريق الزراعي الطويل

نجم والي

[الى وليد هناك في الكارثة]

كان يجران خطواتهما بتعب، وكأنهما يسيران منذ زمن طويل، عندما توقف فجأة احدهما. كان في عينيه يلمع ما يشبه الألم. في عينيه بالذات، اللتين كانتا سوداوين، ومحجريهما اللذين كانا اسودين ايضاً. استرد انفاسه لبرهة، ثم بدأ في الكلام بصوت جاف ومرتعج.

- هه. لا استطيع التحمل بعد. ان يكون الفلاحون بهذه الجلافة! هل كنت تصورهم على هذه الشاكلة؟

كان يسعل، وكان وجهه عريضاً، مليئاً بالتجاعيد، رغم انه لم يتعد الثلاثين، فيما كانت عيناه ماتزالان تدوران في محجريهما الاسودين. أما الوجه، الفم، الانف وحتى العيون فقد بدوا وسخين، دهنيين. ولكن بالرغم من كل ذلك فان لون وجهه ظل محافظاً على بياضه الاصلي. كجبن. لقد بدا هكذا.

- آخ هؤلاء الفلاحون. الكلاب، ولكن رغم ذلك بعض من البطاطا. قال الآخر. ثم ضحك بمرارة ولبرهة قصيرة. كان صوته جافاً، مرأً. لقد كان هو الآخر بنفس السن. يحمل كيساً صغيراً على ظهره. ظهرت عند عينه اليسرى ندبة عريضة وبالذات فوق الجبهة التي كانت وسخة جداً، قذرة، دهنية. كما هو جسده كله، أو كما هو الآخر

بالذات . وعندما كان يضحك كانت خصلات شعره الدبقة تقع على ذقنه . لقد كانت شقراء في الحقيقة ، لكن لا يستطيع المرء رؤية لونها لوساقتها . كان يزيحها بيديه ، بعد كل ضحكة .

- ربما سنحصل على شيء !

قال الاول . أما الذي كان عنده ندبة فقد اخذ يهز رأسه . ثم ليواصلا السير بعدها . كانا يرتديان ملابس عسكرية متهرئة وكان منظرهما يبدو بائساً جداً ، بلا لون ، بلا طعم ، رمادياً ، قذراً ، دهنياً . وغالباً ما كانا يذهبان الى البيوت يميناً ويساراً . للبيوت التي يعتقدون انها غنية أو للبيوت التي يعتقدون انها فقيرة ، أو هكذا ما كان يتضح من خلال حديثهما . ولكن كلما خرجا من هناك ، كانا بلا حماس ، يائسين مرة اخرى . أو بالأحرى دائماً . دائماً يائسين من جديد وبلا حماس مرة اخرى . لقد كان الجوع يلتهم في الوجهين ، منطفتاً ، بلا لون .

- آخ . النوم . يا عيني على النوم . اريد ان انام . دائماً ، انام ولا اصحو مرة اخرى ، ابداً .

قال احدهما .

تدحرج الاثنان . كانا سيران ببطء كبير . أكياسهما على الظهر . وكانا تحت الاكياس نحيفين وجائعين .

- ها . آخ . ليست عندي رغبة بعد . لا استطيع التحمل اكثر . وانت ؟

هتف ذو الوجه الجبني .

- كلا .

قال الآخر . ثم أكمل :

- ولكن ما العمل . اريد النوم . فقط النوم بعدها لا يلاحظ المرء أي شيء . لا يشعر بالجوع على الاقل . هل تعرف كم هو جميل النوم . النوم فقط . ولكن يجب ان نكمل السير .

- نعم .

أجاب ذو الوجه الجبني ، ثم اردف :

- يجب ان نكمل السير .

لقد كان يبدو ضعيفاً جداً ، هزياً ، مريضاً بعينين سوداوين يستقران بتعب في محجرين هما الآخران أسودان ، في وجه بلون الجبن .

كانا يواصلان السير ، فيما كانت الشمس تتلألأ في برك مياه طين القرية ، القرية ذات البيوت القليلة والمتباعدة الواحد عن الآخر .

- وأنا اريد ان انام .

قال الآخر وتشاءب عالياً :

- الموت أو النوم . هكذا النوم طويلاً . الى حين يتحسن الوضع . أو سيان عندي .

النوم طويلاً حتى يوقظني احد ويقول لي : الآن الوضع احسن . الى حين حدوث ذلك اريد ان انام . هل تعرف كم يكون ذلك جميلاً . الى حين انبعاث حياة اخرى . النوم فقط .

كان وجهه يحمر لانفعاله . ثم يصبح بعد ان يهدأ قليلاً ابيض ، رمادي ، كالمرمر ، كالورق ، كالجبين . هكذا ابيض . كان يقترب من ان يكون وجهاً بلون الجبن الواضح . ولكن وجه الآخر كان سلفاً أكثر بياضاً .

- انظر .

هتف ذو الوجه الجبني فجأة . كان يؤثر بأصبعه على حقل لم يتبيناً ملامحه بدقة .

لقد كان من الممكن ان يفتنه كما يرغب .

- لا ادري أي حقل . ولكنه حقل خضرة كما اعتقد .

قال ذو الوجه الجبني . اراد ان يستمر في سيره ، ولكنه لاحظ توقف الآخر فأردف :

- ولكنك قلت قبلها ، اننا يجب . . .

توقف قليلاً ، ولم تترك عيناه الحقل فتابع :

- أليس كذلك ، انت قلت ذلك ، أليس كذلك ، هناك عند الجهة الاخرى يجب ان

نكون هذه الليلة ، وإلا ستأتي الدوريات ، الطائرات ، لا ادري هذه الليلة عند الجهة

الاخرى يجب ان نكون ، أليس كذلك ؟ !

عندها كان على ذي الندبة ان يضحك عالياً . كان الضحك يضعه اكثر شباباً ، ثم

اخذ يربت على كتف زميله . فأخذ ذو الوجه الجبني يضحك هو الآخر ، وبصوت عال .

هكذا راحا يضحكان لبرهة .

وببطء اخذ الليل يُكَلِّل عليهما ، على الحقل ، ويدفء ، فيما كان القمر يضحك

بمحمياه العريض . في البداية لم يتحدثا بشيء . ولكن عندما اصبحا قريبين من الحقل ،

بدءا يسعلان .

فسأل ذو الوجه الجبني .

- ماذا تعتقد . حقل بطاطا . أم خس . أم لهانة . أو بصل ؟ يا عيني بصل ! فأجاب ذو

الندبة :

- سيان . اخرج الرفش الصغيرة من الكيس ولنحفر سنشم ما سيصل الى ايدينا .

فأجابيه الاول بصوت ضاحك ، ولكن مرتجف ، متسائلاً ، متشككاً .

- غريب . تقول انك خبير بالخضروات .

وجد ذو النذبة نفسه مرة أخرى مجبراً على الضحك. ثم ليفتح فمه :
 - الخبراء تحت التراب. احفريا صديقي.
 كانا يحفران. ولم يعتقدا انه عمل جنوني. أو انه بدون امل. بل كانا يفعلان ذلك
 وكانهما لا يريدان ان يعرفا.
 - عرق، من اجل امنا الارض.
 قال احدهما بصوت تعب.
 كان ذو الوجه الجبني يجفف وجهه من العرق. ثم بصق في يديه. ثم بدأ يهيل
 التراب.
 كان ذو النذبة يحفر أيضاً، وكانت نذبة الحمراء العريضة، فوق العين اليسرى تعرق
 أيضاً فتضيف لزوجة الى الجبهة القلرة، الدهنية التي استقرت فوقها.
 - استطيع تصور اجمل من ذلك!!
 قال ذو الوجه الجبني. ثم ان، ان بصفير عميق طويل، رثوي. لم يكن يثن فقط.
 كان يسعل أيضاً.
 - هه. أخ.
 قال بخفوت:
 - لا استطيع التحمل اكثر.
 - استمر.
 قال ذو النذبة.
 كانا يحفران باستمرار. وعندما حاولا ان يجمعا ما حفراه. سمعا اصواتاً تأتيهما.
 - أخ. انهم الفلاحون. هؤلاء الحمقى الاغبياء. الآن وبالذات، يمثل هذه الساعة!
 هتف ذو النذبة، وحاول وضع ما جمعه في الكيس. ثم جاءت الاصوات تقترب.
 كانت تتعالى اكثر، وتصبح اكثر وضوحاً. كانا خائفين. لا يدريان فيما اذا كانت تلك
 الاصوات، اصوات دورية ما أو اصوات الفلاحين. ولكن سيان، لقد كانت اصواتاً شبعة،
 وخاصة صوت ذلك الذي صاح بهم «توقفوا في مكانكم ايها اللصوص» كان صوتاً شبعان،
 صوتاً مدهوناً بالزبدة، والبيض والجبن واللبن. صوتاً شبعان وكفى. ثم نبح كلب بعدها.
 كان صوته هو الآخر شبعان. كان يجب ان يكون حيواناً قوياً.
 - ها. ما العمل؟
 قال ذو الوجه الجبني. كان يرتجف وكانت عيناه تسعان من الرعب:
 - انه كلب كبير من هذه الكلاب السلوقية العضاضة. اعرفها، لنهرب.
 كانا يركضان. كان ذو النذبة اكثر هدوءاً من الآخر. كانا قد اخذا الرفشين معهما.

- الحمد لله .

فتح ذو الوجه الجيني فمه، ودخل الى احدى البرك . ولكنه لم يأبه لذلك : - لدينا القليل من البطاطا والبيض . عندنا ما يكفي ، ثم هذان الرفشان ، ربما سنجد شيئاً في الطريق .

وعندما انتهى من جملة ضرب يده على الرفش الصغير المستقر في كيسه . اضافه للرفشين اللذين حملاهما في الكيسين ، فقد حملا في احد الاكياس بعضاً من البطاطا . بعض الأزواج . نصف كيلو ربما . أما الكيس الآخر فقد احتوى على القليل من البيض . ثلاث أربع أو ربما خمس .

ضحك ذو الوجه الجيني ايضاً بعد ان انهى جملة . كان يشعر بان عليه ان يضحك عالياً . ولكن صوته كان يُسمع كما لو كان رنيناً لصفيح ، بدون جرس ، تعباً ، بلا رنين ، مضغوطاً كصفيح . سعل . أما الآخر ذو الندبة فكان كما لو انه يعرض على تفاحة ، اخرج صوتاً منكسراً :

- عندك الحق . عندنا البعض من البطاطا والبيض .

ثم فجأة اخرج صوتاً حزيناً ، هو الآخر بلا جرس رغم انه حاول مزجه مع ضحكة بدت مفتعلة جداً .

- بيضة شلّهاني يايهه ، ما رحت ويه هواي .

ولكن بالرغم من ذلك اخذ يجبر نفسه على الضحك . الضحك عالياً ، وعندما كان يضحك كان يُسقط دائماً خصلاته الشقراء فوق اذنيه ، ثم ليزيحها بيديه ، دونما غنج ، ليعيدها الى مكانها الاول فقط . ثم اخذ الاثنان بعد ذلك يعلسان بطاطا نيئة . لقد كانت البطاطا وسخة . ولكن هذا كان امراً ثانوياً . لقد كان لها مذاق . في الحقيقة لم يكن لها مذاق وهي نيئة . ولكنهما كانا يتلوقانها ، هكذا لانهما لا بد ان يعلسا شيئاً .

- لذيذات جداً . أليس كذلك ؟

سأل ذو الندبة ، بينما كان يلوك البطاطا بشكل مضطرب ، سريع .

- نعم .

قال الآخر وأكمل :

- عندما لا يملك المرء شيئاً .

توقف ذو الندبة عن المضغ وسأل :

- وماذا عن البيض .

مد ذو الوجه الجيني يده الى داخل الكيس ليخرج البيض . وعندما فتح يده كانت البيضات متكسرة . لقد امتلأ كفه الوسخ ، الدهني بسائل لزج .

- اترك البيض لك.

قال ذو النذبة. ودون ان ينهي الآخر جملته دفع الآخر ما استقر فوق كفه الى فمه وهتف.

- ليس سيئاً.

فأجاب ذو النذبة، وهو يمضغ ما تبقى في فمه:

- يقولون يحوي البيض على فيتامين ب. ود. انهما ضروريان للصحة. ولكن البطاطا بروتينات.

فلم يجد الآخر غضاضة من الضحك، وان كان صوته كعادته، منطفئاً، منكسراً، بلا حماس:

- ليس بالبروتينات وحدها يحيا الانسان.

لبرهة كانا قد تركا القرية خلفهما. كانا قد استدارا الى طريق زراعي طويل. كانا يفعلان ذلك بلا هدف. وبلا هدف كانا يسيران، بلا رغبة، بلا إرادة. هكذا ببساطة، كما لو كان الامر يجري لوحده. بالصدفة.

كانت الشمس تتلألأ في البرك. وتنعكس في الداخل. لم يستطيعا ان يأكلا الكثير من البطاطا. كانا جائعين. ولكن البطاطا كانت نيئة. هكذا. ببساطة.

- هل عندك سجائر؟

سأل احدهما:

- كلا.

قال الآخر ثم علق: من أين؟

- السجائر العراقية حقيرة. لا تصلح. تافهة بلا طعم. جافة. قال الاول وصنع وجهاً غاضباً:

- يجب ان يدخن المرء الانكليزية، امريكية، أو افرنجية. صمت برهة، ثم علق دون ان يترك غضبه:

- وسيان عندي. حتى لو كانت عراقية. وان تكن غير صالحة وتافهة. ولكن بطريقة ما، بطريقة ما يجب ان يدخن المرء شيئاً.

كان ذو النذبة الذي قال يجب تدخين الانكليزية. ثم تدحرجا بعدها، ببطء وببطء كانت الشمس تتجه الى الغرب.

- خبز. كم اشتهي رغيفاً من الخبز الآن.

قال ذو الوجه الجبني.

- ليس غير الخبز. مملكتي مقابل رغيف أو حناية*.

«لا يعرف الواحد ماذا سيحصل» قال ذو الوجه الجبني. كان يضحك بصوت خافت، ولكن ضحكته كانت مسطحة، ضحكة مصطنعة، مجبورة. ثم جاء الصوت الشبعان مرة أخرى «توقفوا» ليعقبه نباح الكلب المتوحش، النهم.

- الكلب يقترب منا.

قال ذو الوجه الجبني وكان يرتجف، وكان جسده رطباً، لزجاً.

- أنه كلب عضاض. سلوكي كما توقعت.

كان خائفاً جداً يرتعش بأكمل جسده.

- ابق عند مكانك.

قال الآخر ذو الندبة.

كان صوته يرن مضغوطاً، جافاً، مطلقاً.

- عندما يكون عندنا. الفضل. ما يزال الآخرون بعيدين.

- نعم.

قال الآخر وأكمل:

- الرفش عندك؟

لم يكمل كلاهما حتى كان الكلب السلوقي كما توقعه ذو الوجه الجبني عندهما.

كان قوياً، كبيراً، شره الاسنان. «الكلاب السلوقية متوحشة». فكر ذو الوجه الجبني وكان يرتجف بطول جلده.

وقف الكلب لبرهة بمواجهتهما مستعداً للانقضاض. الآن ادركا ان الامر اصبح

جدياً. كان الحيوان يصبر اسنانه بزئير متوحش. هكذا يصك على اسنانه، متوحشاً نهماً،

نهماً بدموية. وفجأة قفز قفزة كبيرة، ليصرخ حينها ذو الوجه الجبني.

- النجدة، النجدة.

في ذلك الوقت اقترب المطاردون اكثر. لم يكونوا كثيرين، كانوا اثنين، ثلاثة، أو

اربعة. كان من الصعب رؤية بذلاتهم في تلك الليلة الدافئة. دوريات؟ أم فلاحون؟

سيان. كانت اصواتهم شبعانة، دهينة، ممتزجة بالزبدة واللحم والتبغ. لم يركضوا. كانوا

يسيرون بسرعة، اياديهم مضمومة بتعجرف، مضمومة في جيوبهم كما يسير الضباط. احد

الاصوات الشبعانة هتف بالكلب ان يرجع. وعندما هم الحيوان بالرجوع. رأى ذو الندبة

فراع الآخر التي كانت دامية اللون، فيما كان وجهه مليئاً بالالام. كان هناك ما يخنقه عند

الرقبة. وفجأة اخرج ذو الندبة الرفش، ليمسكها بيديه الاثنتين ثم ليحركها بالهواء، ولينهال

بها كالبرق، فوق رأس الحيوان الذي كان يهم حينها بالرجوع. هكذا، مرة مرتين، ثلاث.

ثم ليهذا كل شيء. في البداية صرخ الحيوان. ان بصير وحشرجة، ثم هذا كل شيء.

«مثل بريك السيارة» فكر ذو الندبة . وقذف بالمسحاة الثقيلة جانباً . حشرج الحيوان حشرجة واحدة مرة اخرى . ثم سكن الى نهايته .

ضحك ذو الندبة عالياً : - الوحش .

ثم ركضا سوية حتى تقطعت انفاسهما . واحد . اثنان كانا يركضان ، حتى لم يعد بإمكانهما الركض بعدها لاجهادهما . هكذا ركضا ركضاً طويلاً . كان ذو الوجه الجبني يشن في الطريق . فيما كانت ذراعه تؤلمه طوال المسافة ، ذراعه التي كانت هشّة ، متهرئة ، نازقة وبقوة . حتى انه كان يسعل الآن ويدون انقطاع .

- الحمد لله .

قال الآخر عندما اصبحا خارج الخطر . ثم مسح بكمه جبهته القذرة ، الوسخة ، الدهينة :

- نعم .

قال ذو الذراع الهشة . كان يحاول الابتسام . ولكن كالت فقط افتراهة :

- نعم . ولكن ذراعي والبطاطا وذلك الذي جمعناه .

ثم سعل بعدها . حينها انتفض ذو الندبة وصرخ عالياً :

- ماذا؟ البطاطا ، وذلك الذي جمعناه؟!

- نعم . يصل على ما اعتقد .

قال ذو الوجه الجبني .

كان يشن :

- نعم البطاطا وما جمعناه . نعم لم اعد استطيع بعدها . ببساطة لم اعد استطيع

ببساطة . هكذا ببساطة .

آه ذراعي .

عندها صرخ ذو الندبة مرة اخرى عالياً :

- آخ . ماذا ايها الغبي .

كانت عيناه تبرقان غضباً . ثم رفع ذراعه مهلداً .

فارتد ذو الوجه الجبني مذعوراً الى الوراء . كانت عيناه متورمتين ، وبيضاوين ، عيناه

تلك السوداوان في محجرهما الاسوددين .

-- اسمع . لم اعد استطيع . لا اقدر . وانت؟ وانت؟ وانت لماذا لم تفعل شيئاً . لماذا

لم ترفع الكيس معك . . .

توقف قليلاً ثم أكمل :

- آخ ذراعي .

كان يشن مرة أخرى بصوت عال . كان انيناً مجرداً ، انيناً غير منقطع .
عندها مسح ذو الندبة بذراعه جبهته الوسخة ، القذرة ، الدهنية الملتصقة وسط ذلك
الليل الدافئ ، الموحش ، الصارخ بصمت ، عند حدود الطريق الزراعي الطويل ، الحدود
غير المنتهية ، أو ربما المؤدية والمتداخلة مع طرق ستكون هناك ، عند الجهة الاخرى ،
حيث كانا يرغبان بنوم طويل ورغيف من الخبز .

- اخ نسيت .

قال ذو الندبة ويجفاف :

- ها . نعم ذراعك .

ثم اقطع قطعة صغيرة من قميصه . وصله قماش صغيرة . ركعة . ركعة لا اكثر ولا
اقل ، من مكان ما من قميصه ، ركعة وسخة ، قذرة ، دهنية ، حقيرة ، لزجة ، ثم ليربط بها
الذراع اللدنة .

- اخ نحن الاغبياء .

علق .

- البطاطا الجميلة .

صمت لبرهة . وسأل الآخر دون ان ينظر الى وجهه الجيني ، فيما كان يلف العقدة
الاخيرة من الرباط :

- هل تعتقد ان ما حفرناه بطاطا .

فأجاب ذو الوجه الجيني ، بصوت لم يخل من شيء من الانين :

- اعتقد انها بطاطا . أو بصل .

ثم هدأ بعدها :

- نعم البطاطا الجميلة . لولا ذلك الوحش .

أجاب ذو الندبة وقد انتهى من ربط الذراع اللدنة .

كان بالاحرى يريد ان يصرخ بصوت عال . ولكن صوته جاء بلا رنين ، بلا جرس ،
بلا نغمة ، تعباً ، منطفئاً ، منكسراً ليضيع وسط ليل بدأ يحتضن الجسدين المتعبين ، عند
حدود الطريق الزراعي الطويل ، حيث استرخيا دونما حراك ، قبل ان يصلا الى الجهة
الاخري ، حيث كان يرغبان بنوم طويل و

هامبورغ

١٢ - ٩ / ١٩٩١

الحافات:

«هنا البصرة»*

يوسف ابو الفوز

عند الفجر وصلنا اطراف المدينة. الدخان يغطي سماء البصرة. اصوات القصف
الايراني من اماكن مختلفة. على جانب الشارع في ساحة ترابية خلافاً للاصول
العسكرية، تكدسنا فوق معدائنا، متوترين، لا نعرف مصيرنا.

- عريفنا! عريف شلاكه، الى أين؟

- الله وحده يعرف الى أين!

- وأنت ماذا تعرف؟

- حالي مثل حالكم.

- «حال السدانة بالماي».

نتذمر، نطلق شتائمنا على بعضنا البعض بصوت عال. لدونما سبب، وبين الحين
والآخر يجد احدهنا فرصة مناسبة لتبديد توتره فيطلق نكتة داعرة نضحك لها جميعاً وبعضنا
يضحك دون معرفة السبب.

من مذياع سيارة التوجيه السياسي تنطلق اغنية مليئة بالصراخ:

* النص من مجموعة قصصية مخطوطة بعنوان (الحافات).

- «هنا البصرة

هنا البصرة.

هنا الشاعر

كتب شعره»

تنتهي لتعقبها اخرى:

- «لو حشّدوا مليون

على البصرة ما يكلدون»

قال جندي يجلس قبالي لم اتبين وجهه اذ كانت تغطيه الخوذة:

- المعارك لا تزال حامية عند نهر جاسم^(١)، بالتأكيد سيرسلونا الى هناك.

جندي آخر يجلس الى جانبه، رد بصوت كدر:

- سيكون دمها للرجاب!

من يساري قال محمود بصوته العميق:

- يلدو ان «ابو نصيف»^(٢) استطاب دم العراقيين؟

تخيلت نفسي مهشم الاوصال، متفخأً، مشوهاً، ملقى على ضفة نهر كدر، دمي

يسبح، يرسم على الارض خطوطاً متشابكة، والعقبان تعوم لتهنئ جثتي، ورأيت زوجتي

غارقة في السواد، ارملة صغيرة، حائرة، واجمة، ومض امامي وجهها الصغير حين

ودعتني، كان قمرأً مبتلاً بالدمع، همست لي من بين نشيجها وارنجاف شفيتها:

- مروان، هل ستعود لنا؟

ضممتها بود، وقلت واثقاً:

- سأعود يا عزيزتي، لا تنسي ان وحدتنا بعيدة عن مناطق الخطر.

كنت واثقاً، لان وحدتنا بعيدة عن مواقع القتال، وجبهتنا هادئة نسبياً، لم احسب

انهم بهذه السرعة سيدفعون بنا للحافات الامامية من الجبهة، الى حافات الجنون أو

الموت، واني سأجد نفسي بهذا الحال من التوتر حتى قبل ان اصل خطوط الجبهة، توتر

حعيني اتشاجر اكثر من مرة دون ان اعرف لماذا!

كانوا قد اعطوا لفوجنا اسم احد الافواج التي ابدت خلال معارك الايام الاخيرة شرق

البصرة، وهذا زاد من احساسنا باننا سنحل محلهم، وزاد من نقاشات الجنود وهمسهم

المشحون بالجد حيناً، وبالسباب حيناً آخر، ولا احد يملك الجواب الصحيح لكل

التساؤلات التي كانت تفرقع هنا وهناك كحقل ألغام يتفجر، وفي داخلي كانت كلمات

زوجتي تدوي كانهجار القذائف:

- هل ستعود لنا؟

ومعها اضيق في دوامة الاسئلة التي تدفعني نحو الاضطراب اكثر، وزاد من حنقي
رفضني لعرض تقدم به والد زوجتي :

- يا بني، ان لنا معارف في احوار الناصرية باستطاعتهم مساعدتك للاختفاء هناك،
أما زوجتك فستظل في الحفظ والصون!

سيصونها والدها بالتاكيد، لكنني سافتقدها كثيراً، وقد تطول فترة الهروب، فمن
يدري متى تنتهي الحرب؟ كيف سأطبق الحياة بعيداً عن حبيتي المدللة؟ وهل سأطبق
حياة الاهوار؟ وهل ...

- هل ستعود لنا؟

فكرت مراراً بما رواه جندي التقينه، كانوا قد سحوا فوجهم لاعادة تشكيله:
- طوال اربعة ايام بلياليها، انقطعت عنا المواد الغذائية والسلاح والذخيرة، حاول
الايرونيون تطويقنا، ودارت معارك شرسة بالسلاح الابيض، اصطبغت الارض خلالها
بالدم، كنا نقاتل، وفيما الرغبة للوقوع في الاسر، وفعلها البعض، كنا نقاتل ولا نريد ان
نموت، نقاتل ونحن لا نرغب بالايرونيين يحتلون ارضنا، نقاتل ونحن ندرك انها حرب لا
معنى لها!

- هل ستعود ...؟

استعرض وجوه الجنود الكالحة. من منهم لن يعود؟ من منهم سيعود في تابوت
ملفوف بالعلم العراقي، أو مكتوب عليه كلمة «جيان»؟ من منهم سيكون «ضيفاً على
الجمهورية الاسلامية»؟ من منهم ...؟ هل سأكون انا الذي لن يعود؟ انا ...

- معارف ... الاهوار!

هل ستحفظ لي الاهوار حياتي؟ انهم يشنون هناك حرباً ثانية. قادمة اخرى. هل
ستصان زوجتي؟ انها تنتظر مولودها الاول، وربما سيكون طفلة، لها عينا امها الساحرطان،

...

- هل ستعود ...؟

حين تكبر ابنة الجندي، هل ستفخر بأبيها القاتل في حرب لا ناقة له فيها ولا جمل؟
- حرب لا معنى لها!

وسط دوامة الاسئلة وضجيج الجنود، باغتني محمود:

- لا اريد ان أموت!

- وأنا ايضاً.

- سأهرب.

وبسرعة اتخذت قراري:

- خذني معك .
 - حسناً، يا مروان، فكرت بك، ولكن كن حذراً وعلينا ان نجد نقطة البدء .
 وجاءت !
 ارسلونا مع مجموعة جنود في مهمة عاجلة . لم نعرف الى اين، وما هي ؟ قبل ان
 نصعد للسيارات، نشط محمود، تهامس مع بعض الجنود، اقلقني :
 - ماذا في الامر؟
 - لسنا وحدنا الذين سنهرب .
 - قد ينكشف امرنا؟
 - لذلك يجب ان نبعد عنا (الجُرمس) ، سنجعلهم يركبون السيارة الثانية .
 كانت سيارتنا المكشوفة تقل عدداً محدوداً نسبة الى السيارة التي تقدمتنا . وقف
 الجنود على جانبي السيارة، يتطلعون الى المدينة، شبه الميتة . كنا نتوجه نحو قلب مدينة
 البصرة .
 قال جندي يقف الى جانبي :
 - لا يتمكن اهل البصرة من الحركة، إلا خلال ساعات الصلاة، حيث يوقف
 الايرانيون القصف المدفعي .
 قال آخر :
 - وأين هم اهل البصرة، حتى يتحركوا؟
 قال محمود بخبث :
 - لكن «امل حسين» في برنامجها التلفزيوني «هنا البصرة» تقول ان «مدينة المدن»
 تعيش حياة طبيعية . . .
 عطف جاري مقاطعاً محمود :
 - أي حياة؟ أي بصرة؟ هل تصدق التلفزيون والاغاني ؟ لقد ربح العراق الحرب
 مئات المرات بالاغاني !
 ويحركه مياغته، غير متوقعة، ترك مكانه، ووقف وسط السيارة حتى جذعه قليلاً
 للامام، ورفع ذراعه الايمن فوق رأسه، وراح ييزخ، يذبك بقدميه على ارضية السيارة،
 يدور حول نفسه، ويضرب بكفيه على رأسه وعجيزته بشكل متناظر ويغني :
 - «هنا البصرة»
 هنا البصرة
 هنا الأزواج منحصرة»
 استبد بالجنود شيء من عبث، وراحوا يصفقون ويرددون بعده :

- هنا البصرة

هنا البصرة!

لكنه توقف فجأة، تقدم نحو محمود محتقن الوجه وصرخ:

- انظر، هذه هي البصرة.

سكت الجنود، لم يرد محمود. راح الجميع ينظرون بامتداد ذراع الجندي التي راحت تشير الى ما حولنا من خراب. من زاوية السيارة قال جندي آخر مخاطباً محمود:

- ألم تر على الطريق اهل البصرة الهاربين من مدينتهم؟

ربما لغاية في نفسه، وربما لغياب رجال التوجيه السياسي، و«الجُرمس».

كان محمود يتكلم بجرأة، بأسلوب استفزازي مشاكس وساخر:

- لكن، ليس كل اهل البصرة.

صاح جاري بغيط:

- يبدو يا محمود انك تتجاهل ما تعرف، وما ترى؟ «ليس كل اهل البصرة» هذا

صحيح، لان الذين رأيناهم على الطريق هم فقراؤها فقط الهاربون الى السماوة والديوانية.

وينفس الاسلوب، واصل محمود:

- واغنياء البصرة؟

- السادة الاغنياء هربوا، هربوا الى الكويت والسعودية بسياراتهم مصطحبين اموالهم

وبنائتهم المؤهلات للزواج.

كنت طوال الطريق مضطرباً، وزاد من ذلك احاديث الجنود التي يعبرون بها عن

سخطهم وقلقهم.

همست لمحمود:

- اني خائف.

ناولني نصف صمونة:

- خذ، خبرة الجنود تقول: يجب مواجهة الشدائد بمعدة ممتلئة.

لم تكن بي رغبة للطعام، كنت لا اعرف ماذا افعل! وكان محمود يبدو هادئاً، واثقاً

من نفسه. محمود مثلي، مثل كل الجنود، شاب لا يريد الموت. هو قالها لي اكثر من مرة.

تعارفنا قبل فترة قصيرة، حين ذهبنا في مأمورية مشتركة، وثق احداثنا بالآخر، تحدثنا لبعضنا

البعض عن حياتنا، حدثني عن عروسه والايام القليلة التي قضاها معها، وعن الذي سيفعله

في اجازته القادمة، وعن الذي سيفعله لو توقفت الحرب، و...

حين التهيت الجبهة، شرق البصرة، قال لي:

- لو سحبوا فوجنا الى الجبهة، سأجن!

لفظ الجنود مستمر. اصواتهم تتقاطع. البصرة شبه مهجورة. مررنا بيوت هدمها القصف وتحولت الى ركام. بيوت محترقة يتصاعد منها الدخان. سيارات الاسعاف تمرق مولولة. قابلنا بعض الناس هارين، لا يدرون الى اين. قال جاري بغيط:

- الناس تهرب للحفاظ على ارواحها، وتترك بيوتها تحت رحمة الجيش الشعبي.

قال محمود بصوت مسموع:

- ولو عادوا فلن يجدوا شيئاً، النهب في كل مكان.

رد جاري بحق:

- عيوني، حاميها حراميها!

كنا كلما تقدمنا، ازداد القصف، وانعدمت حركة الناس. بدأ الجنود يتذمرون، ويصرخون، ويطرقون ببساطيلهم واعقاب البنادق على ارضية السيارة. اوقف الضابط سيارتي «الزبل»:

- ترجلوا.

القصف يشتد. يزداد كثافة. سباب الجنود لا ينقطع. صرخ الضابط:

- انتشروا، احتموا بالاستفادة من المكان.

سحبني محمود من ذراعي:

- فرصتنا الذهبية.

احتمينا خلف جدار مهدم، وبلاستفادة من المهارات التي اكتسبناها كجنود، تسللنا بعيداً عن السيارتين. لم نكن وحدنا، كان معنا آخرون. وفي اول منعطف، وبدون وعي منا، عدونا مبتعدين عن المكان. سقطت قذيفة خلفنا، ليست بعيدة، صحت بلعز:

- لنتوقف.

صرخ بي محمود بغضب:

- اركض، لنتعد عن المكان.

وما ان ابتعدنا عدة امتار، حتى صرخت:

- انبط... .

إلا ان صراخي ضاع وسط دوي هائل، هز الارض امامنا، وعلا عمود دخان ونار وسط الزقاق. كنت قد سمعت «وشيش» القذيفة يجتازني، فرميت نفسي خلف حطام سيارة مقلوبة. تحسست نفسي، لم يكن بي من شيء صغير في احدي اذني. نهضت اترنع كالسكران من الفزع.

- محمود!

لم يجبني احد. عند الجدار المقابل كان منكفئاً على وجهه، كأنه يصلي. اقتربت

منه حدرأ، وجلأ، متوجساً، وفي بالي ومَفَّتْ بشكل متتابع كانطلاق صواريخ الكاتيوشا احاديثنا.

- محمووووود!

هامد من غير حراك. مغبر الوجه، معوج الفم، وقد مزقت الشظايا نصفه الاسفل.

- محمو... .

كان الدم يسبح، يرسم خطوطاً متشابكة، وثمة خيط من الدم يسيل من مكان عند الركبة، يمتد رفيعاً، قائماً نحو وسط الزقاق.

کردستان

١٩٨٧/٥/٢٤

(١) نهر جاسم: من روافد شط العرب.

(٢) ابو نصيف: درج العراقيون على ان كنية كل جاسم هي «ابو نصيف»، ومثل ذلك «ابو حسين» وهكذا.

(٣) الحرس: كنية ابتلعها الجنود لوكلاء وعيون المخابرات، ومثل ذلك «بتزين خاته» و«خردل»...

(٤) في اللهجة العراقية «الزويج» هو المقل، ومنحصرة: محاصرة.

الفن المفاهيمي

ماري اني ستانسويسكي

ترجمة: هلال حميد

قد يكون الرأي تعميماً، تبسيطاً، في اعتبار كل الفن ما بعد دوشامب فناً مفاهيمياً، إلا انه لا يخلو من الصواب في العديد من جوانبه. ففن الارض (Earth Art) والفن الفقير (Arte Povera) والفن الاختزالي (Minimal Art) وإلى حد ما الفن الشعبي (Pop Art) جميعها مفاهيمية. وكذلك اعمال جاسبر جونز، إيف كلين، بيرو مانزونى، روبرت راوشنبرغ لفترة الخمسينات والستينات، وعدد غير قليل من اعمال الاتجاهات الفنية ما بعد الحرب، ولاسيما تلك الاعمال التي كان لها علاقة نقدية وتهكمية بقانون ممارستها الفنية. فالطليعة التاريخية (الدادائية، السريالية، الفن السوفييتي) قد اعترفت «بالفن» كصنف تأسيسي. ومع الانتشار التاريخي للنزعة الحديثة (Modernismo) بدأ الفنانون يتجاوزون الاطر التقليدية المقيدة للممارسة الفنية. وحينما شرع كل من مارينيتي ودوشامب، الى جانب الائتلافات العديدة للاتجاهات الطليعية بتهشيم العرضية الثقافية للمدلول، تخلى معظم الفنانين عن مسائل البحث المورفولوجي (مثل اعطاء شكل مغاير للوحة أو للتمثال) واخذوا يتساءلون حول انتاج المدلول والقيمة، وحول الشيء الذي يجعل من الموضوع أو الممارسة عملاً فنياً.

ان الفن المفاهيمي - الجديد (Neo - Conceptuale) ، وهو مصطلح حديث الانضمام للقانون المفاهيمي ، قد غزا صالات العرض في المواسم الاخيرة ، وحمل معه فناً ما هو ألا إعادة انتاج للفن المفاهيمي السابق . فعالية الاعمال الجديدة هذه باردة المظهر وفكرياً لا تنتمي للفن المفاهيمي إلا من حيث شكلها العام ، بل انها ان امكن القول تكاد تشبه حاجيات الترف . وهذا الفن المفاهيمي - الجديد (المصطلح هنا يشمل على : الفن الشعبي الجديد ، الفن الاختزالي - الجديد ، الهندسية - الجديدة - Neo) «Geo» ومعه قسم غير قليل من الحركات الفنية التاريخية السابقة له سرعان ما امتص من قبل جهاز فني في غاية التطور ، مما ادى الى الغاء تلك العلاقة المعقدة ما بين الانتاج الفني وطرق الاستلام والتوزيع التي كانت على الدوام تواجه الفن المفاهيمي .

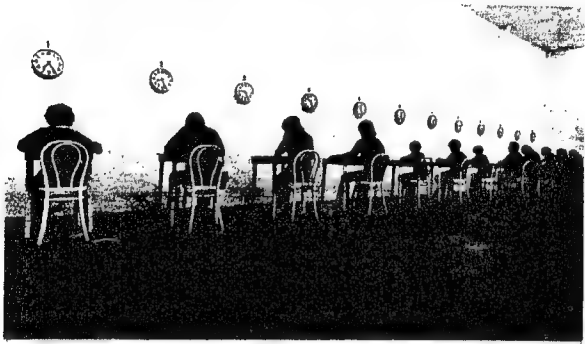
في النصف الثاني من الستينات اخذ الكثير من الفنانين بانتاج اشياء فنية - كلمات وعرض اعمال نصية ونشر تصريحات في الاذلة والمجلات والصحف ولوحات الاعلانات ونشر دراسات حول الفن .

وفي عام ١٩٦٥ انجز اون كاوارا اعمالاً تعيد نفس خط الطول والعرض للمكان الذي نُفذت فيه . وفي عام ١٩٦٦ استخدم تاريخ اليوم وقصاصات الصحف كمقاطع من اللوحة . وعرض داربوفن سلسلة ألعديدية المنسقة على اساس الترتيب الفهرسي ، واعتمد على الكتب / الصور للإشارة للزمن . وفي عام ١٩٦٥ قدم جوزيف كوزت اولي اعماله التي تعتمد على التحديدات اللغوية مثل (الكروسي) فهو عبارة عن كرسي حقيقي وصورته الفوتوغرافية والتحديد اللغوي لكلمة كرسي مثلما وردت في القاموس : وفي عام ١٩٦٦ عرض (الفن كفكرة كفكره) وهو عبارة عن صورة مستنسخة للتعريف الوارد في القاموس لكلمة (ماء) .

وفي انكلترا ، كانت مشاريع آتكسون وبالدوين مشتركة ، مثلها في ذلك مثل سلسلة تصريحاتهم عام ١٩٦٧ ، التي تضمنت على (معرض الهواء) (Air show) ، وفي هذا المعرض اعلنا ان ميلاً مربعاً من الهواء هو فن . وعن هذه الفكرة نشرت مجلة «فن ولغة» مقالاً يتقصى المنطق الجغرافي للمعرض . وفي النصف الثاني من الستينات بدأ الفنانون بنشر مقاطع نصية في الصحف والمجلات ، مثل (مخطوط) دان غراهام في مجلة «Aspen» عام ١٩٦٧ ، واسم يان ولسن المنشور في ملحق «النيويورك تايمز» عام ١٩٦٨ ، و«التقصي الثاني» للكوزت عام ١٩٦٨ ، و«ايضاحات» روبرت باري وهي وصف لحالات لارئية مجردة ، واستخدامات ستانلي للنص لتوثيق نزواته ، وصور دغلاس هبلر المستنسخة ، ولورنس وينير في جملة الغامضة وعباراته غير المفهومة ، واعمال اخرى اقتصرت على النصوص وعرض الكتب للفنانين : بورجن ، بورن ، بيير ، ميل رامسدن .

تمثل هذه القائمة نموذجاً اصطلاحياً وتمثيلاً للفنانين الذين انحصر نشاطهم الفني بآطار اللغة. ولعل من البساطة ان يتحول تحديد هذه اللحظة التاريخية والفلسفية، النوعية جداً، التي مر بها الفن المفاهيمي ما بين النصف الثاني من الستينات وبداية السبعينات الى مجرد عرض لقائمة باسماء الفنانين وذكر من كان البادئ في هذه الممارسة أو تلك^(١)، فهذا النوع من المقاربة التاريخية قد يجهل وجود الفن المفاهيمي نفسه ويفضل اعادة التحديد التي مارسها الفنانون المفاهيميون لاسلوب انتاج المدلول. ففي اختزال الممارسة الفنية الى لغة، تكون العملية الابداعية ضمنية. فالتعبير عن الذات لا ينشأ ضمن آطار المحيط المطلق لسيكولوجية منفردة، بقدر ما ينشأ ضمن علاقات تبادل لمجموعة قوانين ثقافية متحركة في ظروف محددة. لذا فإن الفن المفاهيمي ليس هو مجرد مجموعة معارض شخصية أو عملية جمع لاعمال منفردة. بل، انه نشأ من خلال مشاريع جماعية وتجمعات فنية اخذ شكله في المجلات، الصحف، الادلة، الكتب والمعارض. وبهذا المعنى فإن الأفق التأسيسي اعطت الحق للفن المفاهيمي بكل مضامينه المعقدة وللأشكال التي أحدثها ولاهيمته بالنسبة للظرف الحالي.

تعتبر جماعة (فن ولغة) كنموذج لنقد المؤسسات التي نشأ في داخلها الفن المفاهيمي. وكانت النقطة الجامعة والمعززة لهذا الفن. ويمكن التعرف عليها من خلال البلاغة النظرية لانتاجاتها والتبدل المستمر «لأعضائها» ورصانة نصوصها التي غالباً ما تمتزج بالتهكم والغموض. ومن خلال مسيرتها تطرقت هذه الجماعة الى الكثير من القضايا المحورية المتعلقة بالفن المفاهيمي، وتابعت نتاجات الفنانين وللمشاريع والمعارض واهتمت بأبرز التجمعات الفنية المهمة بالنسبة للحركة. وفي عام ١٩٦٨ تأسست دار نشر (فن ولغة) على يد (آتكسون وبالدوين) بالاشتراك مع (دافيد باينبرج وهارولد هوريل)^(٢). وأول ما بدأت به هو مشاريع (آتكسون وبالدوين) التي احتوت على: كتب / جمل، معرض الهواء، اعمال - اطارات، و٢٢ موعظة: الجيش الفرنسي. وبعد مرور عام صدرت مجلة «فن ولغة»، شارك في تحريرها المؤسسون الاربعة، من حيث اعداد المقالات والنصوص، ويبحث مشاريع لاقامة معارض في اماكن محددة سلفاً واستخدام التكنولوجيا. فالعدد الاول (الذي كتب على غلافه (مجلة الفن المفاهيمي) والتي حذفت فيما بعد، يبدأ بمقال كان يلف ويدور حول السؤال: «هل يمكن اعتبار هذا المطبوع عملاً فنياً، ضمن الاطار المفصل للمفاهيم السائدة حول الفن البصري؟». وموضوع مشترك لبائينبرج وبالدوين تتسم افكاره بالغرابة. ففي هذا المقال يستطلعان حدود المعايير الجمالية، من خلال تقمص شخصية كائن غريب، قادم من كوكب آخر، ويدهي لاقامة معرض في احلى الكاليفايات. وموضوع لسولويت (عبارات حول المفاهيمي)^(٣) الذي سبق ان نشره في



التقني الثامن

مجلة «Art Fort» عام ١٩٦٧. وفي العدد نفسه قدم غراهام (المخطوط)، وهو عبارة عن وصف انتولوجي لصفحة إحدى المجلات. وسلسلة (إيضاحات) لونيير. وفي عام ١٩٦٨ دُعي كوزت للمشاركة في المجلة بصفة محرر أمريكي، وإن كوزت حظي بنقد إيجابي من قبل «النيويورك تايمز» اثر نشره لمقال (الفن ما بعد الفلسفة) في مجلة «Studio Interna- tional» ويصدر العدد الثاني عام ١٩٧٠ احتل كوزت مكانة بارزة في الصفحات الأولى، أما بورن ورامسدن فقد كانا يرسلان المجلة من نيويورك، وفي عام ١٩٧١ انضما الى هيئة التحرير. في حين كان تشارلس هارسون منذ ذلك الوقت رئيساً لهيئة تحرير (فن ولغة) وكان معروفاً بتأييده للفن المفاهيمي اثناء عمله كمحرر في مجلة «Studio International».

لقد واصلت مجلة (فن ولغة) الصدور حتى عام ١٩٨٥. وكان من بين المساهمين فيها: ميكاييل كورس، ميكاييل توماس، غراهام هاورد، فيليب بلكنتون، في حين تخلى كل من باينبرج وأتكينسون وهورل، أي الاعضاء المؤسسين، عن العمل فيها قبل منتصف السبعينات، أما بالدوين ورامسدن فقد واصلوا العمل. ولغاية منتصف السبعينات تميزت مجلة (فن ولغة) بالطابع المتغير للعاملين فيها وبالتحول المستمر في مظهرها العام. وفي معرض (Documenta 5) عام ١٩٧٢ شاركت جماعة (فن ولغة) باسم (مؤسسة فن ولغة ١٩٧١ - ١٩٧٢) وكان ذلك الاختيار كمحاولة لتأسيس شركة في انكلترا، وفيما بعد سُجلت كشركة اهلية. أما جماعة (فن ولغة) الامريكية فانها اصدرت في نيويورك مجلة

(The Fox) صدر منها ثلاثة اعداد ما بين ١٩٧٥ - ١٩٧٦، ساهم في عملها كوزت، رامسدن، سارا تشارلسورث، ميكائيل كورس، برستون هبلر، اندرو مينارد، ويورن حيث كان مستشاراً في النقد الفني. وكان الهدف الذي وضعته المجلة لنفسها هو «انشاء صنف من الممارسة العامة...» (من اجل) صياغة الايديولوجيا^(٩). غير ان هذا الهدف لم يتحقق بسبب الخلافات التي حصلت داخل هيئة التحرير. وبهذا احدثت (The Fox) شقاً جغرافياً ما بين جماعة (فن ولغة) في امريكا وجماعة انكلترا. وكان العدد الاول واعداً بموضوعات مثل: «المسؤولية الثقافية للفن ما بعد النزعة الحديثة»، و«فشل الفن المفاهيمي»، والكلام عن فشل الفن المفاهيمي الآن قد يبدو غريباً، غير ان المرء عليه ان يعلم ان الفن المفاهيمي له الآن ما يقرب من العشر سنوات. وفي المقال الافتتاحي أكدت (تشارلسورث) على السمة المؤسسية للفن، واتخذت موقفاً من تلك التحديدات التي تعتبر الفن فكرة. لقد كانت (The Fox) مجلة ذات اتجاه ماركسي. واتسمت مواضيعها بالتنوع والشمول مثل «ملاحظات حول الفن اليوغسلافي»، و«أسعار اللوحات». وما بين ١٩٧١ - ١٩٧٢، صدرت مجلة أخرى (Analytical Art)، لم تختلف من حيث مضامينها عن مجلة (فن ولغة)، قام باصدارها طلاب آتكينسون وباينبرج وبالدوين في مدرسة الفنون في كوفنتري. وسرعان ما اندمجت هذه المجلة مع مجلة (فن ولغة) بعد اقالة (باينبرج وبالدوين) عن التدريس.

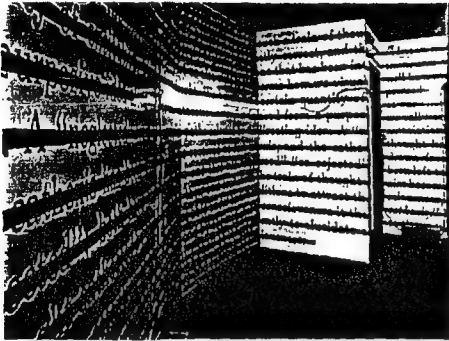
لقد كانت جماعة (فن ولغة) تكشف باختزال وتهرب من مناظرات المفاهيمية. فمعظم التجمعات والمشاريع الفنية للفترة المفاهيمية لم تعمر طويلاً^(١٠). ففي عام ١٩٦٧، أسس كوزت وكريستين جماعة فنية (جماعة الفن العادي) دامت عدة اشهر وكان لها صالة عرض (متحف الفن العادي)، ونظمت عدة معارض من بينها المعرض الجماعي (١٥) شخص يعرضون كتابهم المفضل) شارك فيه: سولويت، روبرت مورس، روبرت سمثسون. وفي عام ١٩٦٩ تأسست (جماعة الفن التأملّي والتحليلي) من قبل بورن، رامسدن، روجر كوتفورد. اقامت هذه الجماعة كذلك عدة معارض وعقدت لقاءات فنية ونشرت مداولات. كما ظهرت جماعة (فن ومشروع) ايضاً عام ١٩٦٨، من مؤسسيها ادريان فان رافستين، غريت فان جيرن. وفتحت كاليري للفن التشكيلي والمعماري في امستردام، واصبح هذا الكاليري منتدى للفن المفاهيمي. واصدرت هذه الجماعة نشرة فنية اعتبرت بحد ذاتها معرضاً، شارك مع هذه الجماعة: باري، داربوفن، هبلر، كوزت، وينير.

منذ عام ١٩٧١ كانت جماعة (فن ولغة) تتطلع لان تكون مجلة (فن ولغة) شاغلها الوحيد. غير ان ذلك لم يتحقق بسبب كثرة النشاطات والمعارض والوضع الاقتصادي

ومتطلبات السوق. مع هذا استمرت المجلة على نسق عملها وعمل الجماعة نفسها، وكانت مكاناً حراً لا حدود فيه ما بين الانتاج الفني والاستلام والتوزيع. وكل فنان كان يمارس فيه عدة نشاطات وعدة مهام: كالتنقد الفني، تحرير المجلة، تنظيم معارض، بيع اللوحات، بتعبير آخر، كانت جماعة (فن ولغة) بحد ذاتها نظاماً مستقلاً. ويمكن اعتبار اسلوب عمل هذه الجماعة كسلسلة تجارب هدفها امالة اللثام عن الطابع التاريخي المحدد للمؤسسات المبتدعة للقيم الفنية، فرغبة الفنانين المفاهيميين وهدفهم المنصب على كامل الاطار التأسيسي إنما هي رغبة تعبر عن المتطلبات النوعية لما بعد الحرب. على اختلاف من التزعة الحديثة في مراحلها الاولى، حيث انتج الفنانون فيها اعمالاً أبتدعت واسمُتعت بها كعالم مستقل، غير متجانس (مثل لوحات موندرين، على سبيل المثال)، وعلى اختلاف من محاولات السطليعة التاريخية في خلق وسائل الاتصال (الدعايات، قسائم الاعلانات، اعمال هريوت باير)، على اختلاف من كل ذلك، فقد تعين على كبار فنانني ما بعد الحرب العالمية الثانية الاذعان لثقافة تكاد تكون بكاملها مؤسساتية، وإن مثالية النصف الاول من هذا القرن قد استعص عنها بعلاقة تهكمية وتأملية ازاء العمل الفني. ويرافق هذا التحول في الموقف الادراك بان العمل الفني مهما يكن مجدداً، فانه سيبقى اسيراً لحدود فن ليس هو إلا شكلاً من اشكال «الثقافة العليا» وما تقدمه هذه الثقافة من مساهمات للوقت الحر. وفي فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية كان العمل الفني المجدد يعتبر بذاته المعرض والفاعل وكان يتعامل مع جهاز فني زائل. وما بعد الحرب، الفترة التي ظهرت فيها تيارات فنية مجلدة - لشيء ما كطراز الرسم الامريكي، الدادائية - الجديدة، الهندسية - الجديدة، فان فاعلية العمل الفني الجديد تعزى الى وسائل الاستلام والتوزيع التي يقوم بها جهاز فني متطور.

في الفترة ما بين الستينات ومطلع السبعينات برز هذا الجهاز الفني وصلب عوده بفضل التيارات الفنية التجريبية بفروعها المختلفة. رغم تفضيل الفنانين للعمل المستقل في تنظيمهم للمعارض واداء المهام الادارية. ومن الامثلة على بعض ممارسات الفنانين انهم كانوا يقتضون اثر شخصيات فنية بارزة كايك كلين، من خلال افراد قيعة جمالية لاغلاق صالة العرض. كما فعل روبرت باربي مع جماعة (فن ومشروع) عام ١٩٦٩، ويوجينا بترل في لوس انجلس، وكاليري سبيرونه في تورينو. فقبل افتتاح المعرض تُلصق بوسترات دعائية للاعلان عن وجود معرض ما في احدى الكاليريات، وحين يحضر الجمهور لمشاهدة المعرض يجد صالة العرض مغلقة. وثمة فنانين مارسوا عدة نشاطات في آن واحد من ابرزهم هارسون، لوسي ليبارد، ست سكلاّب.

كان سكلاّب منظم معارض ومتعهد فني وناشر، وكان يجسد شخصية المنتج كفنان



صفرو لا

في ١٩٦٨ نظم معرضاً شخصياً لهبلر وكان المعرض عبارة عن مجرد كاتالوج. وبعد مرور عام نظم معرض (٣١ آذار) وفي هذا المعرض عين لكل فنان يوم واحد وطبع الاعمال الفنية في كاتالوج واعتبر بمثابة المعرض نفسه ولعل معرض (يونيو - سبتمبر ١٩٦٩) هو من ابرز نشاطات سكلاب، شارك فيه ١١ فنان من بينهم: باري، كوزت، لويت، ن. ي. ثنك، سمشون، وينير، ونفذت الاعمال في ١١ مكان مختلف في العالم وطبعت في دليل ولكي يُنشر المعرض في مجلة (Studio International) دعا سكلاب ناشرين ونقاداً لاختيار فنانين ينتجون قطع (اماكن - محددة) (Site - specific) لنفس العدد. ان عملية اعادة البناء التي مارسها سكلاب للمعرض كدليل، وللمجلة كمعرض، أو للمعرض كنص لا تقل ابداعاً عن الفنانين، بل في احيان كانت طلعاته وابداعاته تفوق ممارسات الفنانين انفسهم.

لوسي ليبارد كذلك، كانت ناقدة ومُنظمة معارض مثل سكلاب، ويصعب تمييز مشاريعها عن الاعمال الفنية، ففي عام ١٩٧٠ نظمت معرض (معلومات) في (Moma) وعُرض كاتالوج المعرض مع دراسة نقدية وتعقيبات في (كاليري لامبرت) في باريس. وحول معرض (557.087) الذي نظّمته ليبارد نشرت مجلة (ArtForm) عام ١٩٦٩ مقالاً يصف ليبارد بانها الفنانة الحقيقية للمعرض نفسه: (ان وسيطها الروحاني هم الفنانون الآخرون، وانه لانتشار متوقع في الممارسة الدارجة، كأن يستخدم المتحف احد النقاد لـ «عمل» معرض أو قطعة لمعرض، ومن ثم يطلب الناقد من الفنانين «عمل» قطعة للمعرض»^(٦).

ان معرض (557.087) هو واحد من اشهر المعارض الجماعية في العالم. ففي هذا

المعرض خُصص حيز بارز لنمط من الاعمال تقتضي عملاً جماعياً وخصوصية في المكان ومحورية في اللغة. ومنذ عام ١٩٦٧ أقيمت سلسلة معارض على صالة (Dwan Gallery) في نيويورك تحت عنوان (لغة للمشاهدة وأشياء للمطالعة)^(٨). هذه المعارض عرفت بلغة رقم ١، ٢، ٣، ٤، واستمرت لغاية ١٩٧٠ وكانت تقام على شكل معرض واحد في السنة. وتطرق الى موضوعات مختلفة. قصائد الطليعة، الفن الاختزالي، اللغة كفن بصري، ولأول مرة جمعت اعمال كوزت، جماعة (فن ولغة) الانكليزية، آراكاوا، اون كاوارا، دان غراهام، وعرضت مع اعمال كارل اندري، لويت، موريس، غاسبر جونس، رينهاردت، ومع اولى النماذج الحديثة لدوشامب، مرينيتي، مغريت وبيكيايا.

وفي عام ١٩٦٩ اخذ الفن المفاهيمي موقعا الى جانب ابرز الاتجاهات الفنية كالفن الفقير وفن الارض والفن الاختزالي وفن الطريقة، واخذ يعرض في اهم صالات العرض العالمية. وفي ربيع ١٩٦٩ نظم هارد زيمان معرضاً مشتركاً على قاعة (Kunsthal) في برن تحت عنوان (عندما تصبح المواقف اشكالاً، اعمالاً، مضامين، عمليات، وضعيات، معلومات). قدمت فيه اعمال نصية، فضاء رقم واحد، الفن كفكرة كفكرة لكوزت، ست كتب مستنسخة لداريو فن، اماكن - محددة لريتشارد آرتشوجر، علامات جدارية لسولويت، وعلامات من الفن الفقير لكونيليس (الاول قطعة كاربون والثاني جلد ماعز ونخشب وحبل)، ومشاريع فضائية كعمل ايف (العمل الاثري) لعام ١٩٦٢. وكان هذا المعرض متزامناً مع معرض (oplosse schroeven) في امستردام على قاعة (Stedelijk)، والذي احتوى على عدد قليل من الاعمال اللغوية والمفاهيمية. وفي دليل المعرض الاخير كتب بيرو جيلارد عن الاشكاليات والمسائل العامة التي تواجه العصر: كالوضع السياسي الراديكالي في باريس، وعن الثورة الثقافية في الصيف، ومشاريع الطليعيين - المجدد في عالم الفن. وبهذا اراد جيلارد ان يلفت انتباهنا نحو عالما اليوم وما يشهده من تفكك واسع النطاق في البنى الايديولوجية والمؤسسات التقليدية والفنون البصرية والحياة الاجتماعية. ورغم مساهمة عالم الفن في النقد الداخلي هذا، إلا انه كان في الوقت نفسه يتعزز ويرتقي الى درجات اعلى. كما تدل على ذلك وفرة المعارض العالمية والاعمال التي تقف ضد فكرة مؤسسة - معرض. ولكن هذا لا يكفي: فيليب موريس الذي دشّن بدعمة اسناد الفن من قبل مؤسسات اهلية عام ١٩٦٦ كان ممولاً لمعرض (عندما تصبح المواقف اشكالاً). وذكر في غلاف الدليل «هذا المعرض ممول من قبل مؤسسة فيليب موريس الاوربية» بمستوى حجم الحرف الطباعي لعنوان المعرض. ذلك شيء محزن حقاً، حتى بمقاييس الثمانينات. ولعل هذا المعرض هو الاول من نوعه من حيث مستواه العالمي، يُسند من قبل مؤسسة متعددة الجنسيات. والشيء الظريف في الامر هو ان تقوم مؤسسة

بدعم اعمال فنية نشأت كرد فعل ضد المؤسسات نفسها.

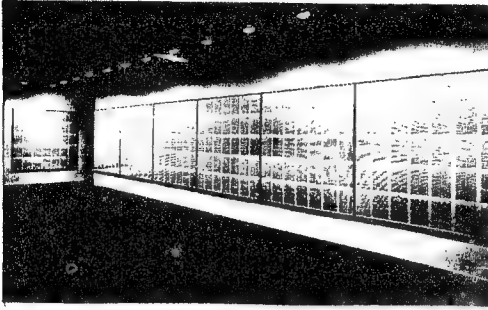
وفي خريف ١٩٦٩ اقيمت عدة معارض مفاهيمية في اوربا، كـ معرض (منظور ٦٩) في كونستهول في دوسيلدروف، ومعرض آخر اقتصر على اللغة في متحف (Stadtsche) في ليفركوسن. وفي امريكا نظمت ليبارد معرضاً في (Seattle Art Museum) تحت عنوان (557.087)، وهذا الرقم يمثل عدد سكان سياتل آنذاك. وبانتقال المعرض الى مكان آخر يتغير الرقم، فكان في فانكوفر (955.000)، وبوينس آيرس عام ١٩٧٠ اصبح (2.972.453)، جميع هذه المعارض سميت بـ (اماكن - محددة). وفي صيف ١٩٧٠ اقيم في متحف الفن الحديث في نيويورك معرض (معلومات). في حين عرض المركز الثقافي في نيويورك اعمالاً لغوية - نصية كان عنوانها (فن مفاهيمي ومفاهيم الاشكال).

ان جميع هذه النشاطات المفاهيمية بلغت اوجها في معرض (Documenta 5) عام ١٩٧٠ والذي شارك فيه اكثر من ١٥٠ فناناً. قسم المعرض الى عدة اقسام، حسب المواضيع المتناولة مثل: الخيال العلمي، الواقعية الاشتراكية، فن المجانين، الدعاية السياسية، معلومات، فكرة وفكرة، الانارة، وفي هذا المعرض احتل الفن المفاهيمي موقعا متميزاً سواء في الاعمال المقتصرة على النص، أو في الاستخدام المتنوع للغة. شارك فيه: جماعة (فن ولغة) باري، بورجن، داربوفن، وينير. كما قدمت في هذا المعرض مشاريع مهمة كمشروع (متحف الفن الحديث) لمرسيل برو تاريس، و (صورة جانبية لوجه احد المشاهدين) لهانس هاكي، و (غرفة معلومات) لجوزيف بويس. ففي احدى اقسام المعرض فتح بويس (مكتب معلومات) لغرض المناقشة وتوزيع منشورات (منظمة الديمقراطية المباشرة) وكان يعتقد ان هذا كان له علاقة بجماعة بادر-ماينهوف. ان جماعة (فن ولغة) حافظت على نسق عملها ومشاريعها التي تركزت على المدلول في الفن، وبتعبير ادق، طرحت مسألة كيفية توظيف اللغة في العمل الفني. وفي وقت التثام شمل هذه الجماعة عرفت اول اعمالها وهو عبارة عن خزانات لحفظ الوثائق، وصناديق تصنيف الاوراق، وضعت في داخلها جميع المواد والنصوص المهمة، والمنشورة في مجلة (فن ولغة)^(١). هذا العمل اقترحه بالدوين، ويشتمل على تقسم النصوص الى ٢٥٠ قسم، وكل قسم تمت قراءته بشكل جماعي أو فردي، على ضوء علاقته بالاقسام الاخرى، وبالنسبة ستألف 122.500 نسخة من النصوص المقارنة، وبعد عملية التصنيف توضع عليها احدى العلامات الثلاث (للدلالة على التوافق الايديولوجي أو المنطقي) مثلاً: علامة (=) للتوافق، علامة (-) للاتوافق أو اللاتطابق، علامة (ت) للتحويلات المنطقية. ونتائج كل نص من هذه النصوص المقارنة تم تكبيرها عن طريق التصوير الفوتوغرافي، وعلقت على الجدران على شكل قوائم يمثل هذا العمل الشائك والمعقد خارطة (الكلمات) التي

يتألف منها العالم النظري والفلسفي لجماعة (فن ولغة). فهذه الغرفة المليئة بالمخزانات هي تجسيد لعملية انتقاد مثالية مشاريع الفن الحديث، وتعتبر نموذجاً حقيقياً لنمط من الانتاج الفني له دلالاته المبنية على اساس جماعية العمل. ففي هذه العملية الجماعية لا وجود للتعبير المباشر، وللابداع الفردي. كما يقدم هذا المشروع نموذجاً لطابع المنهج الجماعي للفن المفاهيمي بشكل عام ولجماعة (فن ولغة) بشكل خاص. ويوجه نقداً راديكالياً للنزعة الحديثة في استثمارها للنزعة الانسانية الليبرالية، وللإيمان باستقامة الرأي في استثماره لارادة الفرد الحرة، التي عليها ان تجد منفذاً لها من خلال الفن وفق النظرة التقليدية. ان اعتراف الفن المفاهيمي بالطابع التاريخي للنزعة الانسانية الليبرالية ظهر بشكل رسمي في الكاتالوج وبعده لغات، فقد نشر «الاتفاق حول حقوق الفنان المحفوظة بشأن النقل والبيع». والمعروف ان التبادل والملكية الخاصة من الاشياء المشروعة في النظام الرأسمالي، كما هو الحال في النظام الانجلو- امريكي الذي يتميز بحق الملكية وحق العقد (الاتفاق)^(١٦). حيث ان العقد يضمن للفنان حقوقه باعتباره طرفاً قانونياً، حسب ايدولوجية النزعة الانسانية الليبرالية والسوق الحرة. ومن هنا اخذ الفنانون يتحدون منظمي المعارض، حتى دون ان يرجعوا «الاتفاق». وعلى ضوء اعادة التقييم المفاهيمي لمكونات الجهاز الفني اعلن الفنانون مسألة حرية مشاركتهم في المعارض وعدم خضوعها للرقابة، ولا يمكن نصب أو تصنيف الاعمال بلا موافقة الفنان، وان يطلع الفنان على التفاصيل الادارية بشأن البيع^(١٧). كل ذلك دُون وظهور على شكل تصريح مُؤقف نشرته مجلة (ArtForm) عام ١٩٧٢.

ويمكن القول ان استمرار بعض بقايا النزعة الحديثة غير المنسجمة مع الفن المفاهيمي كان عامل فشله، فرغم انتقادات الفن المفاهيمي للشكلية (Formalismo) ولمثالية النزعة الحديثة، إلا انه لم يجد حلاً لمسألة كيفية اكتساب الفن للمدلول، وان مقارنة الفنانين المفاهيميين من بناء المدلول هو نموذج لخلاصة مواقعهم ازاء الفلسفة التحليلية، وبشكل خاص ازاء فلسفة ويتغنستن (Wittgenstein)، التي تعتبر اللغة، وبالتالي الفن، هما نسقان مستقلان. فقرار الفنانين المفاهيميين في العمل باستخدام النصوص عوضاً عن الصور، هو محاولة لابرار واقع ان التمثيل ناتج عن القنوات السائدة، كما يثبت ذلك قول ويتغنستن الشهير «المعنى هو الممارسة».

نحو منتصف السبعينات، أي بعد ما يقارب عشر سنوات من التجارب المفاهيمية، بدأ العديد من الفنانين يطرحون على انفسهم مسألة آفاق وحدود صياغاتهم. وبهذا الشكل بدأوا في الاخذ بعين الاعتبار تاريخية اللغة، قياساً بنوعية النسيج الاجتماعي، وفي طرح مسألة «القارئ» في النص». وفي العدد الثاني، الجزء الثاني من مجلة (فن ولغة) صيف



بلا عنوان

١٩٧٢، اتخذ (بورجن) موقفاً ازاه ابهامية (الفلسفة التحليلية) عند جماعة (فن ولغة) وانتقد ممارساتهم الماثلة نحو الفن للفن^(١١). ان (بورجن) من خلال طرحه لنماذج مستمدة من علم اللغة، وبشكل خاص من علم اللغة السوسورية (نسبة الى فرديناند دوسور مؤسس علم اللغة) قد حول المحيط الاشكالي، وكان يؤكد على ان الواقع هو نتاج قوانين ثقافية. ولقد اثبت علم اللغة ان المعارف التقليدية لـ «الواقع» والمنتشرة في الوسط الاجتماعي، لا تنتقل ببساطة من لغة المجتمع، بل انها، والى حد ما، «ناتجة» عن تلك اللغة... فالفن ليس إلا في جزء منه مستقل... (ووظيفته) هي تصحيح تلك القوالب التي اصبحت تأسيسية في توجهها للعالم، وبهذا سيخدم الفن كأداة، كوسيلة لتطبيع وانسنة العلاقات الاجتماعية^(١٢). وفي عام ١٩٧٣ بدأ (بورجن) يحول انتباهه عن القطع الفنية التي يغلب عليها الطابع النصي الى اعمال تجمع ما بين النصوص والصور، حسب الاتجاه العام في الستينات ومطلع السبعينات، ولكن مع الاختلاف في ان (بورجن) كان يستخدم الملاحق الدعائية كوسيلة لمواجهة بناء الذاتية الطبقة داخل تمثيلات وسائل الاتصال. وفي هذا السياق يمكن اعتبار مجلة (The Fox) كمحاولة لـ (اعادة الاستحواذ على الفن باعتباره وسيلة تحول اجتماعي وثقافي) كما يرد ذلك في التصريح المنشور في افتتاحية العدد الثاني.

وعندما اخذ كوزت يكتب في (The Fox) عام ١٩٧٥، اعاد صياغة مواقفه السابقة بخصوص فشل واحتضار الفن المفاهيمي. واصطف الى جانب «فن انثروبولوجي... يلغي الايديولوجيات الفنية التي تدعي استقلالية الفن... ان ذلك الذي بدأ في الستينات كتحليل مضمون الاشياء (أو الجممل) المحددة، والسؤال حول الوظيفة، كل ذلك قد ارغما بعد

عشرة اعوام على توجيهِ انتباهنا نحو المجتمع، ونحو الثقافة التي يعمل في داخلها ذلك الشيء المحدد^(١٤). فمن التحديدات اللغوية المستنسخة والمؤطرة لفترة الستينات، انتقل (كوزت) في مطلع السبعينات الى صالة المطالعة - كما في عمله (التقصي الثامن) - الذي يتحول المشاهد فيه الى قارئ يجمع مقاطع نصية. وفي اواخر الستينات انتقل الى النصوص المنصوبة في المعارض أو المكتوبة على ألواح الاعلانات تخاطب الجمهور مثل عمله (نص / مضمون). ونحو النصف الثاني من السبعينات استخدمت جماعة (فن ولغة) في انكلترا الصور والنصوص معاً، وانتجت لوحات كبيرة الحجم تسخر من السياسة الراديكالية لتلك الفترة، والتي كانوا يطلقون عليها تسمية «الدعاية السوداء». ونحو منتصف السبعينات اخذ القانون التنظيري المفاهيمي يتحول من الفلسفة التحليلية الى البحث الاجتماعي ذو الطابع الماركسي، كبحوث مؤلفي مدرسة فراكفورت (فالتر بنيامين) و(هربرت ماركوز) وتحليلات (دوسوسور) اللغوية و(رولان بارت). ان هذا الاهتمام بالبناء الاجتماعي والطبقي للمدلول قد فتح آفاقاً رجة امام الحركة النسائية، وامام نظرية التحليل النفسي لجاكس لاكان، ولدراسات حول الفيلم، ولاوسع تماثل لفترة ما بعد البنيوية. وفي انكلترا كانت مجلة (Screen) قد خدمت، كواسطة نقل، لتوطيد هذه الموضوعات ولا تزال تعتبر وثيقة لهذا النوع من التحول في الاهتمامات، فهذا التحول في النبرات والتوكيدات داخل الممارسة النظرية، كان ينسجم واتساع الاهتمامات المفاهيمية في الماضي الى ما وراء اطار الفن، باتجاه الميدان السلامتاهي لعملية التمثيل (Rappresentazione).

يشكل عمل ماري كيللي نموذجاً لاعادة تحديد استراتيجيات المفاهيمية وتوجيهها نحو مسائل التمثيل، وبشكل اكثر تحديداً، نحو بناء ذاتية المرأة. ففي الستينات ومطلع السبعينات كان الفن المفاهيمي يتقبل اللغة البطريركية (الابوية) للغرب الابيض كمقياس طبيعي. وان (كيللي) في عملها وضعت هذه اللغة موضع نقاش، وأكدت على واقع اننا نعرف انفسنا ونعرف العالم عبر تمثيلات لانواع واشياء، محددة تاريخياً، ففي رأيها ان العديد من معارض الفن المفاهيمي المقامة في لندن، ما بين الستينات والسبعينات كانت مساهمة في صياغة (Postpartum Document) (ما بعد ولادة الوثيقة - ١٩٧٣ - ١٩٧٩)، تلك الوثيقة التي اعتبرت كاستمرار للنقاش ضد مفاهيمية اواخر الستينات ومطلع السبعينات^(١٥). فكيللي باستحواذها على الحجم المتسلسل والمناهض - للتعبير المفاهيمي، كما يظهر على سبيل المثال في عمل (داربوفن)، قد عرضت عملها (ذكريات - فتشيه)^{*} عن مرحلة الطفولة المشحونة بالعواطف، واستخدمت اجزاء من لحاف، بصمات طفل، مناديل وسخة: ذكريات تتوقف على القرينة (وهي الى حد ما مفاصل تكميلية)

شبيهة بعناصر التحليل النفساني عند (لاكان). فالوثيقة هي عبارة عن دفتر يوميات حول آلام فترة القطار التي يبتعد الطفل فيها عن الأم ليدخل في النظام الأبوي. ان هذا المشروع سلط الضوء على الانثوية ووفر مكاناً تتمفصل فيه الذاتية، كما يعتبر عمل (كيللي) جزء من اعادة صياغة الحركة النسائية^{١١} للذاتية (Soggettività) في اعلى مراحل الرأسمالية، وخدم كمحفز للانتقال الى ما وراء المسائل الطبقية، والنوع والجنس، نحو قضايا كالعنصر، والاصل العرقي والعلاقات ما بين العالم الاول والامم المتخلفة. وكان بعض الفنانين يصوغون ستراتييجيات الفن المفاهيمي، ويستخدمون عالم الفن كقرينة لتقصي هذه المعارف مثل: لوثر بامفرتز، جار، كولبويسكي، كروجر. وهناك آخرون واصلوا البحث المفاهيمي وطريقة عمل الجهاز الفني، دون اعتبار عالم الفن مستقلاً مثل: هاكي، لاولر، مونتاوز.

ثمة عبارة استخدمها (هاكي) في عمله الاخير (مجموعة ساتكي - اكاذيب) ١٩٨٧، تقول: «كل شيء متصل بالاشياء الاخرى». هذا القول يعود الى لينين، وكان (هاكي) قد اقتبس من التقرير السنوي لوكالة ساتكي للدعاية والاعلان، فلقد بات معروفاً في الوسط الفني ان الاخوين ساتكي (تشارلس وموريس) يديران احدى اضخم وكالات الدعاية في العالم، وان تشارلس وزوجته دورس يملكان اكبر مجموعة من لوحات الفن الحديث. ان ما اورده هاكي في عمله هذا هو ان يعرض على الملأ مسألة ان وكالة ساتكي العالمية ترتبط بعلاقات مشبوهة مع جنوب افريقيا، وانها كانت مساهمة في اقامة حملة دعائية لصالح الابارتهايد، فهذا العمل لا بد له من ان يحطم ذلك الايمان المعاصر باستقلالية الفن، فما على الفن المفاهيمي، على أية حال، ان يكون بالضرورة «سياسياً»، بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، اذ ان الممارسة المفاهيمية انتقادية، تنازعية، حيوية في تعاملها مع المؤسسات الجمالية للنتاج الفني وللتوزيع والاستلام. وان عطاء هذه الممارسة إنما هو اكبر من مجرد تداول لحاجيات فنية جمالية، فما عاد النص هو المجال العملي الوحيد للفن المفاهيمي والمجسد لاغراءات وسائل الاتصال. في هذا السياق تصف جماعة (الفكرة العامة) (General Idea) صلتها بوسائل الاتصال على النحو التالي: «نريد اضافة شيء ما لكم، نريد مدكم الى ان يأخذ شكلكم بالتراخي، نريد ارخاء ذلك النسيج الاجتماعي»^{١٢} فالبرهنة على مسألة اننا نعرف انفسنا، ونعرف الواقع من خلال تمثيلنا (Rappresentazione) هي مسألة مضمرة في الممارسة المفاهيمية. فنحن نبتدع هذا التمثيل. ونحن نستطيع تحويله.

(Memorie - Feticci) *

(Femminismo) **

المصادر:

- (١) من الأمثلة عن هذا النوع من التاريخ هو كتاب اورسولا ماير Conceptual Art. New York, 1972 الذي يحتوي على جدول حسب التسلسل الأبجدي بمساهمات الفنانين.
- (٢) بشأن التفاصيل التاريخية لجماعة فن ولغة اعتمدت بالدرجة الأولى على هذه النصوص:
Charles Harrison e Fred Orton. (A provisional History of Art and Language). Paris 1982 - Charles Harrison e John Roberts, (art and language), Société des Expositions du palais des Beaux - Arts, Bruxelles 1987, - (Art and language): Terry Atkinson, David Bainbridge. Michael Baldwin—Harold Hurrell. Josef Kosuth, a. c.
- من تأليف Paul Maerz e Gerd de vries. Colonia 1972, مع مقابلات منشورة وغير منشورة Baldwin, Hurrell, Kosuth, Ramsden.
- (٣) تؤكد آخر عبارات سولويت: وهذه الجمل هي تعقيب حول الفن، وليست فن، وهذا الفصل ما بين اللغة والفن البصري يميز ممارسة سولويت عن تلك الأيضاحات التي كانت جماعة فن ولغة تفرضها كأساس في عملها.
- (٤) تصريح تمهيلي في مجلة. The Fox, Vol, 1, No 1, New York 1975.
- (٥) مقابلة مع. Ramsden. cfr. Harrison and Orton, pp, 26 - 27.
- (٦) لمزيد من المعلومات حول التسلسل الزمني لمنشورات ومعارض ونشاطات الفن المفاهيمي للفترة من ١٩٦٦ إلى ١٩٧١ انظر:
Lucy Lippard. Six Years: The dematerialization of the art object from 1966 to 1972. Londra 1973.
- (٧) نفس المصدر السابق. Op. Cit. P. 111.
- (٨) لا تتوفر أدلة المعارض المقامة في Dwan Gallery، بل فقط جداول بالأعمال. وفي عام ١٩٦٥ اقيم في Institute of contemporary Art في لندن معرضاً مهماً آخر هو (ما بين الشعر والرسم)، الذي ركز على نمط من الاعمال تختلف عن اعمال الفن المفاهيمي لتلك الفترة، لانها اقتصرت على الشعر والفرافيك.
- (٩) في عام ١٩٧٢ عرضت على قاعة Hayward Gallery في لندن نماذج آخرين من خزانات حفظ الورق، وفي عام ١٩٧٣ كذلك على قاعة Lisson Gallery في لندن، وفي نيويورك ايضاً على قاعة John Weber، وفي روما على قاعة Contemporanea. وفي عام ١٩٧٤ عرضت في معرضين في كولونيا: Project 74 e Kunst über Kunst. Cfr. Harrison and Orton. P. 34.
- (١٠) Duncan Kenneody, The Role of Law in Economic Thought: Eddays on the Fetishism of Commodities, IN «The American University Law Review», Vol 34, no 4, 1985, PP. 939 - 1001.
- (١١) حول معرض Documenta 5 انظر مجلة «ArtForum» الجزء ١١، العدد ٢، الصادر في اكتوبر

١٩٧٢، ويشكل خاص انظر:

Lawrence Alloway, Reality: Ideology at D5, PP. 30 - 36.

Victor Burgin, In Reply, IN «Art and Language», Vol. 2. N. 2. PP. 33 - 34, (١٢)

Terry Atkinson e Michael Baldwin, Unnatural Rules and Excuses, IN «Art and Language». Vol. 2. No. 1. PP. 1 - 17.

Victor Burgin, Op. Cit. PP. 33 - 34. (١٣)

Joseph Kosuth, 1975, IN «The Fox», No. 2. PP. 90 - 91. (١٤)

مقابلات منشورة وغير منشورة مع Mary Kelly. (١٥)

General Idea 1968 - 1984. Kunsthall. Basel. Saggi di Jean - Christophe Ammann. Tim Guest e General Idea. P. 39. (١٦)

mann. Tim Guest e General Idea. P. 39.

المراسلات:

الثقافة الجديدة

سوريا - دمشق

ص. ب ٧١٢٢

تلفون: ٤٤٩٧٢٤

فاكس: ٧٧٣٩٩٢

الاشتراك السنوي

٣٦ دولاراً أو ما يعادلها

يدفع مقدماً بشيك أو حوالة مصرفية

الى رقم الحساب

٤٨٦٦٨٤/١٢

Banque Libano - Francaise

Bar Elias - Lebanon

ضراوة الذهب

حول حرية الكاتب

هاشم شفيق

■ يجري الحديث الآن بحرارة ساطعة، لا لبس فيها عن حرية الكاتب العربي، بشتى نواذعه المعرفية وميوله الجمالية والفنية، ان كان شاعراً أو روائياً أو قصاصاً أو مؤلفاً مسرحياً أو فناناً. . إن هذه الأقلام التي انبرت للدفاع عن حرية المبدع العربي وتحريرها من ربة التسلط مهما كان نوعه وهدفه واتجاهه، لهي دلالة عافية على التأزر والتضامن والتلاحم بين هذه الأقلام مع نظيرها القلم الاسير الذي وقع تحت عنت السلطة وعسفها، واني كان موقع هذه السلطة من الجغرافيا العربية. . . انه شيء جميل ان يتنادى الكتاب للدفاع عن شرف الكلمة وعن شرعية اتجاهها وعن حرية كاتبها، وشاهدنا في الحديث هنا هو الشاعر المصري محمد عفيفي مطر، وهو صديق قديم، تربطني به وشيجة ادبية وصلة توثقت ابان اقامته في بغداد.

ذات يوم صدرت مجموعتي الشعرية الاولى، «قصائد اليفة» عن وزارة الثقافة والاعلام في بغداد. . قصدت ذاك المكان الذي لم يسبق لي الدخول الى ابهائه المضيق. . مرة واحدة ذهبت الى هناك وكانت الاخيرة. . ولن انسى ذلك اليوم، حينما هبطت فجأة يد ناعمة ورقيقة على كتفي، وعندما تبينت الصوت الذي وراءها فاذا به محمد

عفيفي مطر يقبلني دون سابق معرفة، غير اني اعرفه بالطبع، آنذ سألتني : أأنت هاشم شفيق؟ لكم تمنيت ان التقيك غير انك لا تردد على هذه الاماكن!

كانت تلك الايام تعلي بالمفاجآت، انها ايام ١٩٧٨، الظهيرة قائظة، والصيف يلفح الوجوه، والطرق والنواصي والمواقع والمقاهي واتحاد الادباء والحانات معززة برجال المخابرات بحثاً عن المثقفين الذين لا يمالئون سياسة الحكم القائم في العراق، واولاء المثقفون ليس لديهم سوى سلاح وحيد هو القلم، أي ليسوا من حملة السلاح والمناشير والقتال لكيما يقوموا بواسطتها بذلك مواضع النظام، إنما هم فقراء الارض لا غير، سيماؤهم على وجوههم من اثر العوز والفاقة والحرمان. الحرمان المادي والمعنوي، والعوز الى منبر ثقافي لا يحرمهم من النشر، والفاقة التي تدلل عليهم وهم البعيدون عن مواقع الرفاه والهناء، بعيدون عن اضاء وزارة الثقافة وحقولها الاخرى من قنوات مرئية ومسموعة ومن الصحف والمجلات.. فقط تلك الاضاء كانت تضيء جباه من استخذى ووقع ضحية للزلفى، يرصع كلماته في قصائد ومقالات وقصص تتوسل ذا الرأس وذاك، ذا الكتف أو تلك اليد.. وفي النهاية يصب غبار المديح في قناة واحدة، في شخص واحد وحيد، انه المديح الاسود المدجج بفصاحة الذل، تلك المدائح التي سرعان ما صنعت ونفخت بروح جلال صغير، حتى كبرت هذه الروح العطشى للاضاحي، وزهت لتسمي هي الاول والاخر، هي البدء والمنتهى، والآخرين الذين يحفون به ويخلعون عليه الصفات ليسوا سوى سقط المتاع..

اذن انها ايام ١٩٧٨، الظهيرة قائظة، والصيف يلفح الوجوه، عندما قررت ترك وطني قسراً مثل المثقفين العراقيين الى هذه المنافي اللعينة، الى هذه المنافي القاسية التي تتناظر وقسوة الوطن.. عهدئذ اخبرت صديقي محمد عفيفي مطر بأنني راحل، وبقائتي يعني تعرضي للسجن والاعتقال.. كنا آنذاك على موعد في مقهى البرلمان، ولقد جاء ليودعني ويسهر الليلة الاخيرة معي في بيت الشاعر سعدي يوسف، وقد جمعت تلك الليلة فضلاً عن محمد مطر الشاعرين العراقيين عبد الرحمن طهmazي وفوزي كريم الذي كنت معه على نفس الطائرة حينما غادرنا العراق، آه ما أحزن ساعات تلك الليلة وأنت تحصيها على يدك، لكيما تغادر وطنك دون ان تعرف متى ستعود اليه.. آه ما اجمل النسيان ما اجمل الذاكرة المبطنة بالضباب والمعرضة للتلغ! ساعتها نحى محمد غليونه جانباً واستلقى على الارض وهو مثقل بالنشوة الخمرية واحديث تلك الليلة.

ابن محمد عفيفي مطر الآن؟ انه يخرج للتو من ززانة وطنية، ليس في وسعي راهتاً، إلا ان ارفع صوتي عالياً عالياً لبارك حريته، فعداوة الشاعر لا تجني سوى الخسارات، بمعنى آخر عداوة الشاعر غير مستحبة كما يقولون مهما كانت الاسباب والدواعي، سواء

كان صدورها عن شخص أو عن دولة فهي في المآل مس بحرية الكاتب ومس بكرامة الكلمة.

اذن هاجسنا الاوحد نحن الكتاب والمبدعين العرب هو الرفع من شأن الكلمة وعدم انحطاطها وبالتالي عدم افساح المجال للنيل من كاتبها، هذه مسلمات وبدهيّات وعناصر جوهرية تقبع في وعي كل كاتب شريف، ولكن ألا يجدر بنا ان نكون مع الحق دائماً، مادام هذا هو هدفنا وبيدنا وزمام اخيلتنا، أي ان يكون المبدعون العرب سواسية كاستنان المشط امام مثل هذه اللحظات، ليتمتعوا حقاً بشروط هذه المساواتية، أليس هذا هو عين الحق؟ اني اتساءل هنا فقط لمجرد التذكير، فقط لاستدعاء الذاكرات المحمومة التي تنادي بثقافة القومية العربية ووحدةها، لماذا هؤلاء الكتاب استفاقوا فجأة على هول الواقعة؟ واقعة اعتقال محمد عفيفي مطر، كلنا نقف ذاهلين، نحن الشرفاء من الكتاب ضد هكذا تصرف، وكما أشرت آنفاً، أكرر مجدداً، أما كان على هؤلاء الكتاب بمن فيهم صديقي الشاعر محمد عفيفي مطر ان يرفعوا اصواتهم اعلاء لحرية الكلمة، تضامناً مع الادباء العراقيين اللذين اعتقلوا وعُذِّبوا واستشهدوا تحت التعذيب. . .

وهنا اثير بلوعة وحزن عميقين الى بعض من هؤلاء الشعراء الضحايا، ابرزهم الشاعر الشاب خليل المعاضيدي وهو شاعر مات تحت التعذيب في زنازن الوطن. . . كان خليل مثقفاً وشاعراً متميزاً وكان شعره يتسم بخاصية نادرة تكشف عن مكونات الواقع وخباياه، وبطريقة فيها نوع من الفتازيا والتفاصيل الشيقة والجارحة لجوهر الواقع، فضلاً عن ثقافته وشغفه اللامحدود بالشاعرين ويتمان ولوركا اللذين نقلهما آنثذ الى العربية. . . الثاني هو الشاعر عبد الحسن الشلر وهو شاعر متشرد ومطروود من مواقع الثقافة السلطوية مثل الكثيرين، كان شاعراً مذهباً وكان مثاله في الحياة والشعر الشاعر الفرنسي رامبو. . ان هذا الشاعر المائل في ذاكرة من عرفوه وجايلوه من الشعراء دهسته سيارة تابعة لمديرية الامن العام في بغداد ذات ليل دامس، الشاعر الثالث هو صاحب الشاهر الذي مات كمدأ وقهراً بسبب انضمامه قسراً لثقافة الحزب الحاكم في العراق، وهو شاعر شفاف ومجيد في شعره، مات وهو في ربيع السادس والعشرين. الرابع هو القاص حميد ناصر الجلاوي الذي نشر من القصص التي تمتاز بمسحة ريفية تبحث في شؤون الارض وزارعها، مات تحت التعذيب، في سجون العراق، الخامس هو الفنان شمس الدين فارس. . . استشهد تحت التعذيب في السجن. . . ان هؤلاء الشهداء من الشعراء والكتاب الذين ذكرتهم هم ضمن من اعرفهم وتربطني بهم صلة الصداقة والكتابة. . . أما اذا تحجج الكتاب الذين يدافعون عن حرية الرأي والمعتقد والفكر بانهم لم يسمعو بهؤلاء النخبة من الاضاحي الثقافية، وبانهم لم يكونوا مشهورين، فاني اود ان اذكرهم بشخصية ثقافية وسياسية بارزة وهي شفيق

الكمالي، وهو شاعر ورسام ووزير ثقافة وعضو قيادة قومية، مات بجراحة ثاليوم في اقبية الامن لدى النظام الحاكم.. هذا الشاعر لكم اسدى لهؤلاء الكتاب من خدمات، لكم اعطاهم من مال، لكم دللهم، لكم ساهم في نشر كتبهم.. لماذا تناسوا الهدايا وتذاكر السفر والمعاشات ورتين الاقداح في فندق ميليا المنصور وغيره؟ أقول واتساءل لماذا لم يكتب هؤلاء الادنياء من الكتاب ولو اشارة، تلميحاً، تصريحاً ما، بحق هذا الغياب التراجيدي لشفيق الكمالي منذ غيابه حتى الآن، انها ضراوة الذهب التي حولت رؤاهم بسرعة مذهلة الى خلفه في الموقع الاعلامي ذاته، وهكذا دواليك. هذه هي الحقيقة لا غير، انه الصمت الذهبي المدفوع الاجر على شكل ساعات ذهبية، ولا بمفسر دوام شعراء عكاظ بالتسارع الى كرفال المهانة في المريد، حيث غبار المديح الاسود يتطاير سخامه من شدة فصاحة اللغة البائثة في تمجيد الطاغية، وفنل المزيد من خيوط التغزل في عينيه وشاربيه ويديه، انه الغزل الذكوري الذي كان يتجلى في كرفال البذخ هذا!

يا للعار يا لسخام هذه الباصرات التي لم تلتفت لاولئك الضحايا من الشعراء، الذين ذكرتهم، ذكرتهم فقط لوشيجة ما تربطني واياهم، ولا اعرف كم من المغييين ذهبوا على هذا النحو، انني مررت في هذا الحيز على الشهداء لا غير، اما المعتقلون والسجناء من الكتاب في العراق فهم لا يحصون وتجاريهم السجنية متنوعة وعديدة كتعدد ادوات القمع. وهم الآن يعيشون بين ظهرائنا في المنافي التي اتسعت في العديد من الدول. ولا بأس من ذكر شاهد واحد على ذلك هو الشاعر برهان شاوي الذي اعتقل في عام ١٩٧٨ في اقبية الامن، حيث اعتدي عليه جنسياً ومثل بجسمه سبعة اشخاص من رجال الامن، طعنوه في كرامته، والسابع منهم انحنى على شئته واخذ بهمه، يا لهول تلك البشاعة.. كنا نصرخ ونقول ونكتب في صحف المعارضة القليلة الحظ في التلقي ابان تلك الايام وهي ترغي وتغلي وتتفصد ألماً، عن المدى الذي بلغته هذه الوحشية وسطوة مثالها الفاشي، ولكن يبدو ان ذلك الصراخ كان عياطاً في البرية.. لان ضراوة الذهب كانت تغشي البصائر جمعا.. أقول جميعاً واني بانتظار من يمدني بدليل واحد دان بشاعة هذه المأساة الثقافية.

(عن الناقد - نيسان ١٩٩٢)

سنة رامبراندت العالمية /
امستردام - لندن، برلين



رامبراندت والشرق؛ جماليات التباين

اسماعيل زاير

في سياق الاحتفاء الواسع بالرسم الهولندي الشهير فان ١٠٠٠ رامبراندت (١٦٠٦ - ١٦٦٩) تقام خلال عام كامل ابتداء من اوائل سبتمبر ١٩٩١. معارض عديدة في هولندا، ومعرضين شاملين لاعماله في برلين ولندن.

من المزايا الخاصة لاعمال (رامبراندت) قدرته على جعل الظل والضوء قيمة جوهرية في العملية التشكيلية. ورغم ان هذه الميزة لم تقتصر على الرسام الهولندي وحده، إلا انها اصبحت على يديه شأناً تقنياً ذا طبيعة شمولية لايزال له اثره الكبير في رؤية الفنان المعاصر.

وتتميز تقنية الظل لدى (رامبراندت) بروح شرقية خفية، غالباً ما بعثت على التساؤل عن مصدرها لديه. في السطور التالية محاولة لاقتفاء الاثر الشرقي في حياة وعمل هذا الفنان.

تنطوي علاقة (رامبراندت) بالشرق على مفارقة فريدة، فالفنان رسم ما لا يقل عن ثمانين عملاً متضمناً ملامح مشرقية، سواء من الطبيعة أم من الازياء أم من الاشخاص والمخلوقات.

كما زاد على ذلك انه استغرق بأعادة انتاج العديد من منمنمات الهند على نحو يشي بعمق اعجابه بها، ولكن الوجه الآخر لعلاقة (رامبراندت) بالشرق هو ان قدمه لم تظأ ارض

أي بلاد من بلدان الشرق، وأكثر من ذلك انه لم يغادر (هولندا) قط، ولم يكن حتى وفاته قد تعرف على غير مدينتي (لیدن) - وهي مرتع طفولته - و (اوترخت)، وهما لا تبعدان عن (امستردام)، حيث عاش، سوى ٢٠ ميلاً فقط.

وتعود الصلات الواقعية الوحيدة لرامبراندت مع الشرق الى المحيط الذي عاش فيه وسط مدينة (امستردام)، وكانت هذه المدينة عندما سكنها في النصف الاول من القرن السابع عشر ذات طابع عالمي، تعيش فيها اجناس وامم مختلفة من البشر، حتى ان ثلث سكانها كان، ذلك الوقت، من الاجانب. خاصة اولئك الذين جاءوا من اصول متوسطية وافريقية وعربية، فالمدينة كانت تعج بالبرتغاليين والمغاربة والزنج والأتراك، اسياداً وعبداً وقراصنة وقادة اساطيل وتجاراً من يهود المتوسط وشمال افريقيا.

وقد اتفق ان عاش (رامبراندت) في بيت يقع في الحي اليهودي من المدينة، حيث غطى مشهدة اليومي نقوش وأزياء ورسوم وأقمشة كان اليهود يعملون في تجارتها أو يرتدونها. وكان (رامبراندت) عندما انتقل مطلع شبابه من (لیدن) الى (امستردام) قد اتقن تقاليد مدرسة (لیدن) في الرسوم الشخصية التي تميزت بحساسية العمل على الظل والضوء، محاولاً، من جهة أخرى، الاندماج في تقاليد (امستردام) التي كانت مركز البلاد المنخفضة (هولندا، بلجيكا، لوكسمبورغ).

واخذت هذه المدينة دورها الرئيسي على اثر انحدار ارسطراطية (هولندا) التي لم تقم بدورها في معركة الاستقلال عن (اسبانيا)، وادى ذلك الى بروز سلطة البرجوازية الهولندية كقوة قائمة، مع ما يجسدها من قيم وتقاليد فنية ذات نزعة استقلالية وتحررية.

وحيث ان «الشرق» كمعطى فني في اوربا والعالم ارتكز بالاساس على المشهد التوراتي والانجيلي. فقد ارتبطت الصياغات الموضوعية لاشكال الشرق بمواضيع الدين والكنيسة واستعارات التراتيل المألوفة.

ولكن هذه الاستعارات تحولت نحو رموز ارضية، على يد الهولنديين خاصة، ولم تعد تركز على موضوعة الضلال والخطيئة البشرية فقط، بل جنحت الى استعارات ذات مدلول اخلاقي رمزي عبر واقعية «التفاصيل اليومية»، غير ان الذي جعل الواقعية الهولندية هذه، ذات سمات خاصة، كما يقول (رودي فوخس) هو استخدامها استعارات مأخوذة من خبرة الفنان الشخصية بالمشهد المحيط به. والى هذا العامل يعود الاستخدام المفرط للرموز الشرقية وغواية العمائم الغربية والارادية الشرقية الخرافية الى حد ما.

وينفس الاتجاه يورد (فوخس) ان الاعتبار كان قد اعيد على نحو واسع، في زمن (رامبراندت) للوحة التي تحكي مشهداً ليس توراتياً، بل ما بعد توراتي، تدخل في عمق تركيبه نزعة الانشاء المسرحي بهندسيته وتركيبته. الامر الذي جعل من الشرق، تفصيلاً

تشكلياً ملازماً للعمل.

وارتبط ذلك، من جهة أخرى، بالنزوع الاستقلالي للفن الهولندي عن مدرسة روما وفلورنسا، وتوجه الفنان نحو جمهور ذي متطلبات مختلفة عما لدى الاستقراطية التي رسم لها (دافنشي) و (مايكل انجلو).

ويفسر الناقد الفرنسي «مارك لي بوت» في كتابه (رامبراندت والشرق) تميز الشكل الشرقي في لوحته بمحاولته إيجاد شكل من اشكال الطعن بالقيمة الشكلية التي كانت مألوفة، ذلك الوقت، عن الشرق. وبهذا يحاول (رامبراندت) ان يحافظ على الثيمات الشرقية، دون ان يقع في التزيين المظهري.

ويمضي (بوت) في قوله «بان رامبراندت ينطلق من ذلك للوصول الى شكل من اشكال المقارنة والقياس بين ذاته وذات الآخرين (أي الشرق)، وهو امر احتل حيزاً هاماً من انشغالاته الفنية»، وكما ان «استعادة الماضي لدي (رامبراندت) تشتمل على التساؤل حول تبادل الازمنة، وحول الاندماج المنجز بين امكنة وعصور مختلفة في سياق واحد متميز، يغدو فيه «الآخرون» وسيلة لامتحان الذات ومواجهتها».

وفي مقابل الفكرة التي كانت سائدة لدى الغرب، آنذاك، عن ان تكامل الحقيقة المرئية هو الطريق الوحيد لجعل العالم مفهوماً، جرى التشديد على الربط بين الرؤية الناجزة والمغزى الذي تذهب اليه، أو سر الاشياء الخاص. وكانت وسائل هذا الربط قائمة، حسب (مارك لي بوت) على التقنيات بالدرجة الاولى، أي شكل استخدام علاقات المنظور، وتكنيك الخط ومعالجة الضوء وتوأمه الآخر، الظل.

ويتميز مسعى (رامبراندت) عن جيله الهولندي، سواء (فيرمير) أو (فرايز هالسي) أو (يان ستين)، انه ركز على وحدة النقائص على المستوى البصري. هذه النقائص التي تنضوي في سياق حقيقتين متوازيتين، الاولى وهي تركيب وتعقيد الحقيقة البصرية، والثانية كونها غير قابلة للاختزال أو الانتقاص.

ولكن اكثر استنتاجات (بوت) اهمية في كتابه هي تلك التي يرى فيها ان نجاح رامبراندت اساساً في التمايز عن اقرانه، إنما يكمن في افتراقه عن مسعى توحيد ثقافات البلدان الخاضعة للاستعمار الاوربي واستيعابها ودمجها في بوتقة واحدة هي (المركزية الاوربية).

وإذا كان (رامبراندت) قد نجح في التوقف عند الحدود والتخوم الاولى لهذا المسعى، الذي مضى فيما بعد، بعيداً في سياقه التعسفي والقسري، فانه إنما اعتمد على دفع قناعاته وأفكاره الخاصة قدماً باتجاه علاقة استثمار ذات مضمون مخالف للثقافات الاخرى، يبرز جماليات التباين اكثر مما يسعى الى جمالية احادية موحدة، لذا فان رسومه



تختلف اختلافاً بيناً عما اعتدنا رؤيته في الرسوم الاستشرافية، على ما فيها من مسعى موضوعي، فلم يسهم (رامبراندت)، كما نرى في جهود الرسامين الآخرين، في تكريس السلبية التي ميزت ملامح الشخصية الشرقية في لوحته. أو تلك التي تحمل دلالات جنسية غير سوية، بل على العكس من ذلك، نجد ان الشخصيات الشرقية في الكثير من اعماله تحمل ملامح الشخصية الاوربية التي ترتدي زياها الشرقي تعبيراً عن التمايز.

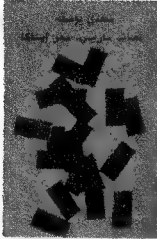
وابقت لوحة (رامبراندت)، فيما ابقت من القيم الفنية التي تميزت بها، أساليب الرسم الاوربي، تلك النزعة الانسانية العميقة التي تبرز تعاطفاً بيناً مع الشخصيات والاحداث، وتركز على المغزى الانساني العميق الذي تنطوي عليه.

ان (رامبراندت) لم يتعرف على الشرق، ولم يمتحن الحياة الشرقية عن قرب من خلال المعاشاة المادية، ولكنه بالتأكيد لمس ملامح «روح الشرق» مستعيناً بخبرته البصرية والرموز القليلة التي وقعت تحت يديه. ورغبته الملحة في الاقتراب من الحقيقة المجردة كفنان محاييد.

امستردام

سعدى يوسف

قصائد باريس شجر ايشاكا



املك من باريس هذا المستطيل :

(المتري × النصف من المتر)

أهذا المستطيل - العجيب، الدنيا؟

أرى في جامه النهر

وفي أنجمه الظهر

وفي مرآته وجهي الذي غامت به الدنيا . .

أخرى، «طلعة» سعدى يوسف الشاعر،
سعدى المنفى الشاعر، الذي يقول روحه
ومنفاه على نحو من التمازج المنفرد في
عالمه الشعري الغني بالآلة والغربة

هذا المطلع . . مطلع قصيدة (صباح
الجزيرة) لسعدى يوسف في مجموعته
الشعرية الجديدة (قصائد باريس، شجر
ايشاكا) . . هذا المطلع إنما هو بعبارة

هل قلتُ : إنى رجلُ أخطو الى الستين لكنى بلا بيت؟

وهل قلتُ : بلادى لم تعد لى؟

أم ترانى قلتُ : إن الموت في الغربة دارى؟

المنافي، وليس له بيت ولا وطن، سوى
القصيدة يأوي إليها وتأوي اليه :

لى المنظر السرى

لى ما تترك الشفتان

لى العظم الذي علكته أنياب الكلاب

ولى الخرافة :

أن الأمل ما تنأى

أن يكون اللص جارى

وهذا مقطع آخر، هو ملمح آخر من
. ملامح سعدى التي لا تفتأ تتجمع له
ويجمعها، منذ أربعين عاماً من الشعر . .
من الوطن . . ومن المنفى، وهو في
مجموعته الشعرية الجديدة يهزُّ شجرة
شعره منذ «القرصان» حتى «شجر ايشاكا»
هزاً يعيد الى الازهان مجدداً، ويؤكد
جوهر تجربة الشاعر ومسارته واسراره . .
انه يحصد الاشعار مثلما يحصد

لي البيت العجيب...

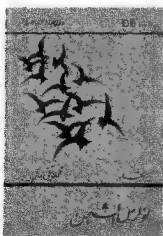
تضم المجموعة الجديدة أربعة
وأربعين قصيدة، كتب معظمها في
(باريس)، وهي صادرة عن (منشورات
الجمال) ضمن سلسلة (مطبوعات
عراقية).

أن تكون سجاتي عيداً
وأن أرث المياه طليقةً من ألف جسرٍ
لي الأصابعُ
والمتابع في لهاث الجذر

محمد تقي جمال الدين

نوارس الشجن

الشرطين، تتظلمها هموم الوطن
والمنفى.
من قصائد المجموعة نختار:



(نوارس الشجن) هي المجموعة
الشعرية الأولى للشاعر العراقي (محمد
تقي جمال الدين) صدرت أواخر عام
١٩٩١ عن (دار بغداد للطباعة والنشر)
في كوتنهاغن في الدانمارك، وصمم
غلافها عامر مطر.

قدم المجموعة الدكتور مصطفى
جمال الدين، وهي تضم قصائد من
الشعر الحر إلى جانب طائفة من قصائد

كتب الشعر عن أمي و (فائزة) وأطفالي
وعن سجن بحجم الكون صحي فيه أغلال
وعن وطني

وما زارت بحار القلب حتى اليوم غير نوارس الشجن

كتب الشعر عن وطني، وخصوص نخيله خسره
وصهرت أحسن سقفاً، وبين عذوقه تمره
واهتف خلف مشحوفٍ

توتج في الاصيل به (خورة البصرة)

* أمسية شعر شعبي للشاعر رياض النعماني.

* محاضرة بعنوان الشعراء الصعاليك للشاعر شاكرا السماوي.

* محاضرة بعنوان شخصية الفنان للاستاذ بطرس حلي.

* حديث عن الشعر والاغنية العراقية للدكتور مؤيد عبد الستار.

* أمسية غنائية للفنان سامي كمال.

* ندوات متسلسلة عن تاريخ العراق القديم بعنوان الحضارات القديمة في وادي السرافيدن. اعدھا أبو فرات - ماجستير آثار.

* محاضرة عن مرض فقدان المناعة (الايدز) للدكتور ابو لانا.

* افتتاح دورة لتعليم استعمال الحاسوب (الكومبيوتر)، باشراف المهندس عبد العظيم الحجاج.

* قدمت مجموعة فرقة الاطفال أمسية فنية باشراف حنان سامي كمال وإيمان سمیع.

فاثق محمد حسين

الايام العشرة

صدرت اواخر عام ١٩٩١ رواية (الايام العشرة) للكاتب العراقي (فاثق محمد حسين)، بعد مجموعته القصصية

هي هي يا بلاد
احنه حيارى منام
دور اليلم من صوبي
وخلدني لهلي ومحبيبي

تموز العدد صفر

صدر في آذار الماضي العدد (صفر) من نشرة (تموز) التي تصدرها الجمعية الثقافية العراقية) في المومفي السويد. يحمل العدد دعوة الى «جميع العراقيين المخلصين» للكتابة لها «وباعتبارها متبراً ديمقراطياً حراً، يعبر عن آراء الجميع».

والنشرة ثقافية أدبية عامة ذات هم سياسي عراقي، وقد تضمن العدد مواد متنوعة منها «النفائيات في الفضاء الخارجي» أنظار على الاقمار الصناعية) للمهندس عبد العظيم الحجاج، مترجمة عن مجلة (البحث والتقدم)، وهناك قصة للكاتب ابراهيم احمد وقصائد للشعراء (هاتف الجنابي ومؤيد عبد الستار وأبو سفر العراقي).

واشار العدد الى نشاطات الجمعية الثقافية العراقية التي تضمنت:

راجي عبدالله

ليس هناك سوى صداي

هذا هو عنوان المسرحية التي كتبها وأخرجها (راجي عبدالله) المولود في بغداد والمتخرج في معهد الفنون الجميلة. لراجي عبدالله عدة اعمال منها (ريسورتاجات قصيرة حول حياة طويلة)، (آخر العالم)، (الصغار والكبار) وأخيراً (ليس هناك سوى صداي).

تقوم بتمثيل هذا العمل (فرقة المسرح الحديث) وهو يدور حول بائع للنفط ترك بلاده هرباً من الحرب والاضطهاد ليحتمي بعالم كان يعتقد انه يمنحه الحرية في العيش وبأمن وسلام، إلا ان هذا الانسان يفاجئ بحياة منعزلة وممارسات لا تليق ببسلة يتجسس بالديمقراطية، ويكي على حقوق الانسان، ففي هذا البلد يبحث بائع النفط سابقاً عن لقمة العيش، يبحث عن عمل ويهتدي صدفة الى امرأة كان عليها قد غادر الحياة توأ فيعزيها ب وفاة الكلب. فتعرض عليه عملاً يخفف عنها احزانها واحساسها بالفقدان ان يكون هذا الشرقي بائع النفط بدلاً عن الكلب وبين الحاجة الى البقاء من ناحية، والكبرياء من ناحية ثانية، يهرب بكبريائه صارخاً ورافضاً لهذا العمل.



التي حملت عنوان (ساعات القلق) والتي صدرت في شباط ١٩٩١.

ومثل غيره من الادباء والفنانين العراقيين الذين يعيشون حياة المنفى، يحمل فائق محمد حسين تجربة لها خصوصيتها، انطلاقاً من خصوصية كل ظرف وكل كاتب.

تحكي رواية (الايام العشرة) تجزية التهجير التي اجتاحت جمهرة من العراقيين اتسعت الى نصف مليون مواطن، عبر منظومة الطغيان التي ارساها دكتاتور العراق.

من سطور الخلاف الاخير للرواية نقتطع ما يلي:

«... يا للخرزي والعمارا بين لحظة واخرى تتبدل احوالنا! بالامس فقط كنا عراقيين منهم، اخواناً لهم، نبني ونعمر هذا الوطن الحبيب، واليوم صرنا غرباء، اجداء، فاستوجب طردنا من الوطن!».

في العرض الاول لهذه المسرحية اتاحت الفرصة للمشاهد الالماني للمناقشة حول محتوى واسلوب التمثيل، والجدير بالذكر ان هذا العمل هو اول عمل للمخرج في المانيا واول تجربة مع فرقة مسرحية المانية.

في المسرحية حوار كثير استنجد فيه المخرج بقانون الاخلاق للبحث عن مخرج من ازمته، إلا انه لم يجد سوى صده. لقد عبرت عن ذلك اغلب مشاهد المسرحية التي كانت من الناحية التقنية موفقة.

في العدد القادم

ملف شعري من رفحاء الصغراء

وردنا من معسكر اللاجئين العراقيين في رفحاء ملف شعري اعدده وساهم فيه الشعراء: واصف الشنون، شعلان شريف، فلاح الصوفي، عقيل منقوش، صلاح الحيشاني، احلام الموسى، كما تضمن الملف تخطيطات للفنان جعفر حنون طاعون. سيظهر الملف في عدد تموز القادم.

(أدب وفن)



حوار مفتوح حول قضايا البديل في العراق . . !

هيئة تحرير الغد الديمقراطي

يلاحظ المراقبون السياسيون ان تطور الاحداث في العراق وحوله وتسارعها يتطلب من قوى المعارضة السياسية العراقية الاتفاق المبذبي على القضايا الاساس للبديل من الحكم القائم، ويرتفع بهذه المسألة الى مصف مسألة من الدرجة الاولى إذ إن بقاء الهوية واسعة في مفاهيم القوى والاحزاب التي تتصلدى، كل من موقعه، للحكم الاستبدادي الهيمجي في بلادنا، يشكل بداية حلقة مفرغة جديدة تُدخل فيها القوى والاحزاب انفسها، ومعها الشعب العراقي بكامله، فور الانتصار على نظام صدام حسين. ويمكننا ان نقول بثقة ان النتائج الوخيمة لهذا الصراع العقيم معروفة سلفاً. فاسقاط الشكل القائم في العراق من نظام الحكم الاستبدادي الديموي ليس هدفاً في ذاته، اذا لم يكن هذا الهدف قائماً على اقرار الجميع بضرورة تأسيس نظام حكم ديمقراطي يحترم ارادة اغلبية الشعب ولا يتجاهل رأي الاقلية ويقدره، بل ويُفسح في المجال للاقلية للدفاع المتواصل عن رأيها ومحاولتها لاقتناع الآخرين به، شرط ان تحترم الاقلية رأي الاغلبية ولا تحاول الالتفاف عليه بطرق قاصرة وانقلابية.

ان المفهوم القديم «الحاقده» الذي قال به البعض علناً ويقول به البعض سراً اليوم، والمتمثل في «اننا انتصرنا وصار من حقنا ان نقتلهم جميعاً» . . او حتى الصورة المطلقة من هذا المفهوم، أي انتصرنا وصار من حقنا فرض الحلول التي نرتيها على الجميع، على المجتمع بكامله، بالقوة الوحشية والدموية المصحوبة بالدجل والتضليل والادعاءات الدينية أو القومية أو التقدمية، هو مفهوم خطر لا يغلق باباً واحداً من ابواب النزاع إلا لفتح عشرات الابواب له. . وتتكرر الصورة من جيث الجوهر، وتبقى المسألة عسيرة على الحل. ولذا فان الوصول الى محصلة عامة من المبادئ الاساسية المتفق عليها في التعامل مع القضايا الشائخة الآن، والتي سوف تشخص مستقبلاً ليس ترفاً فكرياً يمكن تجاوزه، بل هو مسألة غاية في الاهمية. وتتوقف على حلها الصحيح كل بداية ناجحة لمعالجة

معضلات المحكم في العراق مستقبلاً. اننا نرى، مع كثيرين آخرين، ان الحل يكمن في الديمقراطية اسلوباً للحكم، بما تعنيه هذه من تمكين الشعب من اختيار ممثليه في مؤسسات الدولة الديمقراطية بحرية مطلقة وطريقة مباشرة وسرية تامة عبر صناديق الاقتراع العام لكل العراقيين البالغين رجلاً ونساءً. . واذا كان العراق في عهده الجمهوري لم يعرف هذه التجربة، فان ذلك ليس مبرراً لتأخير الشروع فيها، بل العكس هو الصحيح، وسوف يفرضها الشعب عاجلاً أم آجلاً.

ولكي تكون هذه العملية ايجابية ومثمرة الى الحد الاقصى، علينا ان نحيط الشعب، وانفسنا كذلك، علماً بتفاصيل المسائل المراد حلها على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية، مهما كانت عليه هذه المسائل من التضخم والتعقد. وهنا يأتي دور المختصين في اشباع كل جانب من جوانب هذه المسائل بحثاً وتمحيصاً. لا يفترض في الساسة عادة ان يكونوا رجال اختصاص معين، وقد يجهل بعضهم ابعاد هذه المسائل، مفضلاً الركض وراء الحلول الديماغوجية التي توفر له - في ظروف معينة - قدراً كبيراً من المناورة وكسب الجماهير الشعبية بالسعي لتكوين ستار كثيف من الشعارات البليغة والاحاديث الطنانة التي تملق عواطف الجماهير الشعبية القومية أو الدينية وتصرفها عن المشكلات الحقيقية لتعود بعد فترة - تطول أو تقصر - لادراك الحقيقة، ولكن بعد فوات الاوان. ان تجنب شعبنا خيبات جديدة ينبغي ان يكون هدف كل الاحزاب والقوى السياسية المعارضة، وان كل من يتصور انه قادر على خداع الناس، كل الناس، استناداً الى تأييد قسم معين منهم له، ليس هو نفسه، سوى ضحية وهم قاتل.

ونرى ان اهم المشكلات التي نتحدثان كمعارضة للحكم الاستبدادي القائم ان نثبت للجميع - عراقيين وغير عراقيين - اننا متفقون فيما بيننا على التباري الحر لخدمة بلدنا، واننا بديل متقدم من نظام حكم صدام حسين وزمرته، بديل أهم عناصره هي:

١ - الديمقراطية كأسلوب في الحكم، بما في ذلك الاقرار الواضح والصريح بتداول الحكم سلمياً وفق ارادة الشعب المعلن عنها في انتخابات عامة حرة ومباشرة وسرية، والنص الحريص على احترام حقوق الانسان والعزم الاكيد على تطبيقها دون أي تحفظ والمراعاة الدقيقة للمواثيق الدولية في هذا المجال، واعتبارها جزءاً ملزماً من النظام القانوني العراقي، تكون الحكومات المتعاقبة مسؤولة امام الشعب العراقي والمجتمع الدولي عن أي انتهاك مهما كان، لهذه المواثيق. والمقصود من هذا كله اقامة دولة القانون الديمقراطية.

٢ - حل المسألة القومية الكردية في العراق بالاساليب الديمقراطية على اساس الاقرار بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه، والتداول مع ممثلي الشعب الكردي

المنتخبين ديمقراطياً لاقرار شكل الاتحاد الاختياري بين الشعبين العربي والكرد في العراق مع صيانة حقوق الاقليات القومية الادارية والثقافية في نصوص دستورية واضحة .

٣ - حل المسألة الدينية والطائفية من منطلق يعترف بحق كل اصحاب دين أو طائفة في ان يعيشوا وفق منطق الدين والطائفة التي ينتمون اليها، بما لا يضر أو يخل بالمصلحة الاجتماعية العامة، وفي الوقت نفسه ليس من حق أية طائفة ان تفرض سمتها الخاصة على الدولة، أو تتخذ من جهاز الدولة اداة لترويج مآهيمها الطائفية وقسر الآخرين على الالتزام بها، أو اعتبارهم مارقين يحق لها اضطهادهم وعزلهم سياسياً واجتماعياً .

٤ - تحديد أسس النظام الاقتصادي الذي يضع في الاعتبار اسس العدل الاجتماعي وانصاف الفئات الفقيرة ورفع مستواها المعاشي والثقافي والحضاري، في الوقت الذي لا يهمل فيه اصحاب 'المبادرة الخاصة' ويمنحهم الفرص الكاملة في المساهمة في اعمار البلاد، وتعيين دور الدولة الاقتصادي في المرحلة الراهنة كمستثمر للموارد الطبيعية في مصالح المجتمع كله، ومساهمة رأس المال العربي والاجنبي في تأهيل الاقتصاد الوطني المدمر. ومما هو جدير بالذكر ان ندوة فيينا المنعقدة في ١٥ ايلول ١٩٩١ تحت عنوان «حوارات عراقية، اللقاء الاقتصادي» قلمت فهماً معيناً لبعض الخطوط العامة للنظام الاقتصادي الذي ارتآه المشاركون في الحوار، وطرحت اوراقه في كراسة «الكارثة الاقتصادية في العراق - الديون - التعويضات - الاعمار - النموذج الاقتصادي» . وهو اجتهاد يجدر بالجميع مناقشته ليس من وجهة نظر حزبية ضيقة، بل من وجهة نظر وطنية عامة تضع في الاعتبار الخراب المطلق في العراق، وذلك بغية التوصل الى حلول وسطية أكثر ملاءمة للظروف الراهنة. وينبغي ان لا يكون رائد الجهات الليبرالية في نظرتها الى الخراب الاقتصادي الذي حل ببلادنا، نتيجة سياسة الدكتاتورية الهوجاء، هو الاستفادة القصوى من فرص الازراء التي تهيؤها اعادة الاعمار. ، فالشعب العراقي المظلوم ينتظر منا المساهمة الجادة في رسم خطط المستقبل على اساس ضمان المصلحة العامة أولاً، ومن ثم المصالح الاقتصادية للأفراد والفئات والتجمعات الاقتصادية المحلية والعربية والعالمية عبر صيغ تحقق افضل الانسجام بين المصلحتين العامة والخاصة .

٥ - وضع الحلول المستقبلية للمشكلات الاجتماعية لناجمة عن حريين مدمرتين، وكذلك النهج العام لنظام الحكم الدكتاتوري الدموي . هذا مع افتراض تصفية تامة وحازمة لكل مخلفات النظام العراقي السابق في جميع المجالات، ولاسيما ميادين القمع والتعذيب وكبت الحريات العامة والشخصية .

٦ - رسم سياسة عربية وخارجية تأخذ في الاعتبار كل المتغيرات في الميادين: العربي والاقليمي والدولي . واذا كان العراق عضواً مؤسساً في الجامعة العربية، فان صدام

حسين قد خرق ميثاق الجامعة العربية بفظاظة ولم يصغ إلا الى الاصوات التي غذت في نفسه النزعة العدوانية والغطرسة، فأصبح لزاماً على العراق أن يؤكد عملياً بعد زوال الحكم الصدامي انتماءه الى المحيط العربي ومراعاته للقوانين وقواعد السلوك الدولية بين الدول العربية. وما حدث لميثاق الجامعة العربية طال وثائق المؤتمر الاسلامي وميثاق الامم المتحدة. وصار من واجب الدولة العراقية ان تضع قواعد صارمة لسياستها الخارجية تتسم بكونها عضواً فاعلاً - بالاتجاه الايجابي في الوسطين العربي والاسلامي، وان تراعي بدقة سياسة حسن الجوار والتعاون المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للاطراف الاخرى، وتعمل على صيانة السلم في المنطقة والعالم، وتعلن التزامها بكل المواثيق الدولية وأولها ميثاق الامم المتحدة بما لا يدع مجالاً للتفسيرات المراوغة.

٧ - تحقيق السيادة الوطنية. لقد وضعنا هذه المهمة الاولى من بين مهمات الحركة السياسية في النهاية لاننا ندرك الملابس التي تحيط بنا جميعاً، وكذلك الظروف التي خلقتها الزمرة الحاكمة في العراق بالتجاهل الى القوة في حل خلافاتها مع الجيران والاشقاء، ولاننا نعرف ان هذه المسألة على غاية من التعقيد ولا يمكن انجازها بضربة واحدة بدون خلق اجواء من الثقة بين الدولة العراقية في طورها الجديد والمحيطين الاقليمي والدولي. وهذه عملية طويلة نسبياً بغض النظر عن العواطف والمشاعر الوطنية الملتهبة.

وان ما تطمح اليه المعارضة العراقية هو ان تأخذ دول الجوار وكذلك المجتمع الدولي بصفة عامة في الاعتبار مطلب الشعب العراقي الاساسي في السيادة الوطنية والوحدة السياسية والاقليمية للعراق، وان تبذل مساعيها في التوصل الى تسوية عادلة لا يتكرر في ظلها اللجوء الى القوة أو التهديد باستعمالها من أي طرف كان كوسيلة لحسم المسائل المختلف بشأنها. ومن المعروف ان اللجوء الى الانتقام فيما يتعلق، برسم حدود اقليم الدولة دون الرجوع الى الحقائق التاريخية الثابتة يمكن ان يكون التربة الصالحة لتأجيج النزعات الانتقامية لدى الطرف المهزوم، خالفاً بذلك موقفاً لنزاعلت جديدة. فالمطلوب ليس فرض هدنة، مهما طال امدها، بل ارساء أسس ثابتة لنظام أمني عادل في المنطقة كلها. ولنا في نظام فرساي الذي تمخض عن الحرب العالمية الاولى، وجسد ارادة المنتصر، عبرة ومثلاً مرشداً، فقد كان العامل الاول وراء تأجيج النزعة القومية الالمانية وفكرة الانتقام التي قادت العالم الى جحيم الحرب العالمية الثانية.

هذه بعض القضايا الرئيسة المطروحة على المعارضة العراقية والتي يتوجب علينا جميعاً التوصل الى اتفاق راسخ بشأنها. وتشير المعلومات المتوفرة الى ان الوثائق التي اقترتها اللجنة التحضيرية لمؤتمر المعارضة العراقية الثاني تقترب كثيراً من هذا الفهم، مما

يفتح الطريق الى نوع من الوحدة في اطار التنوع يخدم تطور الحركة السياسية العراقية لاحقاً، ويجعلها تتجنب المزالق التي تحاول بعض القوى الاقليمية والدولية دفعها اليها. ونحن واثقون ان الحركة السياسية العراقية قد بلغت من النضوج بحيث اصبحت قادرة على التمييز بين مصالح الشعب العراقي والمناورات السياسية الرامية الى استثمار الظروف المحيطة بالعراق حالياً لغير مصلحة الشعب والبلاد.

عن (الغد الديمقراطي) نيسان ٩٢
التجمع الديمقراطي العراقي

حركة المهجرين العراقيين

باعتبارها الناطق الرسمي باسم (حركة المهجرين العراقيين)، نشرت صحيفة (الموقف الاسلامي) في عددها (٦٤) الصادر في ٢ / آذار / ١٩٩٢ عرضاً لاهداف وتطلعات هذه الحركة. ومما جاء في العرض:

- ١ - انها حركة سياسية، يجري عليها ما يجري على التنظيمات السياسية الاسلامية من حيث التنظيم الداخلي والثقافة الخاصة واسلوب العمل السياسي والفكري والاجتماعي ونمط التعاطي الايجابي مع الحركات والتيارات والفصائل الاسلامية العراقية.
- ٢ - الحركة لديها برنامج سياسي متكامل ورؤية حضارية في مجال الدعوة الى الاسلام كمحور رباني في قيادة الحياة، وتؤمن بالخصوصية الفكرية التي تعطي للحركة مجالاً حيويّاً في ممارسة نشاطها واسلوبها في التعاطي مع الطروحات والمشاريع والمبادرات السياسية.
- ٣ - تعتمد الحركة في عملها السياسي والفكري على نظرية اللاعنف واقامة العلاقات الطيبة مع المجال الاسلامي العام، وترفض استخدام الاساليب التي تتنافى مع اخلاقية الاسلام وعقائديته في تنفيذ برامجها واهدافها.
- ٤ - تحاول الحركة بشتى السبل الواقعية والمقرة، نقل قضية المهجرين من اعتبارها قضية انسانية تستأهل العطف من المجتمع الدولي ومراكزه ومؤسسته الانسانية الى قضية سياسية ينبغي ايلائها اقصى قدر من الاهمية.
- ٥ - تؤمن الحركة بالدور الذي تلعبه البلدان الصديقة والحليفة من اجل انقاذ شعبنا العراقي ودعمه للتخلص من شبح الدكتاتورية والقمع السلطوي، وتعتقد ان دعم هذا الدور، انما هو دعم لقضية الخلاص الشعبي.

٦ - نعتقد الحركة ان التعاون والتنسيق واحترام حرية الرأي والرأي المضاد وممارسة العملية التقليدية بأصولها وعضويتها وشروطها الاخلاقية هو الاساس في بناء العلاقات السليمة والتحالفات الاقليمية والاستراتيجية وان أي تجاوز على هذه القيمة الاساسية هو تجاوز على الحالة الحضارية التي ينبغي ان تسود حركة المعارضة العراقية.

٧ - العمل على احياء مظلومية أبناء الامة في العراق الى كل المؤسسات والمراكز السياسية والانسانية والحقوقية وعدم التهاون في أمرها، لان مشاطرة جمهور الامة والبقاء في خندق طغواته وأماله في الحياة الحرة الكريمة، إنما ينبثق من مسألة الدفاع عنه وتبني قضائاه.

٨ - السعي الى بلورة موقف اسلامي عراقي موحد، وتشكيل جبهة اسلامية عراقية لأن الاسلاميين العراقيين بما قدموه من تضحيات غالية، على امتداد عمر المواجهة مع طواغيت بغداد، هم الزعم الصمعي في معادلة القوة، بدون أي تجاوز أو رفض للتشكيلات السياسية القومية والوطنية العراقية، التي تنظر الحركة لها ولمسيرتها وتاريخها باعتبارها جزءاً فاعلاً لحركة الثورة والتمرد ضد النظام، سعياً الى تحقيق الاهداف المقدسة في الحرية والاستقلال والكرامة.

كما جاء في العرض:

ان التنوع الذي يحكم حركة المعارضة العراقية في نظرنا، حالة حضارية تقرها سنن العمل السياسي والاجتماعي واساليب التجارب والمنحنيات الفكرية والسياسية التي مرت في تاريخ الشعوب، ولئن هذا التنوع اصبح حالة حقيقية وبدأت المعارضة العراقية تتعايش معها كميماً ثابت في تعاطيها بعضها البعض الآخر، فاننا نعتقد ان الحركة وان كانت تدافع عن قضية المهجرين وتناضل من اجل نقلها من اطارها الخاص الى العام، فانها لا تجد أي حرج أو ممانعة من الكيانات والتجمعات التي تدافع عن المهجرين العراقيين، بل نعتقد ان التعاون والتنسيق والتفاهم هو الذي ينبغي ان يسود في حركة العمل المشترك. لقد كنا في الحقيقة وهذا ما تشهد به وقائع التاريخ القريب، السابقين في الدعوة الى تبني قضية المهجرين العراقيين ومادام التنوع يفرض على الجميع اليوم التنسيق والتفاهم فينبغي ان يتعمق الاحساس بالمسؤولية والارتفاع الى مستوى الدفاع عن شرعية الامة في تصديدها لطواغيت بغداد وخوضها لغمار المواجهة العنيفة.

بقيت هناك جملة اثار كان لا بد من ذكرها ونحن نستعرض بشيء من الاجاز اهم الخطوط الاساسية للحركة وفلسفة وجودها وشرعية عملها، ومن بين هذه الالارات ان الحركة تؤمن بالعمل الشوروي المبني على ابداء اقصى درجات الاخلاقية العالية في ترتيب بيت الحركة، وتعرض بشكل قاطع، أي شكل من اشكال الدكتاتورية والقمع

الفكري والسياسي .

كما وتؤمن الحركة بالتعددية الفكرية والسياسية، وتعتقد ان هذا الامر ينبغي ان يتحرك بحرية من دون ممارسة الضغوط أو اساليب الابتزاز لتشويهه وتجاوزه، فبالـتعددية الحزبية والسياسية والفكرية يمكن لاية تجربة أو معارضة أو دولة، ان تستوعب كل السليبات والتناقضات ومن خلالها يمكن الارتفاع بالامة الى التأكيد على خصوصياتها المشتركة، حتى يبدأ جميع المنضوين في اطار التعددية من ارساء دعائم الفعل الحضاري وتشيد اسس النهضة .

يغتالون الوطن ويتباكون عليه

اين هي مصلحة الوطن، وكـم تشغل من اهتمام واهداف التحركات التي تشهدها ساحة المعارضة العريضة الطويلة .

للأسف، لا نخالي اذا قلنا ان ساحة المعارضة اتسعت لكل المصالح والمطامح والمغانم، إلا مصلحة الوطن . .

وحدها مصلحة الوطن هي الغائبة، بينما المشاريع والطروحات التي تعج بها ساحة المعارضة العراقية تحركها المصالح الشخصية والفتوية والاقليمية والدولية وكل طرف يتحمس ويشارك ويضحى من اجلها، بقدر ما يكسب أو يأمل ان يكسب منها .

اين هي مصلحة الوطن من كل ما يجري، اين الوطن، شعباً، وثروات وحاضراً ومستقبلاً؟

ليت ظاهرة الانقسامات والولادات والتشتت والضعف هي وحدها التي تعكس غياب مصلحة الوطن وهيمنة المصالح الاخرى . بل حتى مظاهر «الوحدة» و«الائتلافات» و«الوفاق» والعمل المشترك تعكس ذلك، وهي لا تبدأ إلا لتنتهي اكثر ضعفاً وهزالاً، واكثر بعداً عن مصلحة الوطن التي لم تخط باتجاهها خطوة واحدة .

كم تريد «معارضات» الخارج من الزمن اكثر مما مضى؟ وكـم تطلب من الفرص اكثر مما حصل؟ وكـم من التضحيات التي يقدمها الشعب على يد اعنى جلاد، اكثر مما قدمه شعبنا؟

كم تريد اكثر من هذا حتى تتقدم هي خطوة واحدة باتجاه مصلحة هذا الوطن المحترق بأيدي أهله قبل اعدائه؟

سمعنا، ومازلنا نسمع - فصائل المعارضة، العراقية وشخصياتها يطالبون بمؤتمر

وطني لكافة القوى، كضرورة وطنية تكون مدخلاً أساسياً للاطلاحة بصدام حسين وزمرته . .
حتى اصبح عقد المؤتمر، هدفاً مشتركاً يطالب به كل عراقي، داخل الوطن وخارجه .
لكن نظرة فاحصة للأسباب التي تحول دون عقد المؤتمر تكشف لنا الزوايا المظلمة
التي يغتال فيها الوطن، والمصالح العديدة الحاضرة على حساب مصلحة الوطن .
انهم يغتالون الوطن ويتباكون عليه . .

عن «البديل الاسلامي» ١٦ نيسان
سياسية اسلامية مستقلة

المعارضة العراقية مدعوة لوحدة الصف واليقظة ووضوح الرؤية

المخاطر تتفاقم كما توضح وتؤكد ذلك جملة من المؤشرات والوقائع والمعطيات .
فنظام صدام حسين اخذ «وضع الانبطاح» الكامل امام ضغوط القوى الكبرى وفي مقدمتها
الولايات المتحدة، ففي محاولات عدة لفك العزلة والحصار، ولو جزئياً، واطلاق يدهم
العابثة للمضي في اللعب بالنار داخل البلاد، قدم الحاكمون في بغداد تنازلات توجت
اخيراً بالموافقة على تدمير ترسانة العراق، اسلحة ومنشآت، وبأموال عراقية هي ملك
الشعب العراقي الذي راكمها بعرق جبينه وكدحه وتضحياته الجسام ليُحرَم من رغيف الخبز
ومن الدواء ومن العيش بحرية وكرامة . وتتوجت ايضاً بارتهان نفظه وذلك بالموافقة على
تصديره بشروط وضعت حكومة بغداد في وضع الذليل الذي فقد الغيرة وداس على كل
القواعد والضوابط والمعايير الوطنية والاخلاقية .

ومنذ وقت غير قصير والحاكمون في بغداد يحشدون عسكرهم واسلحتهم الفتاكة في
كردستان العراق، لا لمقارعة عدوان خارجي والدفاع عن حياض الوطن المجريح، بل
لتحقيق مآربهم الشريرة في الهجوم الغادر والاعتداء الاثم على شعب آمن يطمح لنيل حقوقه
القومية الاولى المشروعة في عالم يشهد موجات بشرية صاخبة للمطالبة بالديمقراطية
وحقوق الانسان . فالانباء الاخيرة تفيد بأن عسكر صدام حسين لجأ، وعلى نطاق اوسع من
نفي قبل، الى المشاغلة والمجابهة واستعراض القوة والتهديد والوعيد بالاقتصاص . فشن
هجومه على مناطق في كردستان منطلقاً من (اسكي كلك) واشاع الرعب بين السكان في

بعض القرى. وذكر بعض المراقبين، وياندهاش ملفت للنظر، بأنه بدأت تصل في الآونة الأخيرة إلى مواقع الحشود العسكرية الحكومية في كردستان مدافع ثقيلة وبمعدل (١٥٠) مدفع يومياً. ويتوقع بأن توسع قوات حكومة صدام حسين من نطاق عملياتها العسكرية في مواجهة الانتخابات التي تجمع جميع أحزاب الجبهة الكردستانية العراقية اجراءها. ولا يخفي حكام بغداد خشيتهم من أن تتحول الممارسة الديمقراطية في كردستان إلى عملية ديمقراطية شاملة تهدف إلى الخلاص من الدكتاتورية وإقامة حكومة الانقاذ الوطني في البلاد ويدرك صدام حسين ووعظه بأنه إذا ما قُدر للعملية الديمقراطية في كردستان العراق أن تنجح فسوف يعتبر ذلك عملياً التمرين الأول الذي يقوض سلطة «المرکز».

وليست الحشود العسكرية التركية على الحدود العراقية سوى حلقة أخرى في مسلسل المخطط. فالحكومتان، العراقية والتركية، لهما مصلحة مشتركة في قمع الحقوق القومية المشروعة للكرد في البلدين، ولهما أيضاً مصلحة متبادلة في ضمان سريان التعامل بالنفط. فمن جهة، تركز حكومة بغداد اهتمامها على بسط سيطرتها وهيمنتها الكاملة على مصادر النفط في كردستان وخاصة بعد السماح للعراق بتصدير نفطه ضمن شروط مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة. وحكومة انقرا، من جهة أخرى، مهتمة أقصى الاهتمام بمعاودة مرور النفط العراقي عبر اراضيها لتأمين الاموال اللازمة لترميم اقتصادها الذي يعاني من الازمات والهزات العنيفة المسببة للتوترات الاجتماعية والسياسية.

أما دول المنطقة، وخاصة الاقطار الخليجية، فلا يروق لها البديل الديمقراطي الذي ثبتته في برنامجها ومشروعها السياسي احزاب وجماعات عدة من المعارضة العراقية. كما ان معظم دول المنطقة لا يخرج رأبها وموقفها من أزمة النظام العراقي عن اطار التسوية الامريكية والحل الامريكي الذي يميل إلى تدبير انقلاب عسكري من داخل المؤسسة العسكرية، لان حلاً كهذا يوفر الضمانات في المنطقة لمصالح الولايات المتحدة خاصة ومصالح الدول الغربية عامة فضلاً عن تظمين مصالح دول المنطقة التي تعتبر حليفة وشريكة للولايات المتحدة ويشير مخاوفها البديل الديمقراطي المحتمل في العراق.

ولا بد من التنويه إلى الزيارة المفاجئة والغامضة للملك حسين، ملك الأردن، في وقت سابق من الشهر المنصرم إلى الولايات المتحدة ومباحثاته التي احيطت بسرية وكتمان شديد مع الرئيس الامريكي بوش. وأنت هذه الزيارة بعد يوم واحد فقط من اجتماع الملك حسين مع طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي في عمان.

ألا يدل ذلك، وارتباطاً بالتنازلات العراقية التي تلت مباشرة المباحثات الآتفة الذكر، على صفقة جديدة جرى الاعداد لها من وراء الكواليس؟ وأليس محتملاً، ومجرد احتمال، ان يكون من اهداف المخطط الجديد الترتيب إلى مجابهة واسعة بين عسكر صدام حسين

من جهة والمعارضة العراقية في الشمال والجنوب من جهة أخرى بقصد اضعاف الاخيرة، أي المعارضة، أولاً واتخاذ المجابهة ذريعة لاسقاط صدام حسين بانقلاب عسكري ثانياً؟ ان هذه اللوحة السياسية السريعة بكل احتمالاتها وترايبها وتناقضاتها وابعادها، تستدعي من المعارضة العراقية وقفة جادة لتدقيق وتمحيص الموقف برمته لثلاث تقف فريسة وضحية لسوء التقدير وارتكاب اخطاء قد تقودها الى التراجع والانحسار وتحرمها من فرص المساهمة النشيطة والفعالة لاجراج البلاد من الازمة الخانقة الراهنة وتحقيق البديل الذي يرمي الى اقامة حكومة الخلاص الوطني.

ان نظرة فاحصة للاحداث الجارية في العالم لا تدع مجالاً للشك حول امكانية الاستفادة، واقصى الاستفادة، من الظواهر والعناصر الايجابية في حركة المجتمع الدولي. بيد انه لمن الاخطاء الشائعة في وقتنا الحاضر، برغم كل ما هو ايجابي، التعويل والاعتماد، اكثر مما ينبغي، على مساندة حركة المجتمع الدولي التي تحمل التناقضات في طياتها وفي مسارها المتعرج. وهو ما تؤكده بعض الاحداث الراهنة في دول ومناطق عدة ومواقف الولايات المتحدة حيالها، تلك المواقف التي تفرض فرضاً بصورة انفرادية في الواقع وتوحي باستخدام العصا الغليظة في ظل تناسب جديد وترتيب جديد على مسرح القوى العالمية.

وأما عن الاوضاع في المنطقة ونخص بالذكر منها الاوضاع في الدول المجاورة والمتاخمة للعراق فهي اجمالاً في غير صالح الحركة الوطنية والديمقراطية العراقية، أو حركة المعارضة العراقية.

هذا عن العوامل الخارجية عموماً. وماذا عن الحالة في داخل البلاد؟ ان نظام بغداد في وضع لا يحسد عليه وهو يعاني من ازمة اقتصادية وسياسية واجتماعية واخلاقية عميقة وطاحنة ولم يسبق لها مثيلاً. وتتراكم اكثر فأكثر العوامل التي تنخر في جسم هذا النظام وتشل من حركته ويجد، أي النظام، صعوبات لا حصر لها تحول دون تجاوز ازمته وكسر الطوق الذي يلتصق حوله.

وما يتعلق بالمعارضة العراقية فهي، برغم كل التقدم الذي احرزته في مسيرتها وهو تقدم ذو شأن كبير لا يجوز التقليل من تأثيراته وفاعليته، ماتزال تعاني من التشتت والخلافات حتى في المسائل التكتيكية والتباين الشديد في الآراء حول التصورات المستقبلية. وماتزال النظرة الفئوية الضيقة تهيمن على عقلية قيادات فصائل غير قليلة في لجنة العمل المشترك (لعم)، وماتزال قائمة الخلافات بين اطراف في لعم واطراف في الجبهة الكردستانية العراقية (جك). وتؤكد انباء أخرى قيام محاور ومراكز عدة للمعارضة العراقية تسعى الى عقد مؤتمراتها بصورة منفردة وانطلاقاً من نزعة ذاتية وبعيداً عن التشاور

وتبادل مشترك للآراء والاتفاق على الاعمال الموحدة ذات القاعدة العريضة. ولا مرد من القول بصراحة بان عدداً لا يستهان به من اطراف المعارضة لا يعي الاخطار المحدقة والتعقيدات والصعوبات القائمة امام حركة المعارضة، الامر الذي يدفع بها الى الانجرار وراء الاعمال المتطرفة والمغامرة نتيجة للاعباء ونفاذ الصبر. كما ان فقدان التوازن في تقدير الاحتمالات وتقييم دور وتأثيرات العوامل والعناصر الخارجية والداخلية يطبع هو الآخر مواقف فصائل اخرى في المعارضة. وليست هناك من حاجة الى جهد كبير لكي يمكن معاينة التكابر في الكثير من المواقف مما يدفع ببعض اطراف المعارضة الى المبالغة المفرطة بقدراتها وامكانياتها ومواقفها في حركة المجتمع العراقي ويقودها نحو الاستئثار وتجاهل الشركاء في الحركة، أي ادعاء تمثيل المعارضة لوحدها دون غيرها.

ان المعارضة العراقية مدعوة للتماسك، الى وحدة الصف لكي تكون اقوى واقدر على الاضطلاع بالمهام التي تواجهها. ويتعين على المعارضة ان تتحلى باليقظة والحذر حيال الدسائس والمناورات والمخططات الخبيثة والاطحار التي تصدى لها دون ان تفقد الصبر ودون ان تستعجل في دفع الامور نحو المتاهات والمزالق والمجازفات وتخسر المعارك تلو المعارك امام عدو غير غبي ومكرر ومايزال يمتلك الادوات القادرة على انزال الضربات واعاقه حركة المجتمع من التقدم نحو الامام.

وانطلاقاً من ذلك كله وغيره، واذا ما توافرت شروط وعناصر القوة للمعارضة العراقية من خلال التغلب على العوائق والاختلافات القائمة وتجاوزها بروح المسؤولية العالية حيال مصائر الشعب والوطن، فان تناسب القوى الداخلي سوف يتغير، لا محالة، ويميل لصالح القوى الحية في المجتمع العراقي، لصالح معارضة عراقية تتبنى برنامجاً متماسكاً وواقعياً يعبر عن رؤية واضحة للآفاق المستقبلية، برنامجاً يتماشى مع الحاجات الراهنة للتطور الداخلي بعد الخراب الشامل الذي لحق بالبلاد، برنامجاً يراعي اتجاهات التطور العالمية والترتيب الجديد للوضع الدولي ويستفيد من كل ما هو ايجابي ونافع في هذه الاتجاهات.

عن (الاتحاد) نيسان ٩٢

جريدة الاتحاد الديمقراطي العراقي في اميركا وكندا

